تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

الطب الإسلامي

- ما المخطوط ؟
- التعامل مع نسخة المؤلف
- الحكومة النبوية بين الخزاعى والكتانى



العدد الثالث (ذو القعدة ١٤٢٤ هـ - يناير ٢٠٠٤م)

دار الكتب والوثائق القومية



دار الكتب والوثائق القومية
مركز تحقيق التراث

تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

العدد الثالث
يناير ٢٠٠٤

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. أحمد مرسى

تراثيات/ مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث بدار
الكتب والوثائق القومية . ـ س ١، ع ٣ (يناير ٢٠٠٤)
. ـ القاهرة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٤ –
مج ؛ ٢٩سم.
نصف سنوية.

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣/١٢٢٠٧

تراثيات

مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث

في هذا العدد



المراسلات والاشتراكات

مركز تحقيق التراث - دار الكتب والوثائق القومية

كورنيش النيل - رملة بولاق - القاهرة

ت : ٥٧٥١٠٨٦ - فاكس : ٥٧٨٩٦٧٨

E-mail:scenlers@darelkotob.org

سعر النسخة : داخل جمهورية مصر العربية : ١٠ جنيهات للأفراد ، ٢٠ جنيه للهيئات

خارج جمهورية مصر العربية : ١٠ دولار امريكى

إشراف فنى

مهندس/ فتحى عبدرب النبى

مدير عام المطابع

الاشتراكات السنوية : ١٥ جنيها للأفراد، ٣٥ جنيها للهيئات، ١٥ دولارًا خارج جمهورية مصر العربية

تصدير

بصدور هذا العدد من «تراثيات» تدخل المجلة عامها الثانى بعد أن شهد العام الأول من تاريخها أحداثا جساما هزت المنطقة العربية وكان لها تداعياتها وجراحاتها التى لم يسلم منها التراث العربى والإسلامى .

والمجلة إذ تستقبل هذا العام الجديد يحدوها الأمل فى أن يكون عاما أفضل من سابقة ، وأن يحمل فى طياته ما يأسو جراح الأمة ويحفظ المنطقة العربية من كل سوء ، ويديم عليها نعمة الأمن والأمان ، وينشر فى ربوعها العدل والسلام .

ولقد أحسن المتخصصون استقبال هذه المجلة ، وبادروا إلى الإسهام فيها بأقلامهم وأفكارهم ، فلهم منا أجزل الشكر وأعمق التقدير .

ولسوف تحرص المجلة على أن تظل نافذة تطل على التراث العربى من مختلف جوانبه ، ففيها البحوث والدراسات ، وفيها النصوص التراثية ، وفيها التعريف بالمؤسسات التراثية ، وبما ينشر من كتب التراث العربى وبأعلام التراث والمشتغلين به ، وفيها بعد هذا كله أخبار التراث والببليوجرافيات التراثية والقسم الأجنبى .

وتحاول المجلة أن تحقق نوعا من التوازن بين هذه الأبواب ، مما يضطرها إلى تأجيل نشر بعض المواد . وهذا التأجيل لا يعنى بحال من الأحوال تقييما للمواد المؤجلة أو تقليلا من قدرها ، فجميع ما ينشر فى المجلة يخضع لتحكيم دقيق ، وأسبقية النشر لاتعنى أفضلية ، وحتى ترتيب المواد داخل كل عدد لاتحكمه إلا اعتبارات تنظيمية وفنية بحتة .

والمجلة تفتح صدرها لكل المتخصصين والمشتغلين بالتراث فى العالم العربى والإسلامى شرقه وغربه ، وترحب بمساهماتهم من أجل تحقيق حلم طالما راود التراثيين فى أن يكون لهم منبر يخاطبون الناس من خلاله ، وأن تكون لهم مجلة تتحدث بلسانهم ، وتكون وسيلة للتواصل بينهم .

ونحن نرحب بأى نقد يهدف إلى الارتقاء بمستوى المجلة ، ونحاول جاهدين أن نتلافى أى وجه من أوجه القصور ، وكلنا أمل فى أن يهيئ الله لنا من أمرنا رشدا ، وأن يلهمنا التوفيق والسداد بقدر ما نبذل من جهد ، وما يصاحب عملنا من نيَّة خالصة .

رئيس التحرير

بحوث ودراسات

ما المخطوط؟

أ. د. أحمد شوقي بنبين*

جرت عادة الباحثين المهتمين بالمخطوطات من حيث تاريخها ، وفهرستها ، ونسخها ، وتوثيقها ، وتحقيقها ، وما ماثل هذه الموضوعات ـ أن لا يتعرضوا للكلام عن كلمة مخطوط من حيث التأثيل والتأصيل اللغوى ، ومن حيث استعمالها لأول مرة فى النصوص العربية .

وقد برر هذا بعض الغربيين المختصين فى هذا المجال ؛ بكون اللغة العربية ما زالت تفتقر إلى معجم تاريخى يحدد تاريخ الألفاظ ، ويشير إلى النصوص الأولى التى ظهر فيها اللفظ ، على غرار معاجم اللغات الغربية .

وقبل الخوض فى المفهوم الدلالى لهذا اللفظ نشير أن الفيلولوجيين[(١)] لا يقبلون استعمال لفظ (مخطوط) إلا إذا ألحق بكلمة كتاب ، فيقولون : (الكتاب المخطوط) ؛ لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا . فشواهد القبور ، وما نقش على الأحجار ، وما نقر على الصخور لا يمكن اعتبارها مخطوطات . إن الكتابة باليد ليست ضرورية فى ذاتها بالمفهوم الفيلولوجى للمخطوط . فلنبحث الآن فى مادة هذا اللفظ فى اللغة ، مع محاولة رصد بداية تداوله ، وذلك باستشارة المعاجم ، واستقراء النصوص التى يمكنها أن تمدنا بمعلومات عن بدء استعماله[(٢)] .

ومن الطبيعى عند أهل اللغة أن يبحثوا عن جذور الكلمات فى أول نص عربى تم جمعه ، ألا وهو القرآن الكريم . ومن يقرأ فى كتاب الله يجد أن الإشارة الوحيدة لهذا الجذر هى ما جاء فى قوله تعالى فى سورة العنكبوت ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[(٣)] . فجاءت المادة بصيغة الفعل ، ولا أثر لصيغة اسم المفعول الذى هو موضوع البحث .

(*) محافظ الخزانة الحسنية بالرباط ـ المملكة المغربية .

(١) الفيلولوجيا بالمفهوم الألمانى هى الدراسة العلمية للنصوص الأدبية ، وتعنى العناية بتوثيق النصوص وتحقيقها ونشرها والتعليق عليها . ولا نعنى بها فقه اللغة الذى يدرس اللغة على المستويات : الصوتية ، الصرفية والتركيبية ، أو النحوية والدلالية والأسلوبية والبلاغية والوزنية والشعرية .

(٢) نشير إلى أن هذا البحث يقتصر على دراسة المصطلح من حيث الأصل والاستعمال والشكل ، ولا يتعداه إلى دراسة المخطوط كنص من النصوص ، أو كقطعة مادية التى هى من اختصاص علم المخطوط بمفهومه الحديث الذى يطلق عليه فى الغرب لفظ Codicologie .

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٨ .

ولن يجد المستقرئ لدواوين الشعر العربي منذ الفترة الإسلامية ، إلى العصور الأخيرة أثرًا لِكَلِمَةِ مخطوط . كما تخلو معاجم العربية منها ، باستثناء ما جاء عنها فى أساس البلاغة للزمخشرى (٥٣٨هـ) ، وتاج العروس للزبيدى (١٢٠٥هـ) . جاء فى الأول : «خطَّ الكتاب يَخُطُّه ، وكتاب مخطوط» . وجاء فى الثانى : «كتابٌ مَخْطُوطٌ أى مَكْتُوبٌ فيه» . وتبقى العربية خلوًا من هذا اللفظ ، حتى اختراع الطباعة التى ستحدث تحولا فى الحضارة العربية ، وتفرز مصطلح «مخطوط» الذى ما كان ليظهر لولا ظهور ما يقابله وهو كلمة «مطبوع» .

ويصعب على الباحث فى الوقت الراهن تحديد أول نص عربى ظهر فيه اللفظ ؛ لأن ذلك يدعو إلى استقراء شامل لكل النصوص الحديثة المتعلقة باكتشاف الطباعة . والذى لاشك فيه هو أن اللفظ ظهر مع ظهور الطباعة ، حجرية كانت أو سلكية . ولم يكن هذا الحدث خاصا باللغة العربية وحدها ، بل حدث كذلك فى اللغات الأخرى التى عرفت بلادها هذا الاكتشاف الجديد . إن الباحث فى لفظ مخطوط (manuscrit) فى اللغة الفرنسية ، يجد أنه استعمل لأول مرة فى أحد نصوص هذه اللغة فى سنة ١٥٩٤م ، أى فى نهاية القرن السادس عشر للميلاد . وعلى الرغم من كون اللفظ لفظا لاتينيا (manuscriptum) ، فإن الفرنسيين استعاروه من اللغة الإيطالية التى عرفت استعمال اللفظ قبل فرنسا ؛ بحكم سبقها إلى التمسك بالنهضة الحديثة[1] . وقد أطلقوا على المخطوط لفظ (libri)[2] اللاتينى فى مقابل مطبوع منذ بداية الطباعة . أما اللفظ المتداول الذى ظل طوال العصر الوسيط يطلق على الكتاب الذى لم يكن إلا (مخطوطا) ، فهو الكراس ، أو (codex) وهو لفظ لاتينى ، ويعنى «كتاب»[3] .

أما لفظ (manuscriptum) اللاتينى فإنه ظهر فى هذه اللغة منذ القرن الثالث الميلادى . ولم يكن يعنى ما أصبح يعنيه كمقابل للمطبوع فى عصر النهضة ، بل كان يدل على النسخة التى يخطها المؤلف بيده ـ لا بيد غيره ـ والتى أصبح يطلق عليها اليوم فى

---

(١) إن إنشاء أول أكاديمية بالغرب تلكم التى عرفتها مدينة فلورنسا الإيطالية فى القرن الخامس عشر . ولم تنشأ الأكاديمية فى فرنسا التى يعتبرها البعض أول أكاديمية حديثة إلا فى النصف الأول من القرن السابع عشر للميلاد أى فى سنة ١٦٣٤م على عهد ريشوليو Richelieu .

(٢) Libri لفظ لاتينى أصله Liber (وهو livre فى الفرنسية الحديثة) ، والمعنى التأثيلى للفظ «liber» قشر الشجرة التى كانت إحدى مواد الكتابة عند اللاتين . نفس الشيء بالنسبة للفظ Biblo الذى يعنى «كتاب» فى اليونانية . ويعنى فى أصله قشرة الشجرة التى يكتبون عليها . وهو لحاء الشجر عند العرب . و Biblio الكثيرة الاستعمال تصغير للفظ Biblo .

(٣) فى اللغة التركية ـ مثلا ـ لم يظهر لفظ (ال يلزمه) بمعنى مخطوط إلا بعد ظهور الطباعة ، وكانت تركيا من بين الدول الإسلامية الأولى التى سمحت بدخول الطباعة خصوصا بالحرف العبرى .

الغرب لفظ أوتوغراف (autographe)[١] ، ونسميها نحن العرب (النسخة الأصلية) . والدليل على ذلك هو أن المفكر اللاتينى فى القرن الأول قبل الميلاد شبشرون (cicéron) استعمل كلمة منوسكربتوم (manuscriptum) اثنتا عشرة مرة بمفهوم «أوراق خاصة» ، وهى أوراق خطها بيده . ولم تكن اللغة اليونانية لتختلف عن اللغة اللاتينية فى هذا الاستعمال . فلفظ (مخطوط) اليونانى الذى ظهر فى هذه اللغة فى القرن الثانى قبل الميلاد كان يعنى تلكم النسخة التى خطها المؤلف بيده . ولم تصبح فى مقابل المطبوع إلا بعد عصر الطباعة شأن اللفظة اللاتينية . وقد أطلق على المخطوط اليونانى مصطلحات أخرى طوال العصر الوسيط .

أما العرب فقد سموا الكتاب المخطوط تسميات متعددة ، تختلف باختلاف العصور ؛ فقد أطلقوا عليه فى القرن الأول الهجرى الرقيم ، الزبور ، المصحف[٢] (بفتح الميم) ، السفر ، الرسالة ، الكراسة[٣] ، الجلد ، الجزء ، المجلدة ، الكناش أو الكناشة[٤] ، الدفتر[٥] وغيرها . وقد أطلق على الكتاب فى عصر التدوين والتأليف الديوان أو المُدَّون ، والتأليف أو المؤلَّف ، والتصنيف أو المُصنَّف . وابتداء من القرن الرابع للهجرة ـ حين اكتملت النهضة العلمية

---

(١) لفظ (autographe) يونانى مركب من كلمتين : أوتو (auto) : ذات ، وجرافين (graphein) : كتابة ، وهى النسخة التى نسخها المؤلف بنفسه . وقد ظهرت الكلمة فى القرن السابع عشر عند العدول والمحامين وأصحاب القانون ؛ فإذا نسخ العدل عقدا ووقعه فهو أصلى . ومن العقود انتقل اللفظ إلى المخطوط . وليس عندنا فى العربية لفظ مقابل لذلك ، ونكتفى بقولنا : «نسخة أصلية» تلكم التى نسخها المؤلف ، أو أشرف على نسخها ، أو صححها ، أو ما قارب ذلك . ومن يمعن النظر فى قوله تعالى ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ يجد أن الخط مرتبط باليد ، وأن المخطوط هو ما يكتبه الكاتب بنفسه ، ولو تيسر للغة العربية أن تنحت لفظ مخطوط فى الزمن الأول لكان يدل على ما كان يعنيه لفظ منوسكربتوم (manuscriptum) اللاتينى ، ولفظ مخطوط اليونانى ؛ من كونه النسخة التى يخطها المؤلف بيده لا بيد غيره .

(٢) لفظ «مصحف» بفتح الميم كان يعنى كتابًا فى العربية فى العصر الأول ؛ يقول ابن عبدالبر فى «القصد والأمم» : «من جملة ما وجد فى الأندلس اثنان وعشرون مصحفا محلاة ، كلها من التوراة ، ومصحف آخر محلى بفضة . . وكان فى المصاحف مصحف فيه عمل الصنعة وأصباغ اليواقيت» . أما «مصحف» بضم الميم فحبشية أطلقت على القرآن الكريم بعدما تم جمعه فى عهد الخليفة عثمان ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مادة (ص . ح . ف) ـ حسب المستشرق الألمانى نولدكه ـ توجد فى العربية وفى الحبشية بمعنى حفر ، نقر ، ومنها كتب ، وتوجد كذلك فى الحميرية اليمنية حسب ابن دريد (٣٢١ هـ) ، وهذا ما دفع المستشرق نولدكه (١٩٣٠م) إلى القول بأن «مصحف» استعيرت إما من الحبشة أو الحميرية . وعلى الرغم من تأكيد السيوطى فى «الإتقان» بأنها حبشية حسب رواية ابن مسعود ، فإن اللغة الأثيوبية بشقيها «الأمهرية والجعزية» استعارت الأبجدية العربية الجنوبية ، مما يؤكد الأصل الحميرى لهذا اللفظ .

(٣) من الكلمات الغامضة فى العربية ، ويعتقد البعض أنها ترجمة لكلمة كوديكس codex اللاتينية .

(٤) كلمة سريانية ، أصلها (كوناش) و(كوناشة) ، وهى مستعملة قديما .

(٥) دفتر : يونانية ، أصلها دفتريا (Diphteria) ، ومعناها الجلد ، كان يكتب عليه . وتوجد الكلمة فى النصوص اليهودية والآرامية والسريانية القديمة ، ولعلها دخلت العربية عن طريق الفارسية . وذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت (Herodote) أنها كلمة فينيقية ، وأنها من ضمن الكلمات الفينيقية التى دخلت اليونانية قديما ؛ الشىء الذى يؤكد الأصل السامى لهذا اللفظ . انظر : معجم مصطلحات المخطوط العربى : أحمد شوقى بنبين ـ مصطفى طوبى .

والتأليفية فى المجتمع العربى ـ أصبح يطلق على مصادر[١] التراث تسميات ، مثل : الكتب الأصول ، الكتب الأمهات ، والكتب الأساسية لما تحويه من أساسيات العلم ، بالإضافة إلى استعمال مصطلحات ، مثل : التقييد ، الفهرسة ، الكشكول[٢] ، وغيرها كثير .

وإن كان ظهور لفظ «مخطوط» مرتبطا بصناعة المطبوع فى التراث العربى ، فإننا نشير إلى أن المغاربة استعملوا عبارة «نسخة قلمية» فى مقابل «كتاب مطبوع» قبل أن يجاروا المشارقة فى استعمال لفظ مخطوط . وهذا ما صنعه علماء الإنسانيات (humanistes) عندما لجأوا إلى لفظ (libri)[٣] اللاتينى عوض لفظ (codex) طوال عصر النهضة ، أى إلى نهاية القرن السادس عشر للميلاد حينما اصطلحوا على لفظ (manuscrit) اللاتينى ، والذى سبق الإيطاليون إلى استعماله لنفس الغاية قبل الفرنسيين .

ومن حيث الشكل فإن المخطوط العربى استعار شكل الكوديكس اللاتينى الذى كان عموديا[٤] . وهو الشكل الذى ما زال يحتفظ به الكتاب حتى اليوم . ومعلوم أن الكوديكس ظهر تاريخيا فى نهاية العصر القديم ، بعد انتقاله من الكتاب الملف أو اللفافة . وكان اللاتينيون يطلقون عليه لفظ (volumon)[٥] . وبما أن هذا البحث لم يكن من شأنه الاهتمام بالجوانب العلمية والباليوغرافيه والكوديكولوجية للكتاب المخطوط ، فإننا نرى من الواجب توضيح بعض النعوت التى ألصقت بالكتاب المخطوط فى مختلف أنواع التراث ، خصوصا بعدما أصبح موضع دراسة المختصين من حيث علمه وتاريخه . ولا ندعى أننا سنحيط بها جميعا ، بل سنكتفى بالإشارة إلى بعضها ؛ فى انتظار تخصيص هذا الموضوع ببحث خاص .

إن أول ما يجب توضيحه فى هذا المجال هو ما يسمى بالمخطوط العربى الإسلامى .

---

(١) مصدر بمعنى كتاب ، لفظ حديث ، وهو ترجمة للكلمة الإفريقية (source) . ولم تستعمل عند القدماء إلا فى علم النحو .

(٢) لفظ فارسى يعنى وعاء من المعدن أو الخشب ، مرتبط بالدراويش يجمعون فيه الصدقات من مال وطعام وغير ذلك ؛ ولذلك أطلق الكشكول على ذلكم الكتاب المتنوع الموضوعات . ومن أشهر هذا النوع من الكتب «كشكول العاملى» فى القرن العاشر للهجرة .

(٣) Libri تعنى كتاب ، وهو الكوديكس . ويعتقد الفرنسيون أن المطبوع قبل كل شىء كتاب ، وليس سوى بديل (succédané) للمخطوط .

(٤) على الرغم من القول بأن الكتاب العربى للمخطوط لم يظهر فى البداية إلا بشكل عمودى ، فإن مكتبة جامعة هيدلبرج تحتفظ ضمن مجموعة البردى العربية بكتاب عربى بشكل لفافة ، يرجع إلى القرن الثالث للهجرة . وربما احتفظت بعض الخزانات الأوروبية ببعض النسخ القرآنية على شكل لفافات . وقد ظهرت فى العصور الأولى فى الأندلس بعض المصاحف القرآنية بشكل مربع . وقد كان هذا فى فترة معينة محدودة ، ولم يلبث أن عاد النساخ إلى الشكل العمودى للكتاب المخطوط ، خصوصًا فى مجال المصحف .

إن المخطوط العربى الإسلامى هو المخطوط الذى تناول موضوعا من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية ، ونسخ بالحرف العربى . ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية ، كلغات إفريقيا السوداء ، واللغات الحامية كالأمازيغية ، واللغات الهندية الأوروبية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu) ، أو الباكستانية والعثمانية والتركية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التى استعارت حرف القرآن للكتابة . وقد تتبعها العالم الأوربى جوفروا روبير (G. Roper) وأحصاها فوجدها مائة وتسعة وعشرين (١٢٩) لغة . ويدخل فى هذا الإطار المخطوط الذى عالج موضوعا غربيا ، ولكنه بهجائيات غير عربية .

إن الأرصدة العربية التى تملأ الخزائن الدولية تحتفظ بمجموعات من المخطوطات العربية نسخت بالحرف العبرى ، كبعض مؤلفات ابن رشد الحفيد[١] ، أو نسخت بالحرف اللاتينى ، أو كتبت بالحرف الكرشونى ، وهو الخط السريانى المستعمل فى أحد الأديرة المسيحية فى سورية ، يسمى كرشونة[٢] . وفى مقابل المخطوط العربى الإسلامى نجد المخطوط العربى المسيحى ، وهو ذلكم الكتاب الذى يكون صاحبه مسيحيا ، لكنه يُكتب باللغة العربية ، ويتناول فيه موضوعا عربيا أو يعالج قضايا عقائدية مسيحية . ومن الأمثلة على ذلك مؤلفات الكاتب المسيحى فضل الله الصقاعى (٧٢٦ هـ) ، وهو من نصارى دمشق ، وضع مختصرًا لـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، كما وضع ذيلا عليه ، سماه «تالى وفيات الأعيان» . كما وضع مؤلفون نصارى كتبا بالعربية أبرزوا فيها أهم القضايا الدينية المسيحية .

وقد اهتم بهذا النوع من المخطوطات المستشرق الفرنسى جيرار طروبو (G. Troupeau) فوضع فى سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٤ فهرسًا فى مجلدين للرصيد العربى المسيحى المحفوظ بالخزانة الوطنية الفرنسية[٣] . ومن بين التسميات التى سُمِّىَ بها المخطوط ما اصطلح عليه

---

(١) بعض تلخيصات وترجمات ابن رشد للكتب الفلسفية اليونانية لم تصل إلا بالحرف العبرى . وهذا من إيجابيات هذه الظاهرة .

(٢) المخطوط الكرشونى هو المخطوط العربى المكتوب بالحرف السريانى . ومدينة كرشونة (وهى تسمية سريانية ، قيل : كرشون بمعنى البطن بالسريانى ، وقيل : هو اسم لأحد النصارى السريان) فى سورية ، تعيش فيها جماعة سريانية فى دير لهم ، وكتبوا العربية بحروف سريانية .

(٣) نشر المستشرق الفرنسى G. Troupeau بحثا درس فيه وقفيات مجموعة من المخطوطات المسيحية المحفوظة بالخزانة الوطنية الفرنسية ، وتبين له أن مثل هذه الدراسات قد تسهم فى دراسة التاريخ والجغرافيا للديانة المسيحية . وقد أبرز واحد من هذه المخطوطات وجود طائفة قبطية مسيحية فى جزيرة قبرص ؛ لأنه كان موقوفا على خزانة كنيسة قبطية فى الجزيرة حسب الوقفية . وكان ذلك فى القرن السابع عشر للميلاد . انظر : Les actes du waqf des manuscrits arabes chrétiens - dans: la tradition manuscrite en écriture arabe. p.45. Paris . 202.

في الغرب بالمخطوط الجامعي (universitaire manuscrit) ، ويطلق على الكتاب الذي يتضمن المواد الأساسية التي تدرّس بالجامعات الغربية في نهاية العصر الوسيط ، وهي : الطب واللاهوت والقانون والفنون الحرة ، ولا يعتبر المخطوط جامعيا ما لم يتناول هذه العلوم . ومنها كذلك ما نعتوه بالمخطوط الحديث ، وهو ذلكم الكتاب الذي خطه المؤلف بيده ، وقدّمه للطابع أو الناشر ، وهو مصطلح حديث النشأة ظهر بعد اكتشاف صناعة الطباعة . ومنها ـ أيضا ـ ما اصطلح عليه بالمخطوط الهجين ؛ والهجين في العربية من كان أبوه عربيا وأمه أعجمية . ويطلق هذا الوصف على المخطوط الذي يتم نسخه على مواد كتابية مختلفة ، كأن ينسخ جزء منه على الرق والجزء الآخر على الورق ، أو يكتب قسم منه على الكاغد العربي الأصيل وقسم آخر على الورق الأوروبي الذي يحمل تلكم العلامة المائية التي يطلق عليها الغربيون (Filigrane) ، والتي يخلو منها الورق العربي[١] . ومن الأمثلة على هذا ذلكم المعجم اللاتيني ـ العربي[٢] الذي تحتفظ به مكتبة جامعة ليدن بهولندا ، فإن ورقتا العنوان والتختيمة من الرق ، ومعظم المتن نسخ على الورق . وعلى الرغم من اعتبار هذا المعجم استثناء أو مفارقة كوديكولوجية ، فإن تركيبه المزدوج يبرز الانتقال التدريجي من الرق إلى الكاغد كمادة للكتابة .

ومن النعوت التي ألصقت بالمخطوط العربي لفظ (خزائني) ؛ نسبة إلى خزانة . والمخطوط الخزائني (Bibliophilique) هو المخطوط الأنيق المزخرف المنسوخ نساخة جميلة رائعة برسم خزانة ملك أو أمير أو وجيه من الوجهاء . وقد يكون مصحفا مذهبا ، أو كتابا مرصعًا يكتبه خطاط ماهر . ولا تكاد تخلو خزانة من الخزانات العالمية من مجموعة من هذا النوع من المخطوطات ، تعرض في غالب الأحيان في أبهاء المكاتب ، أو في نظائر الزجاج كتحف نادرة .

ومنها كذلك ما يسمى بالمخطوط الدعي (Batard) ، والدعي في اللغة هو الذي لا يعرف أبوه . وفي مجال التراث هو ذلكم المخطوط الذي لم يقابل على أصل من الأصول ، أو لم يكن في ملك عالم كبير ، أو لم يرتبط سنده بشيخ من الشيوخ ، أو لم ينسخه نساخ معروف ، أو ما قارب ذلك . وكان القدماء يقولون : إن الكتب التي تصحح على مؤلفيها ـ ولو بوسائط ـ لا يجوز الاعتماد عليها في النقل[٣] . وفي مقابل المخطوط الدعي نجد المخطوط الأصلي أو النسخة الأصلية (Original) ، وهي التي خطها المؤلف بيده (Autographe) ، أو

---

(١) من المعلوم أن الكاغد دخل أوروبا عن طريق العرب ، والدليل على ذلك وجود كلمة رزمة العربية .

(٢) مكتبة جامعة ليدن (or . 231) .

(٣) المكاتب الإسلامية : عبدالحي الكتاني . مسودة المكتبة العامة بالرباط ٣٠٠٢ ك .

أشرف على نسخها وصححها بنفسه . ومن هذه النعوت كذلك ما يسمى عند الغربيين بالمخطوط العلمى (Savant) ، والذى يبرز سمات خاصة قد تميزه عن المخطوطات عامة . ثم المخطوط النادر الذى لا توجد منه إلا بضع نسخ ، أو يتميز بصور وزخارف قد تميزه عن باقى المخطوطات ، ككتاب «كليلة ودمنة» . ومنها المخطوط الفريد الذى لا توجد منه إلا نسخة واحدة فى العالم . وكم هى كثيرة تلكم المخطوطات الفريدة التى تم تحقيقها اعتمادا على تلكم النسخة الوحيدة . نذكر من بينها «طوق الحمامة» لابن حزم ، ونسخته المحفوظة فى خزانة جامعة ليدن بهولندة . وكتاب «الانتصار» لأبى الحسين الخياط ، ونسخته المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة ، أو كتاب «العرجان والبرصان والعميان والحولان» للجاحظ ، والجزء الخامس من كتاب «المقتبس» لابن حيان المحفوظ كلاهما فى المكتبة العامة ، والخزانة الملكية بالرباط .

وقيل : المخطوط المؤرخ الذى يحمل تقييد ختامه تاريخ النسخ ، وقيل : المخطوط المطلق الذى يخلو من تاريخ النسخ .

وخلاصة القول أن مصطلح «مخطوط» حديث فى كل اللغات ، وأن ظهوره أفرزه اكتشاف الطباعة . وإذا كان الاهتمام به - كمتن - قد بدأ منذ نهاية عصر النهضة الحديثة ، فإن الاشتغال به كقطعة مادية بدأ فى القرن الماضى ، فى إطار ما يسمى بعلم المخطوط بمفهومه الحديث ، أو الكوديكولوجيا بعناية الفيلولوجيين اللاتين . وإذا كان المخطوط الأوروبى قد خطا خطوات فى هذا الإطار ، فإن المخطوط العربى الذى يعتبر أضخم تراث فى العالم[١] ما زال فى المراحل الأولى من دراسته دراسة مخطوطية علمية .

---

(١) تتروح أرصدة المخطوطات العربية المحفوظة فى مختلف خزائن العالم ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين مخطوط ، بينما لا تتجاوز المخطوطات اليونانية خمسين ألف مخطوط ، بينما تتروح المخطوطات اللاتينية بين ثلاثمائة ألف وخمسمائة ألف مخطوط .

التعامل مع نسخة المؤلف

أ. د. حسين نصار*

ليس شيئًا جديدًا أن أعلن أن الهدف الجوهرى من التحقيق هو الوصول إلى الصورة التى خرج عليها الكتاب من يد مؤلفه أول ما خرج . فإن تعذر ذلك ـ وهو إيذان بأول خُطى الإخفاق ـ فأقرب صورة إليها . والسبيل الأساسى إلى ذلك حسن قراءة المخطوط ، ودقة المقابلة على النسخ ، وشمول رصد الاختلافات .

قد يضاف إلى ذلك تيسير الاطلاع على الكتاب باتباع علامات الترقيم ونظم الطباعة ؛ وتيسير فهمه بالتعليق الذى يقربه من قارئ العصر الذى نحن فيه ؛ وتيسير الإفادة منه بالكشافات الدقيقة الشاملة التى تلحق به ؛ فأقول : كل ذلك حق ، ولكنه غير محتوم للهدف الجوهرى ، وإن التزمه محققو اليوم أو التزموا كثيرًا من عناصره ؛ لجذب القارئ المعاصر .

من أجل ذلك فرض العلماء القدامى على الرواة والعلماء المعاصرين الأمانة التى لا يتسلل إليها أى شىء من التهاون .

وكان من المظنون أننا إذا عثرنا على نسخة المؤلف من أى كتاب حُسم الأمر ، وما على المحقق إلا أن يلتزم بكل ما جاء فيه التزاما تاما ودقيقا . فإذا كان يريد التعليق على شىء فلديه الحواشى ، يستطيع أن يقول فيها ما شاء ، غير أن كثيرين نصحوا بعدم الإسراف فيها .

ومع ذلك فقد كان الأمر موضع جدل وخلاف .

ويحسن أن أبدأ بتعريف المراد بعبارة (نسخة المؤلف) ؛ فإنها لا تطلق على نوع معين من الكتب ، وإنما تشتمل ما يلى :

١ ـ الكتاب الذى دونه المؤلف بيده وخطه .

٢ ـ الكتاب الذى أشار المؤلف بتدوينه .

٣ ـ الكتاب الذى أملاه على أحد تلاميذه .

٤ ـ الكتاب الذى أجازه .

ويجب أن يكون فى الأنواع الثلاثة الأخيرة تعليقات بخط المؤلف تثبت حالتها .

(*) أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة ، ومقرر اللجنة المشرفة على مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

ومع ذلك ، ليس الأمر بالبساطة التى يوحى بها هذا الكلام ؛ لأن من المؤلفين ـ المعلمين بخاصة ـ من كانوا يملون كتبهم على حلقات الدرس ، ويغيرون ما يلقون من سنة إلى أخرى . مثال ذلك كتاب «جمهرة اللغة» لابن ديد (محمد بن الحسن ٢٢٣ ـ ٣٢١/ ٨٣٨ ـ ٩٣٣) قال عنه النديم : مختلف النسخ ، كثير الزيادة والنقصان ؛ لأنه أملاه بفارس ، وأملاه ببغداد ، من حفظه . وقال : وآخر ما صح من النسخ نسخة أبى الفتح عبدالله بن أحمد النحوى ؛ لأنه كتبها من عدة نسخ ، وقرأها عليه .

ومن المؤلفين من أصدر نسختين : صغرى وكبرى من كتابه ، مثل : كتاب «النوادر» ليونس بن حبيب (٩٤ ـ ١٨٢/ ٧١٣ ـ ٧٩٨) ، و«سر صناعة الإعراب» لعثمان بن جنى (٣٩٢/ ١٠٠٢) ، ومن أصدر ثلاث نسخ ، مثل على بن أبى الفرج البصرى (٦٥٩/ ١٢٦١) فى حماسته البصرية .

ومن المؤلفين من عثرنا على مسودة كتابه ومبيضته ، ومن عثرنا على المسودة فقط ، أو أن القدر لم يمهل المؤلف ليبيض كتابه . وعرّف عبدالسلام هارون بالاثنين ، وبالطريق إلى تمييز كل منهما . فذكر أن المراد بالمسودة «النسخة الأولى للمؤلف قبل أن يهذبها ويخرجها سوية ، وأما المبيضة فهى التى سُوِّيت وارتضاها المؤلف كتابا يخرج للناس . ومن اليسير أن يعرف المحقق المسودة بما يشيع فيها من اضطراب الكتابة ، واختلاط الأسطر ، وترك البياض ، والإلحاق بحواشى الكتاب ، وأثر المحو والتغيير . . إلى أمثال ذلك .

وعلى الرغم أن كل هذه الأنواع وصلت إلينا من المؤلف ، وبخطه أحيانًا ، فإن التعامل معها يختلف .

فالنسخ المتغايرة التى تصل إلينا منها ، إن كانت متباينة تباينًا بعيدًا يدل على أن المؤلف أصدر أو أملى اثنتين مختلفتين ، كان واجب المحقق أن يحقق كل واحدة منفصلة عن الأخرى ، وإن انتفع بها فى التحقيق انتفاعه بالمصادر الأخرى .

وإذا وصلت إلينا مبيضة الكتاب ومسودته معا ، اتخذنا من المبيضة أُمّا للتحقيق لا نحيد عنها . ويستعان بالمسودة لتوثيق قراءتنا وتصحيحها .

وإذا وصلت المسودة فقط ، يقول عبدالسلام هارون : «ومسودة المؤلف ـ إن ورد نص تاريخى على أنه لم يخرج غيرها ـ كانت هى الأصل الأول [الأم] ، مثال ذلك ما ذكره ابن النديم [محمد بن إسحاق ٤٣٨/ ١٠٤٧] من أن ابن دريد صنع كتاب « أدب الكاتب» على

مثال كتاب ابن قتيبة [عبدالله بن مسلم ٢١٣ ـ ٢٧٦/ ٨٢٨ ـ ٨٨٩] ، ولم يجرده من المسودة . وإن لم يرد نص كانت فى مرتبة النصوص الأولى ، ما لم تعارضها المبيضة فإنها تجبها»[١] .

وقال د . شوقى ضيف : «لا نترك نسخة المؤلف إلا إذا ثبت لنا أنها كانت مسودة لكتابه عدل عنها ، وأدخل عليها زيادات مختلفة . وكذلك إذا كثرت فيها الخروم ، أو كثر المحو والتآكل . وحينئذ نقدم عليها نسخة أحد تلاميذه»[٢] .

وأرى أننا ـ إذا لم تصل إلا المسودة ـ وجب اتخاذها أُما للتحقيق ، والالتزام بها ، مهما كانت حالتها إلا إذا تعذرت قراءتها ، وسواء أكان هناك خبر أن المؤلف بيض كتابه أم لم يكن .

ولكن ما مدى الالتزام بنسخة المؤلف ، وهل يختلف الالتزام بالمبيضة عنه بالمسودة ؟

أما المسلمون الأولون فقد التزموا بنسخة المؤلف (أو روايته) التزامًا تامًا ما دامت صحيحة . ثم وقع الاختلاف بينهم إذا وقع فيها لحن أو تحريف .

فذهب جماعة إلى الإبقاء على الخطأ ، ونقل الكتاب أو الرواية كما وصل إلينا ، مثل محمد بن سيرين (٣٣ ـ ١١٠/ ٦٥٣ ـ ٧٢٩) ، وأبى معمر عبدالله بن سخبرة ، وثعلب (أحمد بن يحيى ٢٠٠ ـ ٢٩١/ ٨١٦ ـ ٩٠٤)[٣] .

رُوى أنه قُرئ على ثعلب ـ من كتاب بخط ابن الأعرابى ـ خطأ ، فرده . فقيل : أفنغيره؟ فقال : دعوه ليكون عذرا لمن أخطأ[٤] .

وذهب القاضى عياض بن موسى (٤٧٦ ـ ٥٤٤/ ١٠٨٣ ـ ١١٤٩) إلى أن هذا مسلك الكثيرين . قال : الذى عليه استمر عمل أكثر الأشياخ أن ينقلوا الرواية كما وصلت إليهم ولا يغيروها فى كتبهم ، حتى فى أحرف من القرآن ، استمرت الرواية فيها فى الكتب على خلاف التلاوة المجمع عليها ، ومن غير أن يجىء ذلك فى الشواذ . ومن ذلك ما وقع فى الصحيحين والموطأ وغيرها . لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على خطئها هذا عند السماع والقراءة ، وفى حواشى الكتب ، مع تقريرهم ما فى الأصول على ما بلغهم[٥] .

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ، ٢٦ .
(٢) البحث الأدبى ، ١٧٦ .
(٣) مقدمة ابن الصلاح ، ٣٣٨ . ابن كثير ، ١٢٢ . هارون ، ٤٠ .
(٤) عبدالمجيد دياب : تحقيق التراث العربى ، ٢٢٢ .
(٥) مقدمة ابن الصلاح ، ٣٣٩ .

وذهب المستشرق الألمانى برجستراسر إلى أنه لا يجوز تصحيح الأخطاء النحوية التى وقع فيها المؤلفون ، أو إضافة شىء إلى مقتبساته اعتمادا على الأصل الذى اقتبس منه ، وطبق ذلك على الآيات القرآنية أيضا(١) .

وذهب كثيرون إلى تغيير ألوان من الخطأ وقعت فى النص ، أذكر منهم عامر ابن شراحيل الشعبى (١٩ ـ ١٠٣/ ٦٤٠ ـ ٧٢١) ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر (٣٧ ـ ١٠٧/ ٦٥٧ ـ ٧٢٥) ، وعطاء بن أسلم (٢٧ ـ ١١٤/ ٦٤٧ ـ ٧٣٢) ، ومحمد بن على بن الحسين (٥٧ ـ ١١٤/ ٦٧٦ ـ ٧٣٢) ، الذين روى سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى (٧٢٤ ـ ٨٠٥/ ١٣٢٤ ـ ١٤٠٣) أنهم سئلوا عن الرجل يحدث بالحديث فيلحن : أأُحدث كما سمعت أو أعربه؟ فقالوا : لا ، بل أَعربْه(٢) .

ووضع ابن الصلاح (عثمان بن عبدالرحمن ٥٧٧ ـ ٦٤٣/ ١١٨١ ـ ١٢٤٥) عبدالرحمن ابن عمرو الأوزاعى (٨٨ ـ ١٥٧/ ٧٠٧ ـ ٧٧٤) ، وعبدالله بن المبارك (١١٨ ـ ١٨١/ ٧٣٦ ـ ٧٩٧) وغيرهما فيمن رأى تغيير الخطأ وإصلاحه ، وروايته على الصواب(٣) .

وذكر د . عبدالمجيد دياب أن الأوزاعى سئل عن رجل يسمع حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيه لحن : أيقيمه؟ فقال : نعم ، إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يلحن(٤) .

وروى ابن الصلاح أن النضر بن شميل (١٢٢ ـ ٢٠٣/ ٧٤٠ ـ ٨١٩) قال : جاءت هذه الأحاديث عن الأصل معربة ؛ وأن عبدالملك بن قريب الأصمعى (١٢٢ ـ ٢١٦/ ٧٤٠ ـ ٨٣١) قال : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» ؛ لأنه ﷺ لم يكن يلحن ؛ فمهما رويتَ عنه ولحنت فيه ، كذبتَ عليه(٥) .

وذكر عبدالله بن أحمد بن حنبل أن أباه (١٦٤ ـ ٢٤١/ ٧٨٠ ـ ٨٥٥) كان إذا مر بأى لحن فاحش غَيَّره ، وإذا كان لحنا سهلا تركه(٦) .

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، ٤٣ ، ٨٤ .
(٢) محاسن الاصطلاح ، ٣٣٨ .
(٣) مقدمته ، ٣٣٨ . ابن كثير ، ١٢٢ . هارون ، ٤٠ .
(٤) تحقيق التراث العربى ، ٢٢٢ .
(٥) مقدمته ، ٣٣٧ .
(٦) ابن الصلاح ، ٣٣٩ ، وهامش ٣٣٨ . ابن كثير ، ١٢٢ . هارون ، ٤٠ .

ورووا أن ابن بطال (على بن خلف ٤٤٩/ ١٠٥٧) روى أن أحمد بن على النسائى (٢١٥ - ٣٠٣/ ٨٣٠ - ٩١٥) قال : لا يغير ما وجد فى لغة ، وما لم يوجد فى كلام العرب يغير ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن[١] .

وذكر القاضى عياض أن هشام بن أحمد الوقشى (٤٠٨ - ٤٨٩/ ١٠١٧ - ١٠٩٦) ممن جسر على تغيير الكتب وإصلاحها كثيرًا ؛ اعتمادًا على كثرة مطالعته وافتنانه ، وثقوب فهمه ، وحدة ذهنه . ثم وصمه بأنه غلط فى أشياء من ذلك ، هو وغيره ممن سلك مسلكه[٢] . وحبذ التمسك بالأصل وقال : الأولى سد باب التغيير والإصلاح ؛ لئلا يجسر على ذلك من لا يحسن . ووصف طريق المتمسكين بأنه أسلم مع التبيين . فيذكر ذلك عند السماع - كما وقع - ثم يذكر وجه صوابه : إما من جهة العربية وإما من جهة الرواية . وإن شاء قرأه أولا على الصواب ثم قال : وقع عند شيخنا أو فى روايتنا أو من طريق فلان : كذا وكذا . وهذا أولى من الأول ؛ كيلا يتقول على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يقل[٣] .

وذهب ابن الصلاح إلى أنه ينبغى للمحدث أن لا يروى حديثه بقراءة لحّان أو مصحِّف ، وحقٌّ على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شَيْن اللحن والتصحيف ومعرتهما . ووصف الالتزام بالأصل المخطئ بأنه غلو فى مذهب اتّباع اللفظ ، والمنع من الرواية بالمعنى . ووصف مذهب المغيرين بأنه مذهب المحصِّلين والعلماء من المحدِّثين ، والقول به - فى اللحن الذى لا يختلف به المعنى وأمثاله - لازم على مذهب تجويز رواية الحديث بالمعنى ، وقد سبق أنه قول الأكثرين .

وأما إصلاح ذلك وتغييره فى كتابه وأصله ، فالصواب تركه ، وتقرير ما وقع فى الأصل على ما هو فيه ، مع التضبيب عليه ، وبيان الصواب خارجا فى الحاشية ، فإن ذلك أجمع للمصلحة وأنفى للمفسدة . . .

وكثيرًا ما نرى ما يتوهمه كثير من أهل العلم خطأ - وربما غيروه - صوابًا ذا وجه صحيح ، وإن خَفِى واستُغرب ، لا سيما فيما يعدونه خطأ من جهة العربية ، وذلك لكثرة لغات العرب وتشعبها[٤] .

---

(١) ابن الصلاح : هامش ٣٣٨ . عبدالمجيد دياب ، ٢٢٢ .

(٢) ابن الصلاح ، ٣٣٩ . ابن كثير ، ١٢٢ .

(٣) ابن الصلاح ، ٣٤٠ .

(٤) مقدمته ، ٣٣٧ - ٩ . هارون ، ٤٠ .

ففرق بين ما هو مدون فى كتاب ، وما هو مروى شفاها ، وأوجب الالتزام بالمدون دون تغيير ، وأوجب التغيير فى المروى ، فى الأخطاء اللغوية والتصحيف .

وصرح عبدالسلام هارون بأن التحقيق معناه أن يؤدى الكتاب أداء صادقًا كما وضعه مؤلفه ، كما وكيفا بقدر الإمكان .

فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه ، أو نُحلّ كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها ، أو أجمل ، أو أوفق ؛ أو ينسب صاحب الكتاب نصا من النصوص إلى قائل وهو مخطئ فى هذه النسبة ، فيبدل المحقق ذلك الخطأ ، ويحل محله الصواب ؛ أو أن يخطئ فى عبارة خطأ نحويا دقيقا[1] ، فيصحح خطأه فى ذلك ؛ أو أن يوجز عبارته إيجازا مخلا ، فيبسط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال .

ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا ، وإنما هو أمانة الأداء التى تقتضيها أمانة التاريخ . فإن متن الكتاب حَكَم على المؤلف ، وحكم على عصره وبيئته ، وهى اعتبارات تاريخية لها حرمتها ؛ كما أن ذلك الضرب عدوان على حق المؤلف الذى له ـ وحده ـ حق التبديل والتغيير .

وإذا كان المحقق موسوما بصفة الجرأة ، فأَجْدر به أن يتنحى عن مثل هذا العمل ، وليدَعْه لغيره ممن هو موسوم بالإشفاق والحذر .

إن التحقيق نتاج خلقى ، لا يقوى عليه إلا من وُهب خَلَّتين شديدتين : الأمانة والصبر ، وهما ما هما .

وعلى الرغم من هذا الالتزام الشديد ، اضطر أن يتخلى عنه فى آيات القرآن . قال : أما الشواهد من القرآن الكريم فلما لها من تقدير دينى ، لابد أن توضع فى نصابها . . . فإن التزمّت فى إبقاء النص القرآنى المحرف فى الصلب ـ كما هو ـ فيه مزلة للأقدام ، فإن خطر القرآن الكريم يجل عن أن نجامل فيه مخطئا ، أو نحفظ فيه حق مؤلف لم يلتزم الدقة فيما يجب عليه فيه أن يلزم غاية الحذر . . .

---

(١) الحق أن وجود هذا الوصف هنا مشكل . فما موقف هارون من الخطأ غير الدقيق ، هل يبيح تصويبه؟ إنه لم يصرح لنا بشىء ، غير أن العبارة يبدو أنها تبيح التصويب .

وأما نصوص الحديث فإن تعدد روايات الحديث تدفعنا إلى أن نحمِّل المؤلف أمانة روايته ، فنبقيها كما كتبها المؤلف إذا وصلنا إلى يقين بأنه كتبها كذلك ، ولندعْ للتعليق ما يدل على ضعف روايته أو قوتها[1] .

يتضح من هذا أن جميع من كتبوا عن التحقيق ـ قدامى ومحدثين ، عربا ومستشرقين ـ أجمعوا على وجوب الالتزام بنص المؤلف ، وعدم إجراء أى تغيير .

وإنما وقع الخلاف بينهم إذا وقع خطأ فى آيات قرآنية وأحاديث نبوية . فهى نصوص لها قداسة ، لا يتحمل أكثر المسلمين رؤية سلامتها منتهكة ، فأجازوا التغيير فيها وحدها . أما غيرها من النصوص فلم يبيحوا فيها ذاك . ومع ذلك ، رأينا عبدالسلام هارون يفرق بين الآيات والأحاديث فى التعامل .

وقصروا الأخطاء التى أباحوا فيها التغيير على اللحن (أى الخطأ النحوى واللغوى) ، والتحريف .

أما تغيير أخطاء المعلومات الواردة فى النص بغية تصحيحها ، وتغيير الأسلوب بغية التحسين والتزيين ، فأمر مرفوض رفضًا باتًا .

*

ولكن مراقبتى لنفسى إذ أكتب ما أكتب من مقالات تجعلنى أعيد النظر فيما قيل سابقا . فعندما أعود إلى المسودة أجد نفسى نسيت كلمات تامة ، وكتبت نصف الكلمة الأولى وتركت النصف الثانى مثل (مصا) من (مصابيح) ، وأهملت إعراب ما لا يهمله صبى فى السنوات الأولى من تعليمه .

وتحت سيطرة هذه النتيجة خضتُ تجربتين فى تحقيق كتابين حصلت على نسخ بخط مؤلفيهما ؛ أما الأول والأكثر إقناعا والأقل إثارة للخلاف ، فهو «معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية» لأحمد تيمور باشا . فقد تبين أن النسخة التى حصلت عليها مسودة دون أدنى شك ، وأن المؤلف لم يجد فسحة من الوقت لتبييض الكتاب .

ولما كان المؤلف نهج على أن يدون ما يريد تدوينه فى الصفحة اليمنى ، ويترك اليسرى فارغة . واعتاد أن يطالع فى كتب ، فكلما وجد معلومة تتصل بالعامية المصرية ، دونها فى الصفحة اليمنى التى كان قد خصص فيها مكانا لكل مدخل لغوى تبعًا لترتيبه فى الألفباء ؛

---

(١) تحقيق النصوص ، ٣٨ ـ ٤٠ ، ٦١ . نغش ، ٣٢ .

ولذلك جاءت المداخل مرتبة فى الورود . ولكن المادة العلمية داخلها جاءت متناثرة ، ومكررة أحيانا . فكانت فى حاجة إلى من يرتبها ؛ ليجعلها مماثلة للمداخل المعتادة فى المعاجم اللغوية ، وصالحة للقراءة النافعة .

وفى كثير من الأحيان واصل القراءة فحصل على مداخل جديدة ، ومعلومات لم يوردها فى مداخلها ، فاستدرك ذلك كله فى الصفحات اليسرى .

ولذلك رأيت المداخل فى حاجة إلى إعادة ترتيب ورودها ، فرتبتها ، ورأيت المعلومات فى داخل المداخل فى حاجة إلى إعادة تنظيم ، اضطرنى إلى شىء من الحذف والعطف ، ففعلت دون أن أضيف شيئا من عندى غير أدوات العطف فى أحايين قليلة . وسميت ما فعلت «إعدادًا وتحقيقًا» . ولم أشعر أننى أخون أمانة الكتاب ، بل أومن أننى خلقت من الأمشاج التى تركها تيمور باشا كتابا سويا .

وكانت التجربة الثانية فى «النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة» لابن سعيد (على ابن موسى المغربى (٦١٠ ـ ٦٨٥/ ١٢١٤ ـ ١٢٨٦) . فقد تبين من الإشارات المتعددة ، والاقتباسات المختلفة أن المؤلف أخرج ـ على الأقل ـ نسختين ، وأن النسخة التى بين يدى هى الأولى ، وإن كان إهداؤه إياها لابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد ٥٨٨ ـ ٦٦٠/ ١١٩٢ ـ ١١٦٢) يدل على أنه كان يعدها مبيضة . ولكن إصلاحه بعض العنوانات فيها ، وعدم ذكر السجعة المطلوبة ـ كما فى (شلوبينة) و(لوشة) ـ وتركه بياضا أحيانا ، وأخطاءه بعامل السرعة ، وتنبيهه على حذف تراجم كان قد كتبها[1]ـ كل ذلك يدل على أنها لم تأخذ شكلها النهائى .

وقد عثرت فى الكتاب على أخطاء كثيرة ، تركتها كما هى ، ونبهت عليها فى التعليقات . ولكننى وجدت أخطاء أخرى كل الظروف تدعو إلى تغييرها ، وإلا شاهت صورة الكتاب ، ففعلت . أمثل لذلك بما يلى :

ـ ص ٢٥ : فى الأصل : (وعندما يقبل المسافر عليها يرى أسوارا سودا كدرا) ، ولا تتسق العبارة ، فإما أن تكون (أسوارا سودا كدرة) ، أو (سورا أسود كدرا) ، وهى رواية خطط المقريزى[2] .

---

(١) النجوم الزاهرة ، ١٥ ، ٢٢٦ ـ ٧ .

(٢) النجوم الزاهرة ، ٢٥ . وانظر ٥٦/ ٣ ، ١٠٤/ ٢ ، ٢٣٠/ الأخير ، ١/٢٤١ ، ٣/٢٨٥ ، ٣٨٥/ الأخير .

ـ ص ٥٥ : فيه : حسن بن عمار بن حسن (الكلبى) ، وصوابه (الكندى) ، ورأيت أنه هفوة قلم[1] .

ولذلك أرى أن واجب المحافظة على نسخة المؤلف يجب أن يحترم ، وأن المحقق الخبير قد يرى الخروج على هذا الواجب فى أمور محدودة ، وأن الهدف الوحيد الذى يتوخاه فى هذا الخروج يجب أن يكون إقامة النص ، ولا شىء آخر ، وأن كل كتاب هو الذى يفرض الأمور التى يمكن الخروج من أجلها .

(١) النجـــوم الزاهرة ، ٥٥ . وانظر ١١٨/ ١٥ ، ١١٩/ ٢ ، ١٢٣/ ٣ ، ٨ ، ١٣٠/ ١١ ، ١٣٦/ ١٠ ، ٥/١٥٠ ، ٨ ، ١٥٧/ ٨ ، ٢/١٧٤ ، ٢٤٢/ ٩ ، ٢٤٣/ ٣ ، ٢٥٤/ ١٣ ، ٢٦٦/ ٢ ، ٢٧١/ ٣ ، ٢٧٥/ ١٤ ، ٢٧٧/ الأخيـر ، ٣١٧/ ١٥ ، ٣١٨/ ١٠ ، ٦/٣٣٠ ، ١٥ .

المراجع

١ ـ ابن الصلاح : مقدمته ـ تحقيق د . عائشة عبدالرحمن ـ مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطبوعات مركز تحقيق التراث ـ ١٩٧٦ .

٢ ـ برجستراس : أصول نقد النصوص ونشر الكتب ـ إعداد وتقديم د . محمد حمدى البكرى ـ السعودية ـ الرياض ـ دار المريخ للنشر ـ ١٩٨٢ .

٣ ـ البلقينى : محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح ـ تحقيق د . عائشة عبدالرحمن ـ مع مقدمة ابن الصلاح .

٤ ـ دياب ، عبدالمجيد : تحقيق التراث العربى : منهجه وتطوره ـ مصر ـ دار المعارف ـ ١٩٩٣ .

٥ ـ شاكر ، أحمد محمد : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحفاظ ابن كثير ـ القاهرة ـ دار التراث ـ ط٣ ـ ١٩٧٩ .

٦ ـ ضيف ، شوقى : البحث الأدبى ـ مصر ـ دار المعارف ـ ١٩٧٢ .

٧ ـ القيسى ، نورى حمودى ، و سامى مكى العانى : منهج تحقيق النصوص ونشرها ـ بغداد ـ مطبعة المعارف ـ ١٩٧٥ .

٨ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : أسس تحقيق التراث العربى ومناهجه ـ منشورات معهد المخطوطات العربية ـ ط١ ـ الكويت ١٩٨٥ .

٩ ـ نغش ، محمد : كيف تكتب بحثًا أو تحقق نصًا ـ ط٢ ـ مطبعة سعدى وشندى ـ القاهرة ١٣٠٤هـ/١٩٨٣م .

١٠ ـ هارون ، عبدالسلام : تحقيق النصوص ونشرها ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٥٤ .

الطب الإسلامي أساس العلوم الطبية المعاصرة
دراسة تأصيلية

أ. د. أحمد فؤاد باشا*

مقدمة :

حققت الحضارة الإسلامية انتشارًا ودواما متلازمين لم تحققهما أية حضارة أخرى عبر التاريخ ، وكانت مصدر الإشعاع الوحيد الذى غمر بنوره كل أنحاء الدنيا فى العصور الوسطى ، ولا تزال آثارها ومؤلفات علمائها خير شاهد على دورهم الريادى فى مسيرة التقدم العلمي والتقنى . وفى مجال الطب والصيدلة كان لهؤلاء العلماء القدح المعلى ، سواء فى فن الترجمة والتأليف ، أو فى اتباع المنهج العلمى السليم ، أو فى السبق إلى العديد من الاكتشافات التى قامت عليها العلوم الطبية والصيدلية الحديثة ، ولا يزال العالم ينعم بثمارها وفوائدها حتى اليوم .

وهذه الدراسة التأصيلية تحاول أن تعود بالعلوم الطبية والصيدلية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الإسلامى الذى كان شاهدًا على ميلادها ، وأن تتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر ، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة ، وروافد لاغنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية فى الحاضر والمستقبل .

وسوف نسعى من خلال ذلك الى أن نلقى الضوء على بعض ما يتضمنه التراث الطبى لعلماء الحضارة الإسلامية من نظريات وأفكار ومفاهيم ذات قيمة معرفية ومنهجية ، تشكل الأساس لكثير من المباحث العلمية الدقيقة التى تعامل اليوم كعلوم تخصصية فرعية شبه مستقلة ؛ نظرا لاتساع دائرة البحث فى موضوعاتها ، مثل : علوم التشريح والجراحة ، والطب السريرى ، وطب الفم والأسنان ، وطب النساء والتوليد ، وطب الأطفال ، والطب النفسانى ، والطب الوقائى ، والطب البيئى ، والطب الاجتماعى ، والصحة العامة ، وطب الأعشاب والعقاقير ، والأقربازين ، والطب البديل ، وغيرها .

(أ) علم التشريح :

حظى علم التشريح ، والتشريح المقارن باهتمام خاص لدى علماء الحضارة الإسلامية ؛ حيث جعلوا دراسته أساسًا لكل فروع الطب ، واعتبروا ممارسته ضرورية لفهم وظائف الأعضاء ، وعدّوا إتقانه ضمانًا لسلامة التشخيص والعلاج .

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة ، ونائب رئيس جامعة القاهرة سابقًا .

ولم تكن مؤلفات اليونان فى التشريح هى المصدر الوحيد لمعلومات علماء المسلمين ـ كما يدعى بعض المؤرخين غير المنصفين ـ ولكن الإبداع الحقيقى فى هذا العلم بدأ فى عصر النهضة الإسلامية ، حيث كانت النتائج تُستخلص بناءً على المشاهدات والتجارب ، وليس على ما قاله الأقدمون من آراء نظرية وفلسفية . وكان الحكم فى أى قضية علمية يستند إلى العقل والمنطق والخبرة والتجربة ، بصرف النظر : هل وافق هذا الحكم رأى السابقين أو خالفهم .

ويعتبر أبو بكر الرازى من أوائل الأطباء المسلمين الذين ألفوا فى علم التشريح عن دراية واقتدار ، فقد ذكر أن رجلا سقط عن دابته ، فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه ، ولما علم أنه سقط على آخر فقار فى الرقبة ، قام بمداواة ما بين كتفيه ؛ لأنه – كما يقول – كان يعلم من التشريح أن العصب الذى يخرج من أول خرزة بين الكتفين يصير الى الأصبعين : الخنصر والبنصر ، ويتفرق فى الجلد المحيط بهما ، وفى النصف من جلد الوسطى .

وعندما علم عبداللطيف البغدادى ـ أحد أصفياء صلاح الدين الأيوبى ـ بوجود تل كبير من الهياكل العظمية البشرية فى مكان ما بالقاهرة ، سافر الى هناك وفحص الآلاف من هذه الهياكل فحصًا دقيقًا ، وشاهد – كما يقول – من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها ، وتناسبها ، وأوضاعها ، ما أفاده علما لم يكن ليجده بين دفات الكتب ، وكان من بين ما توصل إليه أن الفكَّ الأسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل ، وليس مؤلفا من عظمتين يجمع بينهما مفصل أو تدريز كما قال «جالينوس» .

وقد أوصى ابن النفيس بأهمية دراسة التشريح المقارن ؛ لما رأى من تباين فى تركيب أجسام الحيوانات المختلفة ، وتوصل من ذلك – قبل «هارفى» الإنجليزى بعدة قرون – إلى كشف الدورة الدموية الصغرى ، بعد أن عرف تشريح الشرايين والأوردة فى الرئة ، وضمّن هذا الاكتشاف الرائد كتابه الشهير المعروف باسم «شرح تشريح القانون» . كذلك توصل ابن النفيس من تشريح عيون الحيوانات إلى أن منفعة العين ـ كآلة للإبصار ـ لا تتم إلا بعصب يأتى من المخ ويميز المرئيات ، وهو العصب النورى ، أو العصب البصرى الذى يعرفه العلم الحديث ، ويقوم بنقل صور المرئيات التى تنطبع على الغشاء العصبى لشبكية العين إلى مركز الإبصار بالمخ ، حيث يتم تفسيرها وتحليلها والرد عليها بأجوبة وأفعال فورية ، فليست العين فى حقيقة الأمر سوى جهاز يرى به المخ كل شىء .

وكتب ابن سينا ، وابن الهيثم ، وعلى بن عيسى الكحال . . . وغيرهم فى علم التشريح الوصفى - عن تشريح العين ، وطبقاتها ، وأعصابها ، ومصدر غذائها ، وعلامات أمراضها ، وعيوب إبصارها ، وعرفوا أن حركة المقلة تحدث نتيجة لانقباض عضلات العين ، وأن حركة الحدقة تتم بانقباض القزحية وانبساطها(١) .

وتجدر الإشارة هنا الى خطأ زَعْم المستشرقين عدم مزاولة التشريح فى العصر الإسلامي ، فكثيرًا ما نجد فى مؤلفات المسلمين عبارات من قبيل : «إن التشريح يكذب ما ذكر» ، أو «إن التشريح يبرهن كذا وكذا» ، كما أن ما أثبتوه من أوصاف تشريحية لأجزاء الجسم المختلفة لايصدر إلا من خبراء ، رأوا ولاحظوا وقارنوا وجربوا (٢) .

وبينما كان علم التشريح يشهد أزهى مراحل تطوره فى عصر النهضة الإسلامية ، ويدفع فى ركابه كل فروع الطب الأخرى ؛ لتحرز الكثير من الاكتشافات العلمية الأصيلة - كانت أوروبا فى العصور الوسطى تعتبر مهنة الطب بصفة عامة ، وممارسة التشريح والجراحة بصفة خاصة ، من الأعمال المشينة التى تنال من جلال الروح والجسم ، وتزيد الآلام أكثر مما تعمل على تخفيف وطأتها . ولم يؤخذ بالتشريح كعلم أساسى فى كليات الطب فى أوروبا إلا فى القرن السادس عشر الميلادى ، بعد أن تعلم الغربيون أصوله ، واقتبسوا فنونه من المؤلفات العربية لعلماء الحضارة الإسلامية .

(ب) علم الجراحة :

تقدم علم الجراحة وعلا شأنه بين فروع الطب على أيدى العديد من علماء الحضارة الإسلامية الذين برعوا فى إجراء العمليات الجراحية بآلات وأدوات مناسبة ، واستخدموا الأوتار الجلدية ، وأمعاء القطط والحيوانات الأخرى فى تخييط الجروح بعد العمليات الجراحية ، وأظهروا دراية فائقة بجراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم : كالأعصاب ، والعظام ، والعيون ، والأذن ، والأسنان ، والفتق ، وشق القصبة الهوائية ، وتفتيت الحصاة داخل المثانة ، واستئصال الأورام الليفية فى الأغشية المخاطية ، واستئصال الأورام الخبيثة ، وغيرها .

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، بإشراف د .محمد كامل حسين . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ للنشر .

(٢) د . ماهر عبدالقادر محمد على : مقدمة فى تاريخ الطب العربى . دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

وقد وصف أبوبكر الرازى فى كتابه « الحاوى» عملية جراحية فى الأعضاء الآلية بقوله : «يجب أن تكون عالمًا بالعصب الذى يأتى إلى كل واحد من الأعضاء ، وما منها عصب الحس وما منها عصب الحركة ، وفعل العصب يبطله إما بتره البتة فى العرض ، أو رضه ، أو سدّه ، أو لورم يحدث فيه ، أو لبرد شديد يصيبه ، إلا أن الورم والسدّة والبرد قد يمكن أن يرجع فعله إذا ارتفعت علله ، وإن حدث فى نصف العصب ـ عرضًا ـ قطعٌ استرخت الأعضاء التى فى تلك الناحية ، وإن شُق العصب بالطول لم ينل الأعضاء ضرر البتة ، فاقصد أبدًا عند بطلان حس عضو أو حركة إلى أصل العصب الجائى إليها»[1] .

وللرازى وصف جيد لعملية إزالة جزء من العظام المريضة أو استئصالها كلها ، واستخدامه الماء البارد فى علاج الحروق ، وهي طريقة حديثة جدًا ، وتستعمل فى الوقت الحاضر كإجراء إسعاف أولى لحروق الأطراف ؛ حيث يوضع الذراع أو الساق فى ماء بارد لمدة دقيقتين ، وقد ثبت أن هذا يؤدى الى تخفيف الألم وتقليل فقدان البلازما[2] .

وللرازى كتاب آخر اسمه «المنصورى» ، أفرد فيه المقالة السابعة للجراحة ، وجعلها من تسعة عشر فصلا ، وهى تعنى بجمل من صناعة الجبائر والجراحات ، والقروح وعلاجاتها .

أما أبو القاسم الزهراوى - الملقب بفخر الجراحة العربية - فيعتبر كتابه القيم «التصريف لمن عجز عن التأليف» موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءا ، ومزودة بوصف الآلات المستخدمة فى إجراء العمليات الجراحية وكيفية استخدامها ، مع بيان تفصيلات كل منها بالرسوم الإيضاحية . وقد اكتسب هذا الكتاب أهمية كبرى ؛ على اعتبار أنه الأول من نوعه فى الموضوع ، وحظى باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا ، وبقى مرجعًا تدريسيًا معتمدا فى الجامعات الأوربية لعدة قرون . وأول لغة ترجم إليها هذا الكتاب ـ عقب ظهوره ـ كانت اللغة العبرية ، ثم ترجم الى اللاتينية «بالبندقية» عام ١٤٩٥م ، و«فينسيا» عام ١٤٩٧م ، و»استراسبورج» عام ١٥٣٢م ، و«بال» عام ١٥٤١م . ونشر الجزء الخاص بالجراحة من هذا الكتاب مرتين : إحداهما بالنص العربى مع ترجمته اللاتينية فى مجلدين بلندن عام ١٧٧٨م ، والثانية بالنص العربى فقط فى «لكنو» بالهند عام ١٩٠٨م[3] .

---

(١) د . أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة . القاهرة ، ١٩٨٤م .
(٢) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بمرجع سابق .
(٣) د . أحمد مختار منصور : دراسة وتعليق على كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» الجزء الثلاثون – للزهراوى ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد٢٦ ، الجزء الثانى . الكويت ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م .

ولقد عرف علماء الحضارة الإسلامية نظام الفريق فى إجراء العمليات الجراحية الكبيرة ، حيث يشرف أحد الأطباء على التخدير ، ويراقب آخر حالة النبض ، بينما يقوم الثالث بإجراء العملية ، يعاونه مساعد يمسك له موضع الجرح بآلة ذات شقين .

ويأتى وصف على بن عباس لإحدى عمليات استئصال الورم ـ دليلا على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الجراحة فى عصر النهضة الإسلامية ، فيقول معلمًا تلاميذه : «عليك أن تقص بهدوء وتروٍّ ، فتفصل الورم عمّا حواليه ، واحرص على ألا تقطع أى شريان ؛ حتى لا يحدث أى نزيف مكان العملية ، فيضايقك فى عملك ويعوقك عن الرؤية ، فإذا ما انتزعت الورم ، ادخل إصبعك فى التجويف ، وتحسسه لعل هناك بقايا منه . . . وإذا ما انتزعت الورم كله وتأكد لك زوال بقاياه المترسبة ، اجمع الجلد واقطع منه الزائد واستعمل فى التخييط نسيلا من الأمعاء . . . وأما السرطان فهو حقل لم يفلح فيه الطب والتطبيب إلا نادرًا ، لذلك عليك أن تقلع الورم من جذوره حتى لا تبقى منه بقايا أو رواسب ، ثم تضع فى التجويف خرقة (مطهرة) لئلا يحصل أى تعفّن أو التهاب» (١) .

وإدراكا من علماء الحضارة العربية الإسلامية لأهمية الجراحة ، فإنهم أدخلوا نظام الامتحانات وإعطاء الإجازات ، وفيما يلي نص شهادة حصل عليها طبيب عربي مختص بالجراحة الصغيرة : «بسم الله الرحمن الرحيم . بإذن البارئ العظيم ، نسمح له بممارسة فن الجراحة ؛ لما يعلمه حق العلم ، ويتقنه حق الإتقان ؛ حتى يبقى ناجحًا وموفقًا فى عمله ، وبناء على ذلك فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى ، واستئصال البواسير ، وقلع الأسنان ، وفتح الشرايين ، وتخييط الجروح ، وتطهير الأطفال . . . وعليه ـ أيضًا ـ أن يتشاور دومًا مع رؤسائه ، ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم» (٢) .

والجدير بالذكر أن الجراحة الطبية عند العرب كانت فى بادىء الأمر تعتبر من جملة صناعة الحجامين الذين يقومون بالكى والفصد والبتر ، وكانت تسمى عندهم «صناعة اليد» ، ولكنها تقدمت على أيدى الرازى ، وابن سينا ، والزهراوى ، وغيرهم ، حتى أصبحت تخصصًا طبيا له أهله المؤهلون علميًا لممارسته وتعليمه .

(جـ) علم الطب السريرى :

من المعروف فى مجال العلوم الطبية أن الطب السريرى (الإكلينيكى) يعتبر من

---

(١) د . أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق .

المعارف الضرورية التى لا يستغنى عنها أى طبيب فى أمور التشخيص والعلاج . وقد كان أطباء الحضارة الإسلامية سباقين إلى تأصيل علم الطب السريرى وتقنينه ؛ حيث أدركوا أهمية التعرف على تاريخ المرض والمرضى ، وتسجيل الملاحظات السريرية (الإكلينيكية) ، ونتائج الفحوص والمعاينة ، ومراقبة تغيراتها .

وقد عُرف عن أبى بكر الرازى أنه كان بارعًا ودقيقًا فى دراسة الحالات المرضية دراسة تحليلية تتضمن تاريخ الإصابة ، وتطور حالة المريض ، كما كان يصف مزاج المريض ومهنته وعمره وجنسه ، ويستفسر منه عن بيئته ، وحياته ، وأحوال معيشته ، والأمراض التى أصابته سابقًا ، والأمراض المتوارثة فى أهل بيته وعائلته ، وينصت إليه وهو يعرض شكواه ، ويعطى أهمية كبرى لفحص القلب والنبض والتنفس والبراز عند مراقبة تطور المرض ، ويسجل ذلك كله ؛ لكى يقف على ما يطرأ من تحسن أو تدهور فى الحالة الصحية للمريض .

ويصف الرازى بنفسه منهجه فى علم الطب السريرى بقوله : «كان يأتى عبدالله بن سوادة حميات مخلطة ؛ تنوب مرة فى ستة أيام ، ومرة غبا ، ومرة ربعا ، ومرة كل يوم ، ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات عديدة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعًا ، وإما أن يكون به خراج فى كلاه . فلم يلبث إلا مُدة حتى بال مدّة . أعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك . وإن ما صرفنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خُراج فى كلاه ، أنه كان يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر . . وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى ، إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه - أيضًا - ضعيف المثانة ، ويعتريه هذا الداء ، وهو - أيضًا - قد كان يعتريه فى صحته ، فينبغى ألا نغفل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله»[(١)] .

ويدلنا هذا النص التراثى على سبق الرازى إلى إدراك أصول الطب السريرى ، فهو يلوم نفسه على عدم معرفة المرض لأول وهلة ، وكان يستطيع - لو تقصى الحالة - أن يصل إلى البت فيها . . ثم يلوم نفسه على أنه لم يسأل المريض عن حالته قبل ذلك ، وعن حالة أبيه .

ويبدأ فهم أساسيات الطب السريرى عند المسلمين بما يسمونه «الاستدلالات» ، فيقرر الرازى فى كتابه «المرشد» أو «الفصول» أن استدراك علل الأعضاء الباطنة يحتاج«إلى العلم بجواهرها أولا ؛ بأن تكون شوهدت بالتشريح ، لكن إذا برز منها شيء عرف ، مثال

(١) د . أحمد فؤاد باشا : والتراث العلمى للحضارة الإسلامية ، مرجع سابق .

ذلك : أنه متى خرج بالنفث شيء من جوهر الرئة ، لم يعرف ذلك إلا من قد شاهد ذلك الجوهر فى الرئة مرات» . ويحتاج «إلى العلم بمواضعها ؛ فإن من علم موضع الكبد لم يظن إذا رأى وجعا فى الجانب الأيسر من البطن أنه فى الكبد» . ويحتاج «إلى العلم بأفعالها ؛ فإن من علم أن الحس والحركة تكون بالعصب والنخاع والدماغ ، لم يقصد عند بطلانها علاج أعضاء أخر» . ويحتاج «إلى العلم بأشكالها ؛ فإنه قد تستدرك من ذلك ـ أيضا ـ العلة بأى عضو هى ، مثال ذلك : أن الورم الهلالى الشكل فى الجانب الأيمن مادون الشراسيف (١) يدل على الورم فى الكبد ، إذ شكل الكبد كذلك» . ويحتاج «إلى العلم بأعظامها ، ومثاله : أن الحصاة التى تعظم عن مقدار بطون الكلى لا يمكن تولدها فى الكلى» (٢) .

ومن أبلغ ما ذكر الرازى فى هذا المجال قوله : «علل الأحشاء ونحوها من الأعضاء المستترة عن البصر أصعب تعرفًا ؛ لتواريها عن الحس ، والحاجة فى ذلك إلى استدلالات كثيرة» (٣) .

ويورد ابن أبى أصيبعة فى كتاب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» كلاما للطبيب المصرى على بن رضوان – طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله – يقول فيه : «تعرف العيوب بأن تنظر الى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تنادى به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه ، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بحمل الثقل والمسك والضبط والمشى ، وأنحاء ذلك مثل أن تنظر مشيه مقبلا ومدبرا ، ويُؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما ، وتعتبر بذلك حال أحشائه ، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض والأخلاط ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط ، وتعتبر عقله بأن يُسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء . . .» ، وقد علقت المستشرقة الألمانية «زيجريد هونكه» على ذلك فى كتابها الموسوم «شمس العرب تسطع على الغرب» – بقولها : «يخيل إلينا ونحن نسمع ما قاله ابن رضوان أننا أمام أستاذ فى الطب فى عصرنا الحاضر» (٤) .

وحقيقة الأمر أن اهتمام أطباء المسلمين بالطب السريرى كان جزءاً من اهتمامهم الأكيد بأهمية المنهج التجريبى فى العلوم الطبية ، حيث يتضح من المؤلفات الطبية العديدة

---

(١) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن (المعجم الوجيز) .
(٢) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) زيجريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١م .

التى وصلتنا من تراث الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبى ، فى أدق تفاصيله المعروفة لنا حاليًا ، كان هو أسلوب الأطباء فى ممارسة الطب وتعليمه . ويقسم مؤرخ العلم المعاصر «جورج سارتون» أطباء المسلمين من هذه الزاوية إلى مجموعتين ، الأولى تضم فريق الأطباء الممارسين الذين اهتموا فى المقام الأول بالمرض والتشخيص والعلاج ، معتمدين على المشاهدات والملاحظات ، وكانت الفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية ، ويمثل هذا الاتجاه أبوبكر الرازى الطبيب الفيلسوف . أما المجموعة الثانية فتضم فريق الأطباء المدرسيين الذين درسوا الطب باعتباره جزءا من المعرفة لا غنى عنه ، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقى ، ولهذا أطلق عليهم «الفلاسفة الأطباء» ، ويمثلهم ابن سينا . وجلىٌ أن كلا الفريقين يتبع المنهج التجريبى ويعتمد عليه ، بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية .

وكان لهذا الاتجاه التجريبى أثره البالغ فى محاربة الشعوذة وتجار الطب ، ومكافحة الدجالين الذين كانوا يدعون معرفة المرض والتنبؤ بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ، ويستعينون على ذلك بإرسال الجواسيس لاستكشاف أخبار مرضاهم البسطاء والتقاط أسرارهم ، حتى إذا جاء هؤلاء المرضى إليهم ، أسروا لهم بما عرفوه مدعين أن البول فضاح الأسرار[١] .

(د) طب النساء والتوليد :

تحققت على أيدى أطباء الحضارة الإسلامية اكتشافات رائدة فى مجال طب النساء والتوليد وطب الأطفال ، فقد درس ابن سينا أحوال العقم ، وعرف أن حالات منها تنشأ من فقدان الوفاق النفسى والطبيعى بين الزوجين ، ولا يكون الإنجاب ممكنا إلا إذا افترق الزوجان العقيمان لهذا السبب ، ثم تزوج كل واحد منهما زوجًا جديدًا .

واهتم أطباء المسلمين بالأمراض المختلفة التى تصيب النساء خاصة ، وذلك على أساس من علم التشريح والجراحة ، ودراسة الأعراض التى تطرأ على الصحة ، فتحدثوا عن تشريح الرحم ، وخصائص الطمث واحتباسه ، كما تحدثوا عن أورام الرحم بشىء من التفصيل ، على نحو ما يقول أبوبكر الرازى : «الورم فى الرحم ربما كان فى الرحم كلها ، وربما

---

(١) د . أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية . القاهرة ، ١٩٨٤م .

كان فى فمها ، وقد يكون فى نواحيها ، والعلامات الدالة على الورم على الإطلاق وجع فى المفاصل ، وحرارة ، وتمدد وثقل فى الصلب والفخذين والعانة ، وعسر البول ، واحتباس البراز» .

ويضيف على بن عباس مزيدًا من الإيضاح عن تكوين ألياف الرحم وإصابتها بالسرطان ، فيقول : «فمنها ليف ذاهب الطول ، وهذا الليف أقل ما فيه ، وليف ذاهب واربا ، وليف ذاهب بالعرض . . وحدوث السرطان ربما كان مع تقرح أو من غير تقرح ، فما كان من غير تقرح فيستدل عليه بالوجع الشديد أسفل البطن والعانة . أما إذا كان مع تقرح فتعرض نفس الأعراض السابقة وكثيرا ما يسيل منها رطوبة مائية» . ويقول ابن سينا : «السرطان ورم صلب غير مستوى الشكل ، متفرع منه كالدوالى يؤلمه اللمس ، ردىء اللون ، ويزداد الألم»(١) .

أما فيما يتعلق بالتوليد فقد وضع «على بن عباس» صاحب كتاب «كامل الصناعة» أول نظرية علمية فى التوليد ؛ تقضى بأن حركة الرحم المولدة هى التى تدفع بالثمرة إلى الخروج نتيجة لانقباض العضلات . وبهذا يكون على بن عباس قد أثبت خطأ نظرية أبقراط القديمة عن خروج الجنين بنفسه من رحم أمه نتيجة حركته التلقائية .

ويعترف المنصفون من مؤرخى علوم الطب بفضل أبى القاسم الزهراوى ، الملقب بأمير الجراحة وفخرها فى عصر النهضة الإسلامية ؛ وذلك لما أسهم به فى تطوير طرق التوليد ، وإدخال آلات حديثة وعلاجات جديدة ، فقد درس طرق توليد الجنين فى حالة تقدم الأرجل على الرأس من باب الرحم ، وفى حالة تقدم الوجه على غيره من الأعضاء . كذلك أوصى أبوبكر الرازى بولادة الحوض ، ولكنها نسبت فيما بعد إلى غيره ، وعرفت فى كتب الطب الحديثة باسم «طريقة فالشر»(٢) .

على أن أفضل وصف لوضع الجنين الطبيعى فى جوف أمه يُعزى إلى «ابن القف» الذى ذكر فى كتابه «العمدة فى الجراحة» ما نصه : «أما قعوده فى جوف أمه فإنه يكون معتمدا بوجهه على رجليه ، وبراحتيه على ركبتيه ، وأنفه بين ذلك ، وساقه على فخذيه وهما على بطنه ، ووجهه إلى ظهر أمه»(٣) .

---

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

(٢) زيجريد هونكه ، مرجع سابق .

(٣) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

واهتم أطباء المسلمين كثيرا بطب الأطفال ، وخصوصًا ما يتعلق بالأطفال المولودين لسبعة أشهر ، والأطفال حديثى الولادة ، من حيث استقبالهم حين الولادة ، وكيفية تدثيرهم وتغذيتهم . وأجمعوا على أن رضاعة لبن الأم أفضل طرق التغذية للطفل ، وحذروا من الفطام فى الصيف الحار أو الشتاء القارس ، وهى أمور يؤيدها الطب الحديث بعد بحث طويل . وكتبوا كلاما مفيدا غير مسبوق عن معالجة الأمراض التى تصيب الأطفال كالإسهال ، والربو ، والبول فى الفراش ، والتشنجات ، والحول ، والحميات ، وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أن النساء العرب كنّ يخجلن أن يفحصهن الرجال فى أمراضهن الخاصة ، وفى حالات التوليد كان أكثر الأطباء العرب يأبون أن يفحصوا النساء ، فكانوا يعلمون القوابل طرق الفحص ، وكيف ينقلن المعلومات التى يدل عليها الفحص إلى الأطباء ، فيعرفون بذلك الكثير عن هذه الأمراض . وتشهد المؤلفات التراثية فى تاريخ الطب أن الزهراوى كان يقف خلف ستار خفيف ، ويعطى إرشاداته المناسبة للقابلات فى الحالات العسرة ، كما تذكر هذه المؤلفات قول الرازى : «إذا رأيت احتباس الطمث فقل للقابلة أن تجس عنق الرحم» . بل إن الزهراوى صنف مؤلفا خاصا فى «تعليم القوابل كيف يعالجن الأجنة الحية إذا خرجت على غير الشكل الطبيعى»[(١)] .

ومع ما فى هذه الطريقة ـ غير المباشرة ـ فى علاج النساء من صعوبة ، فقد استطاع أطباء المسلين أن يجمعوا معلومات قيمة عن أمراض النساء والقبالة(التوليد) ، وطب الأطفال ، ودونوا فى ذلك العديد من المؤلفات القيمة .

(هـ) طب العيون :

تميز طب العيون ـ شأنه شأن باقى فروع الطب الإسلامى ـ بأنه لا يختلف عن أسلوب الطب الحديث ، من حيث المنهجية التى يتبعها الأطباء المعاصرون . فقد كان الرازى – على سبيل المثال – يرى أن الطبيب يحتاج فى استدلال علل الأعضاء الباطنة إلى العلم بجواهرها أولاً ، بأن تكون شوهدت بالتشريح ، وإلى العلم بمواضعها من البدن ، وإلى العلم بأفعالها (أى الفسيولوجيا أو وظائف الأعضاء) ، وإلى العلم بأعظامها وما تحتوى عليه (أى المورفولوجيا) ، وإلى العلم بفضولها التى تدفع عنها (أى الباثولوجيا أو علم طبائع الأمراض) ؛ لأن من لم يعرف ذلك لم يكن علاجه على صواب .

---

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

ولقد رفض الرازى ـ نفسه ـ أن تجرى له عملية جراحية فى عينيه ، عندما فقد بصره فى أواخر أيامه ؛ وذلك لأنه سأل الجراح قبل إن يشرع فى عمليته عن عدد طبقات أنسجة العين ، فلما اضطرب الطبيب وصمت قال له الرازى : «إن من يجهل جواب هذا السؤال عليه ألا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عينى»(١) .

ومن ناحية أخرى ، كان أطباء الحضارة الإسلامية يخضعون لرقابة الدولة ، وفقا للائحة خاصة تنظم أسلوب تعاملهم مع الناس ، فكان المحتسب ـ وهو من أرقى الموظفين فى الدولة ـ يكلف بتحليفهم قسم «أبقراط» ، ويحرص على التأكد من حيازتهم الآلات المفروضة لصناعتهم ، واجتيازهم الامتحانات المفروضة عليهم ، ويسعى لضمان ألا يسلموا آلاتهم إلى الدجالين غير المرخصين .

وكان أطباء المسلمين ـ فى علاجهم لأمراض العين ـ يميزون بين العلاجات العامة والعلاجات الموضعية ، ويصفون الراحة والسكون فى الحالات الشديدة ، ويعنون بغذاء المريض ، فيجعلونه خفيفا لطيفا ، ويستعملون الأشياء القابضة والمحللة والمنضجة والمخدرة . فهذا هو على بن عباس يقول فى كتابه «الصناعة الكاملة» الذى صنفه للملك عضد الدولة « . . . إلا أن العين لما كان عضوا زكى الحس ، لم يجز أن تستعمل فيها أدوية قوية ، ولا تورد عليها أدوية كثيرة دفعة ، انظر ؛ فإذا كان السبب باديًا ـ أعنى من حر الشمس والغبار والدخان ـ فإن برءه يكون أولاً بزوال تلك الأسباب ، واستعمال الأدوية المبرئة المقوية للعين ، كالضماد بخرق مبلولة بماء ورد وشىء يسير من الكافور . . .»(٢) .

ولم يترك أطباء المسلمين مرضا من أمراض العين إلا وصفوا أعراضه ، والطرق الناجعة لعلاجه ؛ فتحدثوا عن الانتفاخ ، والحكة ، والقروح ، والبتر ، ، والنتوء ، والشعيرة ، والالتزاق ، والشعر الزائد ، والرمد بأنواعه ، وغير ذلك . وتحتوى كتب الكحالين (أطباء العيون) على شروح تفصيلية للعلاج والعمليات الجراحية ، من ذلك وصفهم لماء العين وأنواعه ومضاعفاته : فمنه ما لونه شبيه بلون الهواء ، ومنه ما يشبه لون الزجاج ، ومنه ما هو أبيض ، ومنه أخضر ، ومنه مائل الى الزرقة ، وهى العلة المعروفة باسم «الجلوكوما» . والماء منه ما إذا قدح أنجب ، ومنه مالا ينجب عند القدح ، وامتحان ذلك بأن تضع يدك على إحدى العينين ، فإن رأيت ثقب العين الأخرى يتسع ، فاعلم أنه متى قدحت أنجب القدح فيها ،

(١) د . أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، مرجع سابق .
(٢) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

وأبصر الإنسان ، وإن لم يتسع فإنها إذا قدحت لم ينجب ولم يبصر الإنسان ، وتمتحنه - أيضًا - بأن تقيم العليل فى الشمس ، وتأمره أن ينظر إليك جيدًا ، وتضع إبهامك على جفنه الأعلى ، وتعرك بها العين وتنحيها بسرعة ، ثم تفتح العين وتنظر ، فإن تحرك الماء حين تنحى إبهامك عنه - فتفرق - فإن ذلك الماء لا ينجب فيه القدح ، وإن بقى مجتمعا لا يتفرق ، فإن الماء قد استحكم والقدح قد ينجب فيه . وعلامة أخرى أجود من ذلك ، إنك متى رأيت لون الماء كلون الحديد المجلى ، أو كلون الرصاص ، فاعلم أن الماء قد استحكم والقدح ينجب فيه ، أما ما كان لونه لون الجص فإنه جامد جدًا ولا يصلح القدح فيه .

واشتهرت المؤلفات المتخصصة فى مجال طب العيون ، مثل كتاب «المنتخب فى علاج أمراض العين» لعمار بن على الموصلى و«تذكرة الكحالين» لعلى بن عيسى الكحال . وفيما يلى نذكر أسماء بعض الأمراض التى ورد ذكرها فى المؤلفات الطبية التراثية ، وما يقابلها فى علم طب العيون المعاصر :[١] .

السبل	PANNUS	الشرناق	PALPEBRAL
الودقة	ECHYMOSI	البردة	CHALAZION
الصفرة	TAUNDICE	المدة تحت القرنية	HYPOION
الشعيرة	ORGELET	الظفرة	PTERYGIUM
الالتزاق	SYNNECHIA	الخيالات	FLYVISION
الغرب(مرض المآقى)	LACRYMAL ABSCESS	القدح	PARACETENSIS
المياه الزرقاء	GLAUCOMA	الكمنة	AMAUROSIS

(و) طب الفم والأسنان :

بدأ طب الفم والأسنان عند العرب فى عصر الحضارة الإسلامية - كما بدأت فروع الطب الأخرى ، بل وفروع العلوم التجريبية كلها عندهم - من تراث ضئيل وصل إليهم نتيجة انفتاحهم على دول كثيرة ذات حضارات موروثة . وبالرغم من أن طب الفم والأسنان كان يحظى من جانب القدماء بمزيد من الاهتمام ، إلا أنه لم يصل الى مرحلة متقدمة من التطور إلا فى عصر الازدهار العلمى للحضارة الإسلامية ، بدءاً من القرن التاسع الميلادى .

(١) المرجع السابق .

وقد برز أبو القاسم الزهراوى فى العلاج الجراحى لأمراض الفم ، فهو يتحدث عن قطع اللحم الزائد فى اللثة فيقول : «كثيرًا ما ينبت على اللثة لحم زائد . . فينبغى أن تعلقه بصنارة ، أو تمسكه بمنقاش ، وتقطعه عند أصله ، وتترك المادة تسيل والدم ، ثم تضع على الموضع زاجًا مسحوقًا ، أو الذرورات القابضة المجففة ، فإن عاد بعد ذلك اللحم ـ وكثيرا ما يعود ـ فاقطع باقيه واكوه ، فإنه لا يعود بعد الكى إن شاء الله تعالى» .

وتكلم الزهراوى فى موضع آخر من كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» عن الأورام تحت اللسان ، فقال : قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعله الطبيعي . . وربما عظم حتى يملأ الفم ، والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس ، وتنظر من الورم ، فإن رأيته كمد اللون وأسود صلبا ، ولم يجد له العليل حسا ـ فلا تعرض له فإنه سرطان ، وإن كان مائلاً الى البياض ، فيه رطوبة ، فألق فيه الصنارة ، وشقّه بمبضع لطيف من كل جهة ، فإن غلبك الدم حين عملك ، فضع عليه زاجا مسحوقا حتى ينقطع الدم ، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكامله ، ثم يتمضمض بالخل والملح ، ثم تعالجه بسائر العلاج الموافق لذلك حتى يبرأ إن شاء الله تعالى .

وقدم الزهراوى وصفًا تفصيليًا لعلاج أمراض أخرى تعرض فى الفم ، مثل تحرير اللسان المعقود ، وكيف يقطع الشكال الرابط له تحته حتى يعود طبيعيًا ، ويصف ما يتبع ذلك من دواء . ومثل إخراج العقد التى تعرض فى الشفتين على هيئة أورام صغار يشبه بعضها حب الكرسنة وبعضها أصغر ، ويصف ذلك بأن «تقلب الشفة وتشق على كل عقدة ، وتعلقها بالصنارة ، وتقطعها من كل جهة ، ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم ، ثم يتمضمض بالخل ، وتعالج الموضع ـ بما فيه قبض ـ إلى أن يبرأ الجرح إن شاء الله تعالى» . ومثل جبر الفك الأسفل إذا انكسر ، وخلع الأسنان ، وغير ذلك . ويصف لكل عملية الآلات الجراحية اللازمة لها ، ويصورها صورًا واضحة ومفصلة ، بما يقربها للدارسين أو القارئين ، ضاربا بذلك المثل فى السبق إلى استخدام الأشكال والرسوم التوضيحية ، على نحو ما نجد فى كتب الطب الحديثة .

وعرض الزهراوى لأول مرة فى تاريخ الطب لوصف الألم المتنقل وخطره ، مما يضعه على مستوى متقدم بين علماء الطب حتى العصر الحاضر ، فهو يقول : «إنه ينبغى أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة . . . وكثيرًا ما يخدع العليل المرض ، ويظن أنه فى الضرس الصحيح فيقلعها ، ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض» .

ويبدو الزهراوى بارعًا دقيقًا فى وصفه لعملية القلع ذاتها ، وهو يستعمل لذلك الكلاليب و«الجفوت» والروافع والمباضع ، وهو يشرح فى ذلك كل خطوة وكل آلة ، ويقول على سبيل المثال : «فإذا صح عندك الضرس الوجع بنفسه ، فحينئذ ينبغى أن يشرط حول السن بمبضع فيه قوة حتى يحل اللثة من كل جهة ، ثم تحركه بإصبعك ، أو بالكلاليب اللطاف أولا قليلاً حتى تزعزعه ، ثم تمكن حينئذ فيه الكلبتين الكبار تمكينا جيدًا ، ورأس العليل بين ركبتيك قد تعقبه يتحرك ، ثم تجذب الضرس على استقامته لئلا تكسره ، فإن لم يخرج وإلا تتخذ أحد تلك الآلات ، فادخل تحته من كل جهة برفق ، ودم تحريكه كما فعلت أولا» . ثم يذكر أنه بعد القلع : «إن العظم به عفن فاجرده من عفنه واسوداده حتى ينقى ، ثم تعالجه حتى يبرأ» ، وهو فى ذلك يشير إشارة واضحة إلى كيفية معالجة العفن مع القلع أو بعده . وبمثل ذلك يشير ابن سينا - أيضًا - ويركز على أهمية التشخيص وخطر القلع إذا كان هناك عفن فى الفك ؛ فذلك يهيج الوجع الشديد ، وربما هيج وجع العين والحمى .

ولا يفوت الزهراوى أن يحذر من : «أن تصنع ما يصنع جهّال الكلابين ، فى جسرهم وإقدامهم على قلعه (أى الضرس) من غير أن يستعملوا ما وصفنا ، وكثيرًا ما يجذبون على الناس بلايا عظيمة ، وأشرها أن ينكسر الضرس ويبقى أصولها كلها أوبعضها ، وإما أن يقلع بعض عظام الفك» .

كذلك عرض أطباء الحضارة الإسلامية لعلاج الأضراس واللهاة المسترخية بالكى ؛ استنادًا إلى قاعدة «آخر الدواء الكى» . وكان من الطبيعى أن يتحدثوا - أيضًا - عن التخدير والتسكين ، فقد عرفوا فى ميدان الجراحة ما يسمى «المرقد» وهو المخدر العام ، وكان ذلك يقوم على استعمال ما أسموه «بالاسفنجة المخدرة» التى توضع على أنف المريض ، فتمتص الأنسجة المخاطية موادّها المخدرة ، ويدخل المريض فى سبات عميق . كما عُرف التخدير الموضعى ، فوصف ابن سينا أحد فروعه ، وهو التخدير بالبرودة ، بقوله : «ومن جملة ما يخدر من غير أذى الماء المبرد بالثلج تبريدًا بالغًا ، أخذاً بعد أخذ ، حتى يخدر السن فيسكن الوجع البتة ، وان كان ربما زاد فى الابتداء» .

وتزخر المؤلفات الطبية التراثية بتفاصيل أخرى كثيرة تتناول ترميم الأسنان المصابة بالتسوس وحشوها ، وعلاج القرحة فى جلدة الفم واللسان ، وعلاج كثرة البصاق واللعاب وسيلانه فى النوم ، وإزالة الرواسب عن الأسنان ، وتعويض الأسنان المفقودة ، وردّ الأسنان وتقويمها إذا مانبتت فى غير مجراها الطبيعي . ولم يفت علماء المسلمين أن يتحدثوا عن طب الأسنان الوقائى ، ويفردوا فى مؤلفاتهم فصولا فى حفظ صحة الفم والأسنان .

(ز) الطب النفسانى :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية لأول مرة فى تاريخ الطب بالأمراض العصبية ، وأثر الوهم والعوامل النفسية فى إحداث الأمراض العضوية . ويعد أبو بكر الرازى أول من وضع أصول علم الطب النفسانى ، وألف فيه كتابا بعنوان «الطب الروحانى» ؛ ليكون - كما قال - قرينًا وعديلا لكتاب «المنصورى» الذى ألفه فى الطب الجسمانى ، فقال فى هذا الموضوع : «قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال ، منها حال الهواء ، والاستحمام ، ونقصان الشرب ، وكثرة إخراج الدم ، والهموم النفسية ، . . .» ، ففى هذه الحالة ، قد يكون المرض جسمانيًا والسبب نفسانيًا ، وهو ما يعنى به أحدث فروع الطب المعروف باسم «الطب النفسانى» .

كذلك درس ابن سينا النبض وحالاته دراسة وافية ، وبيّن أثر العوامل النفسية فى اضطرابه ، وتوسع فى دراسة الأمراض العصبية والاضطرابات النفسية ، وعالجها عن فهم ودراية ، وقال : «علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجعها هى العلاجات التى تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية ، وتشجيعه ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه وأسماعه بما عذب من الموسيقى ، وجمعه بالناس الذين يحبهم» .

وكان الكندى - فيلسوف العرب وعالم الرياضيات والفلسفة والموسيقى - يتخذ من الألحان وسيلة لعلاج مرضاه ، ورد طبيعتهم الخارجية عن الاعتدال إلى التوازن النفسى والعقلى الذى يعيد الصحة .

كذلك كتب الحسن بن الهيثم عن تأثير الموسيقى فى الإنسان والحيوان . وكان يخصّص فى كل مستشفى كبير قسم لعلاج الأمراض العصبية والعقلية ، بطرق إنسانية مبتكرة .

ونجد فى مؤلفات الطب التراثية وصف الكثير من الأمراض النفسية والاضطرابات العقلية ، مثل : اختلاط الذهن ، والهذيان ، والرعونة ، والمانيا MANIA ، والمالنخوليا .

وبينما كان هذا هو الحال مع الطب النفسانى فى عصر النهضة الإسلامية ، كان مرضى الأعصاب فى أوربا يعاملون كمجرمين ، فيسجنون ويعذبون ؛ اعتقادًا بأن هذا المرض لعنة من السماء حلت بصاحبها عقابًا له على إثم زعموا أنه ارتكبه ، أو أن شيطانًا دخل فى نفسه ولا سبيل الى طرده إلا بالقوة . وبقيت هذه الخرافات شائعة فى الغرب حتى أواخر القرن

الثامن عشر الميلادى عندما تجرأت بعض الأصوات وبدأت تنادى بضرورة تحرير المجانين السجناء وتسليمهم لعناية الأطباء(١) .

(ح) الطب البيئى :

لقد سبق الدين الإسلامى الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد ، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التى يعيش فيها : أما المبدأ الأول فهو «درء المفاسد» حتى لا تقع بالبلاد والعباد ، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة ؛ حيث لا ضرر ولا ضرار ، وأما المبدأ الثانى فهو «جلب المصالح» وبذل كل الجهود التى من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية .

وأهم ما يميز المنهج الإسلامى فى الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال فى كل تصرفات الإنسان ، باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئى المحكم الذى وهبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ للحياة والأحياء فى هذا الكون . قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الروم :٤١) . ولقد أقام الإسلام بناءه كله على الوسطية والتوازن والاعتدال والقصد ، وحثت التعاليم الإسلامية على حماية البيئة والاهتمام بالنظافة العامة ، واعتبرت التلوث بكل أشكاله نجاسة كريهة يجب على المسلمين التطهر منها . وقد ورد لفظ «طهر» ومشتقاته فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة ؛ لإيجاب طهارة البدن والنفس المؤمنة والبيئة الإنسانية فى الظاهر والباطن .

وينسب إلى علماء المسلمين وأطبائهم فضل السبق إلى الاهتمام بالمشكلات البيئية ، وتأسيس ما يعرف اليوم بعلم الطب البيئى ، فقد علموا ـ بحكم تخصصهم كأطباء ـ أثر البيئة على الصحة ، وعرفوا ـ بحكم عقيدتهم الإسلامية ـ أهمية الطب باعتباره علمًا نافعًا يهدف إلى صحة العقل والنفس والبدن ، التى تعين على توفير كافة المقاصد الرئيسية الخمس للشريعة الإسلامية كما يراها الفقهاء ، وهي بترتيب أهميتها : الدين والنفس والعقل والنسل والمال . ففي كتابه «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» يتحدث ابن رضوان المصرى عن الأمراض الوافدة (أى المعدية) ، ويعزوها إلى أربعة أسباب هى : «تغير كيفية الهواء والماء والغذاء والأحداث النفسانية» ، ثم ينصح بضرورة أن «تكون المساكن فسيحة لينحل منها من

(١) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

البخار (أى الرطوبة)مقدار وافر ، ويكون لها مخاريق (طيقان وشبابيك وأبواب) ينحل منها البخار ، ويدخل منها شعاع الشمس ، وينبغى أن تكون مرخمة ، أو مبلطة ، أو معمولة بالجص والجبس ، ويتعاهد تنظيفها ، وتفرش فى الأوقات الحارة بالحصر الباردة» . ويحذر ابن رضوان من خطورة التلوث الهوائى والمائى على الصحة قائلا : «الهواء يتغير معه الأشياء التى يحيط بها ، وإن الماء إذا تغير ـ وإن كان كثيرا كماء النيل ـ غير الهواء . وكذلك أنفاس الناس تغير الهواء إذا كثر فيهم المرض . . من أجل هذا ينبغى أن تصرف العناية فى كل مرض وافد الى إصلاح الهواء» [(١)] . وقد حظى هذا الكتاب لابن رضوان باهتمام الباحثين مؤخرًا بعد أن ترجمه ميشيل دولز M.W.Dols إلى الإنجليزية ، ونشره سنة ١٩٨٤م .

ويزخر التراث الإسلامى بمؤلفات عديدة حول البيئة وسلامتها من جوانب مختلفة ؛ فعلى سبيل المثال ، ألف الكندى «رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء» ، و«رسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية» ، ووضع ابن المبرّد كتابا أسماه «فنون المنون فى الوباء والطاعون» ، وتكلم ابن سينا بالتفصيل فى كتابه «القانون» عن تلوث المياه بشكل عام ، وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال ، كما وضع شروطًا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع ما للسكنى .

أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد ، فاختار الناحية التى لا يفسد فيها اللحم بسرعة . وكانت المستشفيات بصورة عامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال ، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشئ مستشفى فى القاهرة اختار لها أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء ، وحوله إلى مستشفى ضخم كبير هو المستشفى الناصرى .

وقد ألف الرازى «رسالة فى تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعا لذلك» ، بينما تحدث أبو مروان الأندلسى فى كتابه «التيسير فى المداواة والتدبير» عن فساد الهواء الذى يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد . وجاء فى كتاب «بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن المطران الدمشقى ـ ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض ، فقال : «ينبغى للطبيب إذا أقدم على مداواة قوم فى بلد ، أن ينظر فى وضع المدينة ، ومزاج الهواء المحيط بها ، والمياه الجارية فيها ، والتدبير الخاص الذى يستعمله قوم دون قوم ؛ فإن هذه

---

(١) على بن رضوان : دفع مضار الأبدان بأرض مصر ، ابن قتيبة ، الكويت ١٩٩٥م .

هى الأصول ، ثم بعدها النظر فى سائر الشرائط» . وهذه رؤية متقدمة فى علم الطب البيئى الذى أصبح من أهم العلوم الطبية المعاصرة .

وكتب ابن قيم الجوزية فى كتابه «الطب النبوى» فصلا عن الأوبئة التى تنتشر بسبب التلوث الهوائى ، والاحتراز منها ، ولخص ذلك الفصل بقوله : «والمقصود : أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون ، وأن فساد جوهر الهواء هو الموجب لحدوث الوباء ، وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة ؛ لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه ، كالعفونة والنتن والسمية ، فى أى وقت كان من أوقات السنة ، وإن كان أكثر حدوثه فى أواخر فصل الصيف وفى الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها فى فصل الصيف ، وعدم تحللها فى آخره . وفى الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التى كانت تتحلل فى فصل الصيف ، فتنحصر فتسخن وتعفن ، فتحدث الأمراض العفنة ، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعدا قابلا رهلا قليل الحركة كثير المواد . فهذا لا يكاد يفلت من العطب» .

ويتضح من هذه الأمثلة التى ذكرناها أن علماء الحضارة الإسلامية تناولوا المشكلات البيئية فى أجزاء أو فصول من مؤلفاتهم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، حيث نجد من بين علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع فى كتاب مستقل ليؤكد أهميته فى حياة الناس على مر العصور . فقد صنف محمد بن أحمد التميمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كتابًا كاملاً عن التلوث البيئى وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه ، وفصل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة ، وتبادل التلوث بين عناصرها ، وجعل عنوانه : «مادة البقاء فى إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء» ، وأوضح فى مقدمته الغرض من تأليفه بقوله : « . . . وكان الباعث لى على تأليف هذا الكتاب والعناية بهذا الأمر ، أنى نظرت حال علماء الأطباء ، الساكنين بالأمصار الفاسدة الأهوية والبلدان المشهورة بالأوبئة ، الكثيرة الأمراض ، التى يحدث بها عند انقلابات فصول السنة الأمراض القاتلة والطواعين المهلكة ؛ لأجل فساد أهويتها بمجاورة الأنهار الكثيرة المدود ، والمدائن التى تحدق بها الغدران ، ومناقع المياه الآجنة ، والمشارب الكدرة ، التى تتصاعد أبخرتها إلى الجو فتفسده وتغلظه ، مع ما يعضد ذلك ويقويه من أبخرة الزبول ومجارى مياه الحمامات بها ، وأبخرة الجيف من الحيوانات الميته الملقاة فى أقنيتها وظواهرها وعلى ممر مسالك طرقاتها ، كأرض مصر ودمشق ، والمدن التى تلى سواحل البحار ويعظم بها مدود الأنهار ، مثل : بغداد ، والبصرة ، والأهواز ، وفارس ، وسواحل بحر الهند ، كعمان ، وسيراف ، وعدن ،

وما جرى مجرى هذه الأمصار العظام التى تجاور البحار ، وتخترقها الأنهار ، وتحدق بها مناقع المياه الراكدة والجارية ، وبخاص ما كان منها منكشفا لمهب ريح الجنوب مكتفلا بالجبال وبأقوار الرمال عن مهب ريح الشمال ، فكان الأولى بالذين يتولون منهم علاج ملوكها وخاصة رؤسائها وعامة أهلها ، أن تكون عنايتهم بمداواة الهواء الفاسد ، المحدث لوقوع الأوبئة بها ، الجالب الطواعين على سكانها ، أولى وأوجب من عنايتهم بمداواة ما يتحصل بذلك من الأمراض المخوفة فى أجساد أهلها . وأن يصرفوا همهم إلى ذلك ويفرغوا له نفوسهم . .»[(١)] .

وهكذا ، كلما أجلنا النظر فى نصوص الشريعة الإسلامية ، وصفحات التراث الإسلامى وجدنا منهجا إسلاميا حكيما ينهى عن التلوث والفساد بكل صوره وأشكاله . وليس التلوث الذى تعانى منه البشرية اليوم فى مختلف النظم البيئية سوى مظهر من مظاهر الفساد فى الأرض الذى جلبه الإنسان لنفسه ، ولو طبقت تشريعات الإسلام على الوجه الأكمل لما وصل الإنسان ببيئته وصحته إلى هذه الدرجة الخطيرة من التدهور .

(ط) الطب الوقائـــى :

يحتل الطب الوقائى في عصرنا منزلة مهمة بين فروع العلوم الطبية ، وقد عرف المسلمون أهميته ، وكانوا يطلقون عليه «حفظ الصحة» ، فقد عرّفوا الطب بأنه علم يتعرف منه أحوال البدن والنفس ؛ ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة ، وعرف ابن أبى أصيبعة الصناعة الطبية بأنها «حافظة للصحة الموجودة ، ورادّة للصحة المفقودة» ، وقدم المسلمون حفظ الصحة على إعادتها ، فقالوا : إن حرز الشيء الموجود أجلّ من طلب الشيء المفقود . وقد كان لتوجيهات الإسلام وتعاليمه الأثر البالغ فى العناية بحفظ الصحة ، سواء فيما فرض من فروض الصلاة والزكاة والصيام والحج ، أو فيما أمر من تحميل المسئولية عن البدن والحث على التداوى والتوجيه إلى النظافة الشخصية والعامة ، وإلى الحفاظ على البيئة واختيار الأطعمة النافعة ، وعدم الإسراف في الطعام والوقاية من الأمراض ، أو فيما نهى من تحريم للسحر والكهانة فى الطب . وقد كونت هذه التوجيهات والتعاليم الإسلامية الأساس الذي قام عليه الطب فى عصر الحضارة العربية الإسلامية ، وظهر ذلك في العديد من المؤلفات ، مثل كتاب «فردوس الحكمة» لابن زين الطبرى ، الذى احتوى بحوثًا متفرقة فى حفظ الصحة ، تدور حول تربية الأطفال والأغذية والأشربة والطعوم والروائح بأنواعها ،

(١) محمد بن أحمد التميمى المقدسى : مادة البقاء فى إصلاح فساد الهواء والتحرز من الأوباء ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٩٩م .

وموضوعات تتعلق بالبلدان والمياه والرياح ، وكتاب «تقويم الصحة بالأسباب الستة» للكندى ، الذى احتوى على إصلاح الهواء الواصل إلى القلب ، وتقدير المأكل والمشرب وتعديل الحركات والسكون ، ومنع النفس من الإغراق فى النوم واليقظة ، وتقدير استفراغ الفضلات ، وأخذ النفس بالقصد فى الغضب والهم والفزع ، وهناك كتب أخرى كثيرة للرازى ، وعلى بن عباس ، وابن سعيد التميمى ، وابن الجزار ، وابن بطلان البغدادى ، وابن رضوان المصرى ، وابن زهر . . وغيرهم .

ويمكن التأصيل لعلم الطب الوقائى فى التراث الطبى الإسلامى بكتاب «مصالح الأبدان والأنفس» لأبى زيد البلخى ، باعتباره نموذجًا معبرًا عن التأليف الطبى فى عصر الصدارة بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية ؛ إذ عاش البلخى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وبداية القرن الرابع الهجرى . كما يعتبر هذا الكتاب من أوائل المؤلفات الطبية العربية التي أفردت حفظ الصحة فى مصنف خاص ، فهو يبحث في موضوعات حفظ صحة البدن وحفظ صحة النفس . أما إعادة الصحة فإنها – فيما يقول البلخى– داخلة فى صناعة المداواة (أى الطب العلاجى) . ويقع الكتاب فى مقالتين : الأولى مصالح الأبدان ، والثانية مصالح الأنفس .

تحتوى المقالة الأولى على أربعة عشر بابًا : فى الإخبار عن مبلغ الحاجة إلى تعهد الأبدان ومنفعة ذلك وعائدته ، وفى وصف أوائل الأشياء ، وبدء طبيعة الإنسان وخلقته وتركيب أعضائه ، وفى تدبير المساكن والمياه والأهوية ، وفى تدبير ما يقى الحر والبرد من الأكنان والملابس ، وفى تدبير المطاعم ، والمشارب ، والمشمومات ، والنوم ، والباه ، والاستحمام ، والحركات الرياضية ، وما يتبع الحركات الرياضية من غمز البدن ودلكه ، وفى تدبير السماع ، وفى تدبير إعادة الصحة .

وتحتوى المقالة الثانية على ثمانية أبواب : فى الإخبار عن مبالغ الحاجة إلى تدبير مصالح الأنفس ، وفى تدبير حفظ صحة الأنفس عليها ، وفى تدبير إعادة صحة الأنفس ، وفى ذكر الأعراض النفسانية ، وفى تدبير دفع الحزن والجزع ، وفى الاحتيال لدفع وساوس الصدر وأحاديث النفس .

وأوضح البلخى فى هذا الكتاب أن الكلام فى مصالح الأبدان والنفس أمرٌ لم تجر عادة الأطباء ـ قبله ـ بذكره وإيقاعه فى الكتب التى كانوا يؤلفونها فى الطب ومصالح الأبدان

ومعالجات العلل العارضة لها ؛ وذلك لأن القول ليس هو من جنس صناعتهم ، ولأن معالجات الأمراض النفسانية ليست من جنس ما يتعاطونه من الفصد وسقى الأدوية ، وما أشبهها من المعالجات . ولهذا نجد البلخى قد استخدم بكثرة مصطلحات حفظ الصحة دون المصطلحات العلاجية ؛ بسبب عدم تطرقه للأمراض . ومن هذه المصطلحات : التدابير ، التعهد ، الصيانة ، مصالح الأبدان ، مصالح الأنفس ، حفظ الصحة ، السلامة ، وحسن العائدة على البدن والنفس [1] .

(ى) الطب الاجتماعى :

قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم :٢١) .

فى هذه الآية الكريمة يضع القرآن الكريم الأساس السليم لبناء اللبنة الأولى فى صرح المجتمع السوى ، بل إنه ينبه الأذهان إلى نوع هام من الطب لم يفطن إليه العلماء إلا حديثا ، عندما اتفقوا على ضرورة تعديل برامج التعليم الطبى فى العالم ، عن طريق إدخال بعض العلوم المستحدثة فى دراسة الطب ، وأهمها «علم الطب الاجتماعى» الذى يبحث عن بناء مجتمع صالح ، خال من الجهل والفقر والمرض والخوف والقلق ، فهذه كلها أمراض اجتماعية يجب القضاء عليها لإصلاح حياة الفرد والمجتمع . وقد اكتسب هذا العلم أهمية متزايدة خلال العقود الأخيرة ؛ نتيجة للاتجاه نحو البحث فى علاقة الأمراض ومسبباتها بالبيئة والمجتمع .

ولما كانت الأسرة هى وحدة بناء المجتمع الذى تتكون منه الدولة ، لذا وجب أن تسود الأسرة روح السلام والوئام ، وأن تبدأ تكوينها بزواج بين الذكر والأنثى يحقق السكن والطمأنينة والأمن والسلامة ، ويكفل استمرار الراحة الجسدية والروحية دون نصب أو عداء . ولعل فى التعبير القرآنى بقوله تعالى : ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾ (الروم :٢١) ما يدل دلالة قوية على أهمية الوحدة والانسجام فى هذا التكوين الاجتماعى .

وقد كفل الإسلام حماية كل فرد من أفراد الأسرة ، فرفع من شأن الزوجة وأنزل سورة كاملة باسمها ـ هى سورة النساء ـ جمعت كافة التشريعات التى تصون حقوقها ، وجعل الأمر حقا وعدلا بينها وبين زوجها ، وخص الرجال بدرجة ؛ نظرًا لما يمتازون به من مسئولية

---

(١) محمود مصرى : قراءة فى مخطوط «مصالح الأبدان والأنفس» لأبى زيد البلخى ، جامعة حلب ، سوريا ١٩٩٩م .

وواجب ، قال تعالى : ﴿ . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ . . . ﴾(البقرة : ٢٢٨) .

وقامت الشريعة الإسلامية على أساس الاتفاق والوفاء الدائمين ، فهى تفضل الزواج الواحد وتجعل له مكان الصدارة فى الأفضلية ، بل إنها أرشدت الى خطوات إجرائية لإصلاح ذات البين كلما لاحت نذر الخلاف . قال تعالى : ﴿ . . . وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيراً ﴾ (النساء : ٣٤-٣٥) . وحتى عندما أحل الإسلام تعدد الزوجات جعله مشروطا بتحقيق العدل ، فقال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . . ﴾(النساء :٣) ، ثم ألحق القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء :١٢٩) .

وقد صان الإسلام كرامة الحياة الزوجية عندما جعل الطلاق أبغض الحلال إلى الله ، وذلك عندما تستحيل المعاشرة لسبب أو أكثر ، ويترتب على استمرارها شرور محققة ، ويكون دوامها مدعاة الى ارتكاب ما لابد منه من أخطاء وأوزار ، تهدد سلامة المجتمع وصلاح الذرية .

وامتدت رعاية الإسلام لتشمل ـ كذلك ـ علاقة الأبناء بالأسرة ، فسبقت الهيئات والمؤسسات الاجتماعية إلى تأكيد سمو هذه العلاقة بصورة حاسمة فى قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(الإسراء : ٢٣-٢٤) ، وفى قوله جل شأنه : ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . . . ﴾ (لقمان : ١٥) .

أما سلوك الفرد مع غيره ، وهو أحد المباحث الهامة فى علم الطب الاجتماعى ، فقد عالجه القرآن الكريم بإرشادات محددة فى آيات كثيرة تحث على التعاون والتكافل فى أوجه الخير ، والعمل على إشاعة السلام والوئام والمحبة والود والتسامح ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ . . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾ (المائدة :٢) ،

وقوله سبحانه : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الشعراء ١٨١-١٨٣) .

ولعل أحسن ما جمعته مؤلفات الطب الاجتماعي لا يصل الى الآية الكريمة التى جمعت كل ما ينفع الفرد والمجتمع فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل :٩٠) .

(ك) علم الأدوية والعلاج قديما وحديثا :

يقتضى تحضير الأدوية وتركيبها التعرف على صفاتها وخصائصها ، وكيفية الحصول عليها ، ومعرفة شوائبها وغشّها ، وطرق الحفاظ عليها دون أن يتطرق إليها الفساد ، وكذلك طرق تعاطيها وتجهيزها فى أشكال وعلى هيئات تسهل تناولها وتؤكد مفعولها والاحتفاظ بخصائصها ، وكذلك ما تصير إليه فى الجسم ، وتأثيرها فيه ، سليمًا كان أو عليلا ، وذلك بالإضافة إلى تحضير الأدوية المركبة ، ودراسة توافقها أو عدم توافقها ، وتقوية بعضها بعضًا . ولكى يتسنى استخدام الأدوية فى أغراض العلاج بحكمة وأمان لابد من تفهم القواعد الأساسية التى تبنى عليها طريقة فعلها .

وقد كانت نظرية الأخلاط الأربعة أحد المبادىء العامة المشتركة فى فلسفة العلاج عند الإغريق ، وأطباء وصيادلة المسلمين . لكن مسلمات هذه النظرية عند الإغريق كانت تستند الى مبدأ طبيعى يحاكى الطبيعة فى المعالجة على أساس ما أسموه «القوة الطبيعية الشافية» Vis Medicatrix Naturae ، ولذا فإنهم حذروا الطبيب من التسرع فى التدخل فى سير المرض ؛ خوفًا من أن يحول دون عمل الطبيعة . وهذه الفلسفة المادية يقابلها عند المسلمين مبدأ عقلانى إيمانى يستمد أصوله من الإسلام ، إسلام القرآن والسنة ، فيعزى القوة الشافية الى الخالق الواحد القائل فى محكم التنزيل ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (الشعراء :٨٠) . وانطلاقا من هذه المسلمة الإيمانية اتخذ أطباء الحضارة الإسلامية منهجًا علميا واضحا يعتمد فى العلاج - بصفة عامة - على أثر التغذية فى الإسقام والإبراء . فهذا أبو بكر الرازى يقول : «مهما قدرت أن تعالج بالتغذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب» . بل إنه كثيرًا ما يفضل أن تكون الأدوية من جنس الأغذية ، اعتقاداً بأن الأمة أو الطائفة التى غالب أغذيتها من الأطعمة البسيطة المفردة تكون أمراضها قليلة ، ويعتمد طبها على المفردات فأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة ؛ لأن أمراضهم فى

الغالب مركبة ، بينما تكفى الأدوية المفردة لعلاج أهل الصحارى والبوادى ؛ لأن أمراضهم مفردة . ويضيف داود الأنطاكى إلى طرق العلاج أمرين مهمين ، هما : الزمان الذى يقطع فيه العشب ، والبيئة التى ينمو بها ؛ وذلك استناداً إلى قول أبقراط : «عالجوا كل مريض بعقاقير أرضه ؛ فإنه أجلب لصحته» .

والباحث فى كتب التراث الإسلامى المعنية بالطب والصيدلة يجد هذه المنهجية الإيمانية التجريبية واضحة فى فكر أطباء وصيادلة الحضارة الإسلامية الذين حرصوا على تدوين ما يصفون للمرض من أدوية ، وكتبوا عن «الأقرباذين» الذى كان يعنى فى بادىء الأمر تركيب الأدوية المفردة وقوانينها ، وأصبح يعنى فى العصر الحديث علم طبائع الأدوية وخواصها ، واحترفوا جمع الأدوية على أفضل صورها ، واختيار الأجود من أنواعها ، مفردة أو مركبة ، وأجروا الدراسات على تأثيرها الطبى ، وحدود جرعتها ، وفترة صلاحيتها ، وطريقة استعمالها وحفظها ، وجمعوا ذلك فى «دستور الأدوية» الذى يمثل خلاصة ما يصل إليه البحث فى العلوم الصيدلية والطبية بصورة عامة ، وفى علمى العقاقير والأقرباذين بصورة خاصة .

وقد انعكست هذه المنهجية الإسلامية فى كل ما كتب عن علم العقاقير والعلاج بالأدوية ، الأمر الذى جعل هذه المؤلفات تحظى باهتمام علماء الشرق والغرب وتؤثر فيهم تأثيرا عظيما[1] . ويكفى أن نذكر من مآثر علماء الحضارة الإسلامية أنهم اكتشفوا العديد من العقاقير التى لاتزال تحتفظ بأسمائها العربية فى اللغات الأجنبية ، مثل : الحناء ، والحنظل ، والكافور ، والكركم ، والكمون . . وغيرها .

وفى العصر الحاضر شهدت العلوم الطبية قفزة هائلة ؛ نتيجة للتطور السريع فى التقنيات المستخدمة وأساليب علاج الأمراض ، خاصة بعد أن دخلت البشرية عصر التقنية الحيوية والهندسة الوراثية لعلاج الأمراض ، وقد أدى هذا إلى رصد العديد من السلبيات على الطب الحديث ، أهمها ما يحدث من أضرار جانبية للأدوية ، بالإضافة إلى ارتفاع تكاليف العلاج بالنسبة للأغلبية العظمى من البشر . وأصبحت الحاجة ملحة إلى البحث عن الفنون القديمة للتداوى ، وإعادة صقلها باستخدام المعارف والتقنيات الحديثة ؛ بهدف الوصول الى علاج المريض بأعلى درجة من الكفاءة وأقل قدر من الأضرار والتكاليف . ويعرف هذا الاتجاه الجديد باسم «الطب البديل» ، وهو لا يعنى استبدال الطب الحديث بفنون العلاج

---

(١) د . أحمد فؤاد باشا : تراثنا العلمى ورحلته الى الغرب ، مجلة تراثيات ، ع١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة٢٠٠٣م .

التقليدية ، ولكنه يدعو إلى إعادة الاختيار لما هو أنسب لكل مريض حسب حالته ، ومن ثم أصبح مصطلح «الطب التكميلى» : Complementary / Alternative Medicine أكثر توفيقا .

ومن مظاهر الاهتمام بهذا الاتجاه الجديد العودة إلى قراءة مخطوطات الطب الإسلامى ، بعد أن اختفت لفترة أمام التطور العلمى والتقنى ، فقد شرع علماء أوروبا وأمريكا فى إعادة فحص هذه المؤلفات ، وإجراء التجارب على الوصفات الشعبية التى وردت فيها ؛ فى محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض . وفى السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية فى ألمانيا والدانمارك وهولندا وإيطاليا وأمريكا بهذا الموضوع ، وطلبوا من بعض دول المشرق شراء بعض النباتات الطبية .

ومن ناحية أخرى قامت بعض كليات الطب ومراكز البحوث فى بعض الدول النامية بتقييم ودراسة فروع الطب التكميلى ، وإتاحة العديد من المواد الطبيعية التى تتوافر فيها الكفاءة وقلة الكلفة والأضرار الجانبية ، ووفرت بعض الأعشاب التى تزيد من مناعة الجسم . واهتمت بعض شركات الدواء بتقديم العديد من الأعشاب المدروسة كبدائل لتجنب الآثار الجانبية للدواء .

لكن الحاجة أصبحت ماسة لترشيد البحث فى مجال الطب التكميلى ، ووضع ضوابط صارمة لممارسته وتطبيقه ، بحيث يحقق الفوائد المرجوة منه فى المداواة والعلاج والحفاظ على صحة الإنسان أينما كان[١] .

---

(١) أعمال الندوة العالمية حول «دمج الطب البديل بالطب الحديث» . المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأيسسكو . القاهرة ، أكتوبر٢٠٠٢م .

الحكومة النبوية

قراءة في كتابي:

١ - تخريج الدلالات السمعية للخزاعي

٢ - التراتيب الإدارية للكتاني

أ. عبد المتعال سالم عاشور(*)

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٥٠ المائدة

بين إستنكار يُسفه ميل الأهواء التى تريد التفلت من كل شرع، والتحلل من كل قانون. وبين تقرير لحكم الله فى ضبط الموازين. جاء النص الكريم يلفت الانتباه إلى أن المجد لله فى ولاء العقيدة، وفى شعائر العبادة، وفى شئون التعامل بين الناس.

لكنَّ بعض الفلاسفة والمنظرين تداركوا غفلتنا وأيقظوا غفوتنا وأصلحوا خللاً تواطأ عليه علماء الأمة قرونا ودهورًا: «أن نعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

وأوهمونا أنَّ هموم الإسلام الحقيقية تسكن دائرة الحيض، والنفاس، وتقصير الثياب وإعفاء اللحى، وضرب الحجاب. وأنه كان هناك قيصرُ الوقت إليه مقاليد السلطة الزمنية فى المدينة المنورة يرجع إليه:

فى قيادة الجيوش، وتدريب الجنود، وإعداد السلاح، وعقد المعاهدات وتبادل الأسرى، ودفع الفدية، وتعيين الأمراء والولاة وعاملى الزكاة والخراج. وتحديد الديات والضمانات، وتنفيذ الأحكام وتوزيع التركات. وإقامة العدل وتعيين القضاة، وإتخاذ الحرس والمترجمين وإعداد المعلمين والفقهاء والمستشارين .... إلخ.

والسؤال هو: من قيصر السلطة الزمنية إذن؟

تَلَوا باطلا وجَلَوا صارمًا وقالوا صدقنا، فقلنا: نعم

على كل حال:

هذه رحلة مع شيخين جليلين، أحاول خلالها التماس الأسس لبنا الحكم النبوى من خلال هذين العملين الجليلين:

(*) أحد رجال التعليم.

١ - كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية .

للعلامة أبى الحسن على بن محمد ، المعروف بالخزاعى .

والكتاب نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ١٩٨٠م

٢ - نظام الحكومة النبوية ، المسمى «التراتيب الإدارية»

للعلامة الشيخ أبى الإسعاد عبدالحى بن عبدالكبير الكتانى .

الناشر : دار الكتاب العرب بيروت ، بدون تاريخ .

* * *

إذا كان للحضارة الإسلامية وجهها الأصيل عند المنابع الأولى . ثم وجهها المتدفق الممتد عبر الزمان والمكان تأثيرًا وتأثرًا . فإن مدى هذا البحث المتواضع هو الوقوف عند مرحلة التكوين على تخوم أول عاصمة إسلامية ، وهى «المدينة المنورة» . وأول حاكم فى الإسلام وهو رسول الله ﷺ . نعم «أول حاكم» ، وقد قصدْت إلى هذا الوصف بغير موارية مطمئنًا إلى صيغته الاشتقاقية فى قوله سبحانه آمرًا له :

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[1]

وقوله سبحانه : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[2]

أو في نعى القرآن الكريم على أصحاب الدعاوى العريضة الكاذبة من أهل النفاق :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[3]

ومطئنا إلى الوقائع والأحكام والتشريعات فى دنيا الواقع إذا ما طرأت أقضيات ، أو جدّت مشكلات . أو ثارت منازعات . كان التحاكم فيها إلى رسول الله ﷺ ؛ فهو المرجعُ والسلطة والحكَمُ فى شئون الحكْم والقضاء والمعاهدات والحدود والنكاح والمواريث والوصايا والزكاة . ومراسلة الملوك والجهاد . وتنظيم شئون المجتمع واستصلاح الأراضى والاحتكام للشورى . . ممارسة عملية جمعت بين السلطة الزمنية والروحية ، بين الدين والدولة . . . فى تنظيم شئون المدينة . يقول د . حسين مؤنس : «إن الفترة المدنية بالحساب الميلادى أقلُّ من عشر سنوات . . وعشر سنوات فى حساب الأحداث فى تلك العصور فترة قصيرة جدًا . ولكنّ محمدًا ﷺ أكمل فيها رسالته على نحو لا يكاد يُصدق . تمكن من تحويل هذه الجماعة خلال هذه الفترة إلى أمة من الدعاة المتفقهين النابهين ، فى نفس الوقت الذى تحولوا فيه إلى قوة مجاهدة . . . ثم بنى المسجد ، ومهّد الطرق ، وقسّم الأراضى ، وأقرَّ الأعراب ، واهتم بالغرس والزرع ، واعتنى بأعمال العمران . وكان يحب البناء المحكم . ولا يميل إلى التأنق فى السكن . وكان يحب العمل ويدعو إليه . وكان ﷺ عظيم الإحساس بالقيمة المعنوية للإنسان . ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . ثم وضع «دستور المدينة» ، وهو صحيفة المعاهدة التى حددت الحقوق والواجبات . إنها تتضمن كل

---

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) المائدة : ٤٩ .

(٣) النساء : ٦٠ .

ما نتحدث عنه اليوم من حريات والتزامات دستورية ، ثم الغزوات والسرايا . . . إلخ . والمدينة المنورة من صنع محمد ﷺ وثمرة عمله ولذلك سميت بمدينة رسول الله ﷺ . وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانت الأمة الإسلامية فى جزيرة العرب قد تحولت إلى قاعدة لأكبر قوة معنوية وعسكرية عرفها التاريخ إلي ذلك الحين . فكيف كان من الممكن أن يتم هذا بدون تخطيط دقيق؟! وكيف يقال : إن الحضارة الإسلامية لم تعرف التخطيط إلا فى العصر الحديث؟! . فماذا يكون التخطيط إذا لم يكن تخطيطُ محمد ﷺ هو نموذجَه الأكمل»[١] .

ولا علينا بعد ذلك أن ينفى د . مؤنس عن الرسول ﷺ صفة الحكم أو السياسة أو القيادة العسكرية[٢] . ونسوق إليه تعجبه السابق سائلين : بم تسمى هذه الأعمال والوقائع ، وقد بسطت الحديث عنها فى صفحات عدة من كتابك القيم؟[٣] . . . ونسوق ـ أيضًا ـ كلمته الصادقة : «ولقد كان الله سبحانه وتعالى قادرًا على أن ينصر الدعوة نصرًا مؤزرًا فى الأسابيع الأولى لنزول الوحى ؛ فيؤمن أهل مكة جميعًا ويُقبل العرب جميعا على الدخول فى الإسلام . ولكنّ الله تعالى عهد بالرسالة إلى الرسول ﷺ وتركه يخوض معركته مع البشر بوسائل البشر ؛ لكى يتعلم بعد ذلك المسلمون كيف يخوضون معاركهم . . . إلخ .»[٤] .

نعم ، يخوض معركته مع البشر بوسائل البشر . ويكفى هذا .

ولعلَّ هذه الرؤيا المتأنية الموثقة الناقدة لأحد شيوخ التاريخ فى العصر الحديث . . لعلها ترد هواجس المترددين ، وصائلة الغواة ممن علا طنينهم رفضًا واستدبارًا ، وتصدَّروا الموائد ، وحملوا اللافتات تدليسًا وتلبيسًا من مثل : «أنتم أعلم بأمور دنياكم»[٥] ، كأن من شروط الحاكم أن يكون خبيرًا فى الزراعة ، أو هذه اللافتة المجلوبة بغبارها وعناكبها من وراء البحار قرونًا عددًا : الحكومة الدينية[٦] أو المفاصلة بين الدين والسياسة .

---

(١) د . مؤنس . حسين . دراسات فى السيرة النبوية ص ٤٨ وما بعدها ، الزهراء للإعلام .

(٢) المرجع السابق ٥٧ .

(٣) السابق تحت عنوان الفترة المدنية صن ٤٧ إلى ٦٨ .

(٤) السابق ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) روى مسلم عن أنس أن النبى ﷺ مر بقوم يلقحون . فقال : «لو لم تفعلوا لصلح» قال : فخرج شيصا ، فمرّ بهم فقال : ما لنخلكم؟ قالوا : قلتَ : كذا وكذا ، قال : أنتم أعلمُ بأمر دنياكم» رواه أيضًا ابن ماجه والإمام أحمد فى مسنده ، واللفظ لمسلم ٤/١٨٣٦ . كتاب الفضائل .

(٦) «ثيوقراطيه Theocratic» نظام من نظم الحكم ، ترجع السلطة فيه إلى رجال الدين . وقد قامت حركة أو ثورة إصلاح دينى فى إنجلترا فيما يعرف «بالبروتستانتيه» ضد مفاسد البابوية وتحكّم رجال الدين وضلال الغفران» . «المعجم الفلسفى عن المجمع اللغوى» . . وروّج تجار الاستيراد لهذه السلعة الغربية بيننا . فلا يعرف الإسلام هذا اللون من الحكم ولم نسمع أن أبا بكر أو عمر أو هارون الرشيد كان رجل دين ، بل إن هذه الوظيفة لا يعرفها الإسلام .

لكن العلماء الثقات المتخصصين فطنوا لهذا الأصل الذى تجلّى عند رسول الله ﷺ فى جمعه بين «النبوة والحكم» ، بين «الرسالة والسلطان» ، حيث انتهت إلى مقامه الكريم شئون القضاء والفتيا وقيادة الجيوش والمعاهدات . . إلخ .

يقول ابن خلدون : «وسياسة الحكم فى الإسلام مرعاها مصالح الكافة فى الدنيا والآخرة ؛ ذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط . فما الدينا إلا بلاغ ومعبر للآخرة . وإنما المقصود دينهم المفضى إلى السعادة فى الآخرة ، فجاءت الشريعة تحملهم على ذلك فى جميع أحوالهم ؛ من عبادة ، ومعاملة ، حتى فى الملك ـ الذى هو طبيعى للاجتماع الإنسانى أجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع الذى هو أعلم بصالح الكافة فيما يغيب عنهم . . وإذا كانت أحكام السياسة فى غير الإسلام قائمة على مصالح الدنيا فقط ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] ، فإن مقتضى الشرع فى الإسلام هو حمل الكافة على الأحكام الشرعية فى دنياهم وآخرتهم ، وكان هذا المنصب لأهل الشريعة وهم الأنبياء ، ومن قام مقامهم وهم الخلفاء .

وعلى ذلك فحقيقة منصب الخلافة أنها : نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا»[2] .

ثم عقد لذلك فصلاً فى مقدمته بعنوان : «فصلٌ فى أن العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره»[3] ، ونقل فى هذا الفصل رسالة كتبها طاهر بن الحسين[4] لابنه عبدالله بن طاهر[5] حين ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما . فى هذه الرسالة تبيان مفصل لسياسة الحكم من أمتع وأوعب ما كُتب فى هذا الباب ، نموذجًا يحتذيه أرباب السياسة والحكم فى الإسلام .

وقد كان المستشرق الألمانى بروكلمان دقيقًا وهو يتناول المرحلة المدنية عند رسول الله ﷺ ـ إذا تجاوزنا فقدان الذائقة الإيمانية عنده ـ وحديثه عن القرآن الكريم على أنه تلقيات بشرية ، يقول :

(١) سورة الروم : ٧ .
(٢) المقدمة لابن خلدون ، ص ١٥٠ .
(٣) ابن خلدون . المقدمة ص ٢٤٠ .
(٤) أبو الطيب طاهر بن الحسين الخزاعى ١٥٩ - ٢٠٧هـ من كبار الوزراء والقواد . وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى . ولد بخراسان وسكن بغداد ـ ولاه المأمون شرطة بغداد ، ثم ولاه خراسان ، الزركلى ـ الأعلام ٣١٨/٣ .
(٥) أبو العباس عبدالله بن طاهر الخزاعى ١٨٢ - ٢٣٠هـ . من أشهر الولاة فى العصر العباسى ؛ ولى إمرة الشام ، ثم مصر ، ثم ولاه المأمون خراسان . فلما ظهرت كفاءته ضم إليه ولايات أخرى . المرجع السابق ٢٢٦/٤ .

«وأما المدينة حيث ترقى النبى ﷺ إلى مرتبة الحكم وزاول عمل المشرع فإن مواعظه وتشريعاته وإن احتفظت بقافية السجع التى كثر مع ذلك عدم إحكام تناولها ، قد تحولت إلى نثر خالص . وإلى جانب ذلك تصدر النظم والترتيبات فى كل نواحى التشريع المتعلق بالعبادات والمعاملات والجنايات كما كانت تتطلبها حاجة الوقت»[(١)] .

حول هذا الحمى حوَّم الشيخ الجليل أبو الحسن على بن محمد الخزاعى (٧١٠ - ٧٨٩هـ) فى مصنفه :

«تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف . والصنائع . والعمالات الشرعية» .

ثم جاء عالم المغرب الإمام المؤرخ الفقيه أبو الإسعاد عبد الحى الكتانى ، فتابع عليه تذييلا وشرحًا وتصحيحًا وتعريفا وتوسعة ونقدًا فى سفره المغرب المعجب :

«التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية فى المدينة المنورة العلية» .

فالعملان الجليلان يلتفان عند هدف محدد هو :

«النظم والشرائع والسياسات التى كانت على عهد تأسيس أول حكومة إسلامية» .

وكلاهما يواجه طائفتين من دارسى الحضارة الإسلامية :

طائفة أنكرت أن يكون للإسلام حكومة مدنية أساسًا

وأخرى وقفت بحضارة الإسلام وحكومته عند بنى العباس أو بنى أمية ، بعد استعارة ذلك من اليونان والفرس والرومان .

ودراستنا المتواضعة هذه إنما هى إشارة حيية ؛ لعلها تغرى ذوى الفضل من شيوخ العصر تحقيق هذين الكنزين كتاب الخزاعى أخرجه المجلس الأعلى - وسوف نشير إلى ذلك - ولعلها تستلفت الأنظار ؛ وفاءً بحق إمامين جليلين تَحيَّفهما الإهمال وخيم عليهما النسيان .

خطة البحث :

١ - سأحاول تقديم الكتابين شكلا وموضوعًا ، بناءً ومنهجًا .

---

(١) بروكلمان . كارل ، تاريخ الأدب العربى ١٣٨/١ ترجمة د . عبدالحليم النجار ، دار المعارف .

٢ - والتعريف بالشيخين الحافظين ، مع وقفة طويلة مع شيخ المغرب أبى الإسعاد الكتانى ؛ لثراء مادته ، واستيعاب مصنفه ، ونفاذ بصيرته ، ودقة ملاحظته ، وتنوع مصادره وسعة إطلاعه ، واستقصاء بحثه ، ورسوخ قدمه ، ثم هو بعد ذلك أهم رائد لهذه الدراسة ـ كما سنرى ـ والمصدر الوحيد أحيانًا

٣ - مآخذ الكتانى على الخزاعى .

٤ - ملاحظات عابرة على «تراتيب الكتانى» .

أولاً : أبو الحسن الخزاعى وكتابه :

من أبو الحسن هذا ؟

طلبت معرفته فى كتب الرجال والأعلام فلم أظفر بطائل ، ولما رجعت إلى النسخة التى أخرجها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (سوف نتحدث عنها فيما بعد) لم أجد ما يشفى ، وإنما كل ما ذكر هو تسجيل اسمه هكذا : «للعلامة أبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى المتوفى سنة ٧٨٩هـ» . على غلاف الكتاب ، وبالداخل لا شيء .

ومع أن الذين تعاطوا التراجم والتعريف بالأعلام قد ذكروا الكثير من معاصريه من علماء القرن الثامن الهجرى ، أو من مواطنيه فى المغرب أو الأندلس . وسواء كانوا نابهين مثل :

١ - ابن نباته : جمال الدين بن محمد ٧٦٨هـ الشاعر الشهير . أو

٢ - ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ) صاحب لسان العرب . أو

٣ - ابن هشام : جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٦١ هـ) النحوى الشهير . أو

٤ - ابن شاكر الكتبى : صلاح الدين محمد بن شاكر (٧٦٤ هـ) صاحب الوفيات .

أو كانوا خاملين مثل :

١ - أبى الحسن على بن محمد الصغير (٧١٤هـ) من كبار المفتين فى المغرب[1] . أو

---

(١) الأعلام : ١٥٦/٥ .

٢ - ابن الناجى محمد التنوخى (٨٠٠هـ)[١] .

وكلهم معاصر أو مواطن لأبى الحسن الذى غطاه صمت مطبق .

ولكن الذى شفى ، وروى ، وكشف عن السبب ، وأين وَجَد صاحبَه الخزاعى فهو الحافظ المحقق أبو الإقبال الكتانى ؛ ولذلك قلت : إنه سيكون المصدرَ الوحيد أحيانا ، وها هو ذا يقوم بهذه المهمة . فله الفضل فى التعريف بالشيخ الخزاعى وأين عثر عليه ، كما أن له الفضل فى تقديم مصنفه . ولنسمع ما يقوله الشيخ الكتانى فى تقصيه البحث :

«وكنت فيما مضى وانقضى شديد التطلب لهذا الكتاب العظيم الشأن ، الذى اهتم به مؤلفه بما لم يهتم به أحد قبله ولا بعده فيما نعلم وهو : «تدوين المدنية الإسلامية على عهد تأسيسها الأول» ومع ذلك أجد أن طول الزمن أخنى على مؤلِّفه ومؤلَّفه فدُفنا معًا فى زوايا النسيان ، وألقى عليهما الإهمال بكلكله فى أودية النكران»[٢] . ويأسى الشيخ الكتانى لحال سلفه فيقول : «ومع أنه من تلمسان لم يُترجم له من نبَّه على علماء تلمسان ، ولا كان له ذكر عند من ترجموا لعلماء فاس ، مع أنه فاسى المدفن ، ولا من تخصصوا فى طبقات المالكية مع أنه مالكى المذهب . أهمله صاحب كشف الظنون[٣] . كما أهمله ابن حجر[٤] فى كتابه «أنباء الغمر بحوادث العمر» وهو يترجم لمن مات ٧٨٩هـ (عام وفاة الخزاعى) من الأعيان ولم يذكره السيوطى[٥] مع من ذكرهم»[٦] .

عثر الشيخ الكتانى على صاحبه فى مصادر شبه مجهولة وهى :

١ - درة الحجال ذيل تاريخ بن خلكان ، لأبى العباس ابن القاضى .

٢ - جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام لمدينة فاس ، لنفس المؤلف

٣ - مستودع العلامة ، لابن الأحمر

(١) جرجى زيدان : تاريخ الأدب العربى ٢٢٢/٣ تحقيق د . شوقى ضيف . دار الهلال .
(٢) التراتيب الإدارية . المقدمة ٣٣ .
(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، معجم فى أسماء المؤلفات العربية لحاجى خليفة مصطفى ، تاريخ الأدب العربى ٢٤٠/٣ .
(٤) شهاب الدين . أبو الفضل أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى : أحد كبار الأعلام فى القرن التاسع ٨٥٢هـ جرجى زيدان ١٧٩/٣ .
(٥) كتاب طبقات الحفاظ المبنى على طبقات الذهبى ٧٤٨ . ثم زاد عليه الحافظ المؤرخ الفقيه ابن الكمال ٩١١هـ .
(٦) مقدمة التراتيب ص ٤٠ .

٤ - فهرسة أبى زكريا يحيى بن أحمد السراج الفاسى ٨٠٥هـ (تلميذ الخزاعى)(١) .

والخزاعى (٧١٠ - ٧٨٩هـ) هو :

«أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود الخزاعى نسبًا ، التلمسانى مولدًا ، الفاسى وفاةً ، الأندلسى ثقافة» .

ولد سنة ٧١٠ هـ عشر وسبعمائة بتلمسان لوالد جمع بين السيف والقلم - ولُقِّبَ هذا الوالد : «بذى الوزارتين» - وكان راسخًا فى العلم والفروسية معًا عالمًا بالفقه واللغة ، لآباء بالأندلس تسنموا مناصب القضاء ، وكانوا أرباب علم وأدب . وهكذا نشأ الخزاعى فى بيئة نابهة علمًا ومنصبًا .

ومن تلامذته : أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج الفاسى (٨٠٥ هـ) ، وهو الوحيد الذى روى عنه كتابه ؛ حيث يقول : «سمعت من لفظه بعض تأليفه المسمَّى : تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية»(٢) .

وصف ابن السراج شيخه : «بالشيخ الجليل الحافظ اللغوى التاريخى المصنف الناظم الناثر . كان مقدمًا فى التاريخ ، كثير الصدقة والإيثار»(٣) .

ومن دلائل نباهة الخزاعى أنه كان من كتاب واحد من ملوك بنى مرين وهو المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى ، المقتول سنة ٧٦٢هـ .

العجيب أن صاحب كتاب الأعلام ترجم لكل من : ابن القاضى ، وابن الأحمر ، والسراج تلميذ الخزاعى - وهم الذين ذكروه فى مصنفاتهم(٤) - وقرأ الهوامش والتعليقات فيها

---

(١) مقدمة التراتيب ص ٣٤ .

(٢) المقدمة ٣٨ .

(٣) المقدمة ٣٥ .

(٤) أ - ابن القاضى : ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ : أحمد بن محمد - المكناسى الزناتى أبو العباس ابن القاضى . مؤرخ رياضى من أهل مكناس . له نحو خمسة عشر كتابا ، من مؤلفاته : «جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس» ط «درة الحجال فى أسماء الرجال» ط جزءان . «لقط الفرائد» خ ذيل له وفيات ابن قنفذ - الأعلام ٢٢٥/١ .

ب - ابن الأحمر : ٨٠٧هـ : إسماعيل بن يوسف الخزرجى أبو الوليد ، المعروف بابن الأحمر . مؤرخ أديب غرناطى الأصل ، من فاس إقامة ووفاة . من كتبه : «حديقة النسرين فى أخبار بنى مرين» خ . الأعلام ٣٢٩/١ .

جـ - السَّرَّاج : ٨٠٥هـ : يحيى بن أحمد بن محمد . . . . أبو زكريا ، المعروف بالسَّرَّاج الأندلسى الفاسى ، عالم بالحديث كان مسند فاس والمغرب فى عصره . له : «فهرسه» خ . قال الكتانى : وقفت على المجلد الأول منها بخط مؤلفها وقال ابن القاضى : قلما تجد كتابًا فى المغرب ليس عليه خطه . انتهت إليه رياسة الحديث وروايته . توفى بفاس . الأعلام ١٦٣/٩ .

ولم يذكر الزركلى فى ترجمته لابن الاحمر كتابًا أشار إليه الكتانى فى المقدمة ، وهو كتاب «مستودع العلامة» الذى ترجم للخزاعى .

ـ وأشار إلى الكتانى عند ترجمة السَّرَّاج ـ ومع ذلك فقد أغفل الحديث عن الشيخين معًا : الخزاعى والكتانى .

تتلمذ الخزاعى على أبى عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمسانى (٧١٠ – ٧٨١هـ) ، وأجازه مع أنه قريب السن والميلاد من الخزاعى . كما أخذ عن المحدّث قاضى الجماعة بالجزيرة ـ أبى البركات محمد بن أبى بكر (٧٧١هـ) .

هو إذن راوية محدِّث ، كاتبٌ فقيهٌ شاعرٌ ، له معرفة بالحساب . ضليع فى العربية ، كان قريبا من آل مرين ولعل إهداءه مصنفه إلى :

«مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى فارس موسى بن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان فارس» ، لعلَّ فى هذا الإهداء ثم ما أنشده من شعر فى مدحهم ما يشير إلى هذه المنزلة عندهم» .

مصنف الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية . .

أولا : لهذا المصنف إخراجان

أما الإخراج الأول ـ تاريخيًا ـ فهو للكتانى ، وسوف يأتى الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله .

وأما الإخراج الثانى فهو إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامى ، طبعة (١٤٠١هـ – ١٩٨٠م) بتحقيق «الشيخ أحمد محمد أبى سلامة» من علماء الأزهر الشريف ، وتقديم أ/ عبدالمنعم محمد عمر ، رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامى .

ويشير التقديم (صفحة ونصف) إلى اسم الكتاب ومؤلفه (سطران) ، وأن هذا الكتاب فريد فى بابه وهو موثَّق المصادر ، مفسَّر الغريب معزو النقل . . وأن لجنة الإحياء أسندت تحقيق هذا الكتاب إلى الأستاذ الشيخ «محمد أبو سلامة» وقد عَثَر على نسخةٍ منه ، وعرضها على اللجنة فوافقت . لكن الشيخ توفى ـ رحمه الله ـ قبل أن يكتب مقدمة التحقيق ؛ فأسندتها اللجنة إلى أستاذ آخر ثم ثالث لمراجعة التجارب ؛ ثم رابع لإعداد الفهارس . هذا ما ذكره التقديم الموجز .

ومعنى ذلك أنه بوفاة الشيخ المحقق ـ عليه رحمة الله ـ غاب ركنٌ هام من أركان التحقيق يبدأ به أى عمل علمى محقق . وتوضيح ذلك :

أنه قد درج شيوخ التحقيق على منهج علمى ثابت فى إخراج العمل المحقق . «وقد كانت رسالة الإمام الشافعى قريبة من يدى ، وهى بتحقيق الشيخ الإمام أبى الأشبال أحمد محمد شاكر» فوجدت أن النص المحقق تسبقه مقدمة هى عجبٌ من العجب ، وآية فى الدقة والتأنى والبحث ، وسرد خطوات العمل :

- التعريف بشيخ الأئمة أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى(١٥٠ - ٢٠٥هـ) تعريفًا يليق بالشيخ الإمام رضي الله عنه .
- ثم عرض تاريخى لمؤلَّفه «الرسالة» ، ورحلتها ، ومن تولى شرحها من القدماء .
- ثم نُسخُ الرسالة مخطوطةً ومطبوعةً ـ ونقدُ كل نسخة ، وأن المخطوطة نسختان والمطبوعة ثلاث طبعات .
- رحلة المخطوطتين إلى أن صارت إلى دار الكتب المصرية .
- السماعات على كل نسخة ، وثَبْتٌ بأعلام السماعات .
- اعتماد المحقق على نسخة «الربيع» صاحب الإمام ، ولماذا ترك النسخة الأخرى «نسخة ابن جماعة» .
- وصف نسخة الربيع ؛ ورقًا وخطا وتغليفًا وتاريخًا وأسطرًا ، وصفًا مفصلاً .
- مقابلة المطبوعات الثلاث ، والأخطاء التى اكتشفها بمقابلتها على المخطوط الأصل .

استغرقت المقدمةُ اثنتين وتسعين صفحة إضافة إلى تسع لوحات خطية[1] .

أما نسخةُ «الإحياء» فجاءت خاليةً تمامًا من مثل هذه المقدمة الكاشفة ؛ فلم نعرف أى المخطوطات قرأها المحقق ، ولا أين وجد هذه المخطوطة ، وهل هى واحدة أو أكثر ، كما لم نجد أى تعريف بالمؤلف . يقول التقديم : «وعثر المرحوم الأستاذ أبو سلامة على نسخة منه» فأين عثر؟ وما وصفها ، وما تاريخها؟ ولماذا جاء الكتاب بغير تعريف لمؤلفه وشيوخه وعصره؟

أما بعد ذلك فالتحقيق فيه جهد العلماء ؛ ضبط النص ، والتعريف بالأعلام ، وعزو النصوص وردها إلى مصادرها ، واستكمال ما نقص ، واستعادة ما سقط . وهو إذ يستعير يشير إلى بعض النسخ التى بين يديه ؛ مثل ما حدث ص ٣٣٥ حيث أشار فى الهامش بقوله :

(١) الرسالة : للإمام أبى عبدالله محمد بن أدريس الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤) ، تحقيق شيخ المحققين أحمد محمد شاكر ، عن مكتبة دار التراث ، ط ثانية ١٩٧٩ .

«التكملة عن نسخة تونس» أو فى مقدمة الخزاعى ص ٨ فى الهامش [فى ت مبتدعًا لا متبعًا] أو فى هامش ١٠٨ [فى ت ، ز عن عائشة بن عبدالقارى] . . وهكذا .

هناك إذن نسخ رجع إليها الأستاذ والمحقق رحمه الله . وقد كنا نرجو من شيوخنا الخالفين فى عمله أن يلتمسوا هذه المقدمة الكاشفة .

علي امتداد الصفحات التى جاوزت المئين الثمانية جَهدٌ جاهدٌ تأدى له علماؤنا ؛ بحثا واطلاعًا وتطوافًا بين العشرات من المراجع والمصادر بين المطبوع والمخطوط ـ ينبيك عنه شروحٌ وتعليقاتٌ واستدراكات وتصويبات وعزو ومقابلات ، ثم جريدة الفهارس وأسماء المصنفات على اتساع دائرة الثقافة العربية والإسلامية . جهدٌ يُذْكر فيشكر ؛ فجزاهم الله خيرًا هؤلاء الذين تجردوا لإخراج طبعة المجلس الأعلى من كتاب الشيخ الخزاعى : «تخريج الدلالات السمعية» .

وصف هذه النسخة : (مجلد واحد) .

عدد صفحاتها ٨٨٠ صفحة (ثمانون بعد المائة الثامنة) من القطع الكبير ، وفى النسخة التي أمامى جاءت بعض الصفحات بيضاء .

والكتاب ترتيبه هكذا على التوالى :

١ – مقدمة موجزه من اللجنة .

٢ – مقدمة الخزاعى .

٣ – أبواب الكتاب ، وهو مبنى على عشرة أجزاء ، وتحت كل جزء أبواب مختلفة .

٤ – الفهارس ، وهى خمسة : الأعلام ، الأمكنة ، الطوائف والقبائل والفرق ، المصادر ، الموضوعات .

وحبذا لو كان هناك فهرس سادس للنصوص : (قرآن كريم ، حديث شريف ، شعر)

أما موضوع الكتاب وتفاصيل أجزائه وأبوابه ، فسوف نتحدث عنها مع مصنف الشيخ عبدالحى الكتانى ـ منعًا للتكرار ـ بعد الإشارة إلى حديث الخزاعى عن كتابه ، ثم التعريف بالكتانى أولا ، وثقافته وعصره . وكتابه . وماذا أضاف إلى التخريجات ثانيًا . ومآخذ الكتانى عليه ونقده له ثالثا . وملاحظات أخيرة على عمل الشيخ الكتانى رابعًا .

ثانيا : حديث أبى الحسن الخزاعى عن كتابه ، وتحديد هدفه ، ولمن أهدى كتابه والتعريف بالمصنفات التى اعتمدها :

أ - سبب التأليف :

«فقد شرع رسول الله ﷺ للأمة ولايات وأعمالاً ، وولّى عليها من ارتضاه من الصحابة رضوان الله عليهم أمراء وعمالا ، ليتعاونوا علي البر والتقوى . .»[١] .

تجرد الخزاعى لهذا العمل ـ بعد استخارة الله عز وجل ـ انتصارًا لهذه الفترة ، وتبيانًا للجاهل : يقول الشيخ «فإنى لما رأيت كثيرًا ممن لم ترسخ فى المعارف قدمه ، وليس لديه من أدوات الطالب إلا مداده وقلمه . . . استخرت الله تعالى أن أجمع ما تأدى إلىَّ علمُه من تلك العمالات فى كتاب يضم نشرها . . . فألفت هذا الكتاب وسميته :

تخريج الدلالات السمعية . على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية»[٢] .

ب - منهجه ، ومبناه

(١) يقوم الكتاب على مقدمة شارحة ، ثم أجزاء عشرة تضم مائة وسبعين بابا ؛ بها ست وخمسون ومائة خطة من الحرف والصناعات والعمالات . وخلاصة الأجزاء كما يلى :

الأول : فى الخلافة والوزارة وما ينضاف إلى ذلك	وتحته ٧ (سبعة) أبواب
الثانى : فى العمالات الفقهية وأعمال العيادات إلخ .	وتحته ٢٥ (خمسة وعشرون) بابا
الثالث : فى العمالات الكتابية وما ينتسب إليها	وتحته ١٣ (ثلاثة عشر) بابا
الرابع : فى العمالات الأحكامية . .	وتحته ١٧ (سبعة عشر) بابا
الخامس : فى ذكر العمالات الجهادية ، وما يتشعب منها ، وما يتصل بها	وتحته ٤٥ (خمسة وأربعون) بابا
السادس فى العمالات الجبائية	وتحته ١٢ (اثنا عشر) بابا
السابع : فى العمالات الاختزانية	وتحته ١١ (أحد عشر) بابا
الثامن : فى سائر الأعمال	وتحته ١٠ (عشرة) أبواب
التاسع : فى ذكر حرف وصناعات كانت على عهد رسول الله ﷺ ، وذكر من عملها من الصحابة رضوان الله عليهم	وفيه ٣٤ (أربعة وثلاثون) بابا
العاشر : فى ذكر أمور متفرقة مما يرجع إلى معنى الكتاب	وفيه ٤ (أربعة) أبواب[٣]
مجموع أبواب الكتاب	١٧٨ (مائة وثمانية وسبعون) بابا

(١) مقدمة كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعى ، ص ٧ ، نسخة المجلس الأعلى .
(٢) السابق ، ص ٨ .
(٣) راجع مقدمة الكتاب .

ومنهجهُ فى بناء الأبواب : أن يبدأ بذكر العمالة أو الحرفة ، مستمدًا ذلك من أحد المصادر ، وغالبًا ما يكون الاستيعاب لابن عبدالبر ، ثم يترجم لمن وليها من الصحابة ، وشرح اللغويات ، وذكر الديار والمنازل ، مع ذكر المصادر فى كل ذلك ، وهى مصادر عديدة متنوعة تمثل أوجه الثقافة العربية وأحيانًا يبدأ باللغويات كما حدث فى الباب السابع من الجزء الثالث بعنوان فى الترجمان ص ٢٠٧ ، حيث يضبط لغاته «الترجمان» وفيها ثلاث لغات . . . إلخ ـ ثم ذكر من كان يترجم له باللسان ، وما معنى أن عمر نهى عن رطانة الأعاجم ، ثم تفريعات فقهية على ذلك .

وقد يبدأ بنصوص من القرآن الكريم ، أو بنصوص من السنة .

مثال الأول : الباب الخامس من الجزء الرابع ص ٢٧٩ ، حيث بدأ الباب وهو بعنوان : «فى الشهادة وكتابة الشروط» بدأه بآية الدَّيْن من سورة البقرة . وآيات آخر من النساء والطلاق والنور ، وما أثر من ذلك عن رسول الله ﷺ .

ومثال البدء بالسنة : ما جاء فى الباب الرابع من نفس الجزء ص ٢٧٧ بعنوان : «فى قاضى الأنكحة» ، فقد استهلَّ الباب بحديث شريف من الموطأ ، وثناه بحديث شريف من مسلم ، ثم النسائى ، وختم الباب بفائدة لغوية ، ونلاحظ ـ أيضًا ـ أن القائم بهذه العمالة هو رسول الله ﷺ نفسه .

وقد يبدأ بالنص على فضل هذا العمل ، مثل الحديث عن فضل العامل على الصدقة ص ٥٤١ .

كما ترى تختلف البدايات . لكنَّ البناء واحد ، وهو ذكر العمالة والترجمة لصاحبها ، وذكر بعض اللغويات ، وما يتفرع من مسائل فقهيه . ولذلك فقد جمع بين ترجمة الرجال وترجمة الحرف والصناعات .

(٢) من يُمْنِ العلم وبركته أن ينسب كل قول لقائله ، وهذا ما صنعه أبو الحسن الخزاعى في مصنفه ؛ سواء فى باب السير وتراجم الرجال ، أو فى باب اللغويات ، أو نسبة المنازل والديار ، أو فى المسائل الفقهيه . وهو يقول فى مقدمة كتابه حول هذه الجزئية :

«وضمنته فوائد فى شرح جملَة من الألفاظ اللغوية الواردة فيها . وضبطتُ ما أشكل منها . وعرفت بالمواضع التى نقلتُ منها جميع ما اشتمل عليه من كتب العلماء رحمهم الله

تعالى ؛ ليقف عليها هنالك من تطمح نفسه لذلك ، فأبرأ من عهدة النقل وأسلم من تبعة النقد»[١] .

ثم أشار إلى تاريخ تعاطيه لهذا العمل الجليل الفريد :

«فمازالت أؤلف وأصنف وأبوب وأرتب وأصحح وأنقح حتى سطح فى رياض الإفادة زهره ، وسطع فى أفق الإجادة بدره . وذلك فى أوائل سنة ست وثمانين وسبعمائة هـ»[٢] ، أى قبل وفاته بثلاث سنوات عليه رحمة الله .

(٣) ثم أهدى الكتاب إلى «أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى فارس : موسى بن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى عنان : فارس بن موالينا الخلفاء الراشدين ، أسود العرين وملوك بنى مرين»[٣] .

(٤) وأما ذكره لمصادره التى اعتمدها والمنشورة خلال سفره الضخم - فقد أفرد لها فهرسة فى الجزء العاشر . وهنا ملاحظة - أشير إليها سريعًا - هى التى جعلتنى آسى على إهمال التعريف بالنسخ المعتمدة فى إخراج المجلس الأعلى للكتاب . وتوضيح ذلك : أن الشيخ الكتانى - كما سنذكر بالتفصيل - حدَّد النسخ التى رجع إليها ، وقد سقط منها الجزء العاشر ، بينما نسخة المجلس جاءت كاملة بما فيها الجزء العاشر ، فلو كان قد أشير إلى مخطوطات الكتاب لأمكنت المقابلة بينهما . . وسوف نرى جهد الشيخ الكتانى ونقداته الصائبة فيما بعد وبحثه الدءوب عن نسخ الكتاب ، وذلك حين نأتى إلى الحديث عن كتاب «التراتيب» إن شاء الله .

(٥) وأخيرًا فهذه لفتات عابرة لقراءة أولى متعجلة وسريعة :

(أ) كان جل اعتماد أبى الحسن الخزاعى فى ترجمة الرجال هو كتاب «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» لأبى عمر يوسف بن عبدالله ، المشهور بابن عبدالبر - كما أشار بحق أبى الإسعاد الكتانى - وربما رجع إلى آخرين ذاكرًا أن الترجمة لم يذكرها الاستيعاب :

ففى ترجمة مخيربق (٥٦٧) قال : ولم يذكره أبو عمر فى الاستيعاب ، وكذلك فى ترجمة رملة بنت الحارث النجارية . قال : رحلة بنت الحارث هذه لم يذكرها أبو عمر . وهو هنا يدل على أنه دقيق فى متابعته . وكذلك فى ترجمة الحصين بن نمير ص (٢٨٣) أغفله

(١) المقدمة ، ص ٨ .
(٢) السابق ، ص ٩ .
(٣) السابق نفسه .

الاستيعاب . لكنه لم يكن دقيقا وهو يترجم لـ رفيدة الأسلمية (ص ٦٧٤ الباب الخامس من الجزء الثامن حيث يقول : «تنبيه : لم يذكر أبو عمر بن عبدالبر ـ رحمه الله تعالى ـ رفيدة هذه فى كتاب الاستيعاب» . قلت : عفا الله عنا وعنك يا شيخنا ، بل ذكرها . واسمع ما قال الإمام الحافظ أبو عمر :

«رفيدة : امرأة من أسلم ، كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ فى خيمتها فى مسجده ؛ ليعوده من قريب . وكانت امرأة تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، ذكره ابن إسحاق»[١] وهو نفس مساق الكتاب عن ابن اسحق .

(ب) فى هذا الباب (الخامس) بعنوان : «فى المارستان» بعد أن عرَّف أبو الحسن «المارستان» عن الجوهرى فى صحاحه وأنه دار المرضى ـ ذكر حديث مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : «أصيب سعد يوم الخندق ؛ رماه رجل من قريش : ابن العرقة رماه فى الأكحل . فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد يعوده من قريب» .

قال المحقق فى الهامش : لم أعثر عليه فى مسلم ، ورواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب الخيمة فى المسجد . راجع الهامش ص ٦٧٣ من الكتاب .

قلت : غفر الله لنا ولك ، بل ذكره مسلم يا سيدى وإليك البيان :

عن عائشة رضى الله عنها : أصيب سعد يوم الخندق . . .» بقية النص بالضبط فى صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدلٍ أهلٍ للحكم جـ ٣ ص ١٣٨٩[٢] .

وعند البخارى فى كتاب فتح البارى ٤٦٣/١ كتاب الصلاة ـ كما أشار الهامش ـ وفى المغازى ـ أيضًا ـ ٣١٧/٧ باب غزوة الخندق[٣] .

ويمكن أن يقال لأبى الحسن ما قاله الإمام الكتانى : «إن الحديث الشريف إذا جاء فى صحيح البخارى قُدِّم على غيره من الصحاح» .

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر . جـ ٤ ص ٣٨٣٨ قسم النساء ترجمة رقم ٣٣٤٠ . نهضة مصر .
(٢) صحيح مسلم : تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء الكتب العربية ط ١٩٥٥ .
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى : صنعة الإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر» دار المعرفة ـ بيروت ، أوفست عن الأميرية ١٣٠٠هـ.

(جـ) عنوان الكتاب حدَّد المدى الزمنى للعمالات وهو عصر النبوة (على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية . لكن شيخنا الخزاعى رضي الله عنه لم يلتزم بهذا «العهد النبوى» .

فقد يستطرد فى ذكر الولاة أو العمالة ليصل بها إلى الخلفاء الراشدين ، كما حدث فى الحجاب ص ٥١ ، والدواوين ص ٢٣٥ .

وقد لا يكون لها ذكر تمامًا فى العهد النبوى ، مثل صاحب المظالم ص ٢٧٥ حيث ذكر السبب فى استحداث هذه الولاية نقلا عن أبى بكر بن العربى ، وأن أول من وليها هو عبدالملك بن مروان ، ومثل حديثه عن صانع السفن ص ٤٨٠ وذكر بسنده أنه نوح عليه السلام ، وأشار إلى استخدام السفن فى العصر النبوى ، وفرق بين الصناعة والاستخدام .

وكذلك حديثه عن صاحب المساحة ، بدأ بذكر عمر رضي الله عنه .

ومثل حديثه عن صاحب السكة ، بدأها بقوله : هذه عمالة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ (ص ٦٣١ الباب السابع من الجزء السابع) . فلماذا ذكرتها إذن؟

وكذلك القول فى الدلال والسمسار (ص ٧١٨ الباب العاشر من الجزء التاسع) لم يُسم أحدًا وإنما اكتفى بالتعريف والحكم .

وبعد ؛ فهذا العمل الفريد العلم لا تقلل من قيمته هذه الهنات المتواضعة ، فرضى الله عن صاحبه ، وجزاه خير الجزاء .

والآن إلى متابعة الإمام الحافظ أبى الإسعاد الشيخ عبدالحى الكتانى . المسمى بـ : «كتاب التراتيب الإدارية ، والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية فى المدينة المنورة العلية» .

ولضبط دراسة هذا المصنف ينبغى تحديد الخطوات كالآتى :

- التعريف بالشيخ أبى الإسعاد عبدالحى الكتانى وبيئته العلمية ومعاصريه .
- مصادر ثقافته ، ومنها رحلاته وأسفاره ، وتجاهل المترجمين له .
- ملابسات أحاطت بتأليف مصنفه .
- إلقاء الضوء على كتابه ؛ هدفًا ومبنى وموضوعًا ومصادر .
- نقده للشيوخ الذين قرأ لهم ، أولهم الخزاعى .

● ملاحظات عابرة بعد أن نشير إلى الملامح الرئيسية فى إنشاء أول عاصمة إسلامية على يد مؤسسها ﷺ

مَن عبدالحى الكتانى؟

هو الإمام الحافظ الفقيه المحدِّث المتصوف أبو الإسعاد الشيخ عبدالحى بن شمس الآفاقة أبى المكارم مولانا عبدالكبير بن أبى المفاخر سيدى محمد الحسنى الإدريسى .

وهذا اسمه ولقبه بحُلاه التى وردت على غلاف مصنفه : «كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ، التى كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية فى المدينة المنورة العلية» . والشيخ الحافظ من علماء القرن الرابع عشر الهجرى ، فاسى المولد والوفاة .

تبحرّ واسع اطلاع مديد مع غزارة علم وقوة تمكن ، إمام فى السير والتراجم . بصير بما يقرأ تلحظ عنده فهمًا معرفيا لايشيع وعينا ناقدة قلّ أن تخطئ وبصيرة ثاقبة لا غيل . هذا الإمام العلم الأُمَّة بكل هذا القدر ، سكتت عنه كتب التراجم والأعلام وكأنها تواطأت على غمطه فصدق عليه ما قاله هو عن الشيخ أبى الحسن الخزاعى :

«ومع ذلك أجد أن طول الزمن أفنى على مؤلِّفه ومؤلَّفه معًا فدُفِنَا فى زوايا النسيان وألقى عليهما الإهمال بكلكله فى أودية النكران» .

إلا أن الشيخ الكتانى ما يزال قريب العهد موصول الأثر بالعصر يَحْتَفى فى ديوانه الأغر بالكثير من معاصريه وقد أضفى عليهم صفات الصحبة والصداقة والوداد :

وهذه كوكبة ممن أشار إليهم أسوقها تأكيدًا لنشاطه العلمى وأنه لم يكن خاملاً وتأكيدًا لاحتفائه وتقديره للعلماء وأخيرًا لتحديد الفترة الزمنية من خلال معاصريه . هذا وقد ذُكر الكثير لكنى اكتفيت بهذه النماذج :

١ - ولصديقنا الكاتب المعتبر رفيق بك العظم (١٢٨٤ - ١٣٤٣هـ/ ١٨٦٧ - ١٩٢٥م) كتابه أشهر مشاهير الإسلام[٢] .

---

(١) التراتيب الإدارية ، المقدمة ، ٣٣ .

(٢) التراتيب الإدارية ، المقدمة ، ٢٦ ؛ الأعلام للزركلى ٣/٥٦ .

٢ - ولصاحبنا البحاثة الأثرى السيد حسن حسنى عبدالوهاب (١٣٠٠ - ١٣٨٩هـ / ١٨٨٤ - ١٩٦٨م) كتاب سماه : دليل الباحثين عمن ألف من الإفريقيين أخبرنى أنه فى ثلاث مجلدات[١] .

٣ - كما بلغنى عن عصرينا المعتنى البحاثة الشيخ جميل العظم البيروتى أنه ذيَّل كشف الظنون فى عشر مجلدات (١٢٩٠ - ١٣٥٢هـ/ ١٨٧٣ - ١٩٣٣م)[٢] .

٤ - للكاتب البارع البحث محمد فريد وجدى[٥] فى ميدان استنباط العلوم النفسية والقوانين الاجتماعية والعلوم الكونية من القرآن وجواهره (١٢٩٥ - ١٣٥٢هـ/ ١٨٧٨ - ١٩٥٤م) ومن مؤلفاته :

تفسيره ، دائرة معارفه ، كنز العلوم واللغة ، الإسلام والمدنية[٣] .

٥ - ويعجبنى أن أثبت هنا قول عصرينا الشاعر المصرى المشهور مصطفى صادق الرافعى (١٢٩٧ - ١٣٥٦هـ / ١٨٨١ - ١٩٣٧م) ثم ساق أبياتا من الشعر[٤] .

٦ - وممن ساعدنى علي استعارته - استعارة كتاب التخريجات للخزاعى - بهجة تلك الحاضرة التى هو فيها الشامة النادرة الشيخ محمد طاهر عاشور قاضيها لذلك العصر (٠٠٠ - ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م)[٥] .

هؤلاء السادة النُجُب معاصرو الشيخ ذكرهم أصحاب السير وأهملوا الحديث عنه ، ولم أجد من أشار إليه وإلى مؤلفه إلا د . حسين مؤنس فى لمحة عابرة : «ملاحظة : أشار إليه أيضًا محدث العصر الشيخ الألبانى فى مصنفه سلسلة الأحاديث الضعيفة» .

يقول د . مؤنس : «وإذا قرأت كتاب «وفاء الوفا» للسمهودى[٦] وكتاب «التراتيب الإدارية» لعبد الحى الكتانى خرجْتَ بمعلومات تدعو إلى العجب عن بعد نظر الرسول ﷺ وصدق تصوره لعانى التعمير والإنشاء القائمة على التخطيط»[٧] .

(١) التراتيب ٢٦/٢ ؛ المجمعيون ص ١٠٦ وكان عضوًا بالمجمع اللغوى .
(٢) التراتيب ٤٥٩/٢ ؛ الأعلام ١٣٤/٢ .
(٣) التراتيب ٤٦٣/٢ ؛ الأعلام ٢٢٠/٧ .
(٤) التراتيب ٥٥/١ ؛ الأعلام ١٣٧/٨ .
(٥) التراتيب ؛ المقدمة ٣٣ ؛ الأعلام ٤٣/٧ .
(٦) السمهودى : أبو الحسن على بن عبدالله بن أحمد الحسنى ، أحد مؤرخى مصر فى القرن العاشر الميلادى .
(٧) د . مؤنس ، دراسات فى السيرة النبوية . ص ٥١ . الزهراء للإعلام العربى ط ثانية ١٩٨٥ .

وكما تحدث عن معاصريه من العلماء والأدباء ممن رحل إليهم وانتفع بعلمهم وقرأ لهم نجد أنه تحدث أيضًا عن نفر من أسرته كان لهم خط وافر من العلم والثقافة وهذا بُعْد آخر يلقى الضوء على شخصية الشيخ عبدالحى وهو أنه نشأ فى بيئة علمية ، ولنلتقط هذه الإشارات من سفره الطيب منوهًا عن هذا العالم أو ذاك من الأسرة الكتانية .

١ - وأول من يتحدث عنهم بإجلال وإكبار هو والده ربانى الأمة وشيخ المشايخ مولانا عبدالكبير الكتانى كما عرَّف به غلاف الكتاب .

(أ) فيبدأ بإهداء «هذا الديوان إلى روح شيخنا الأستاذ الوالد» إهداء الكتاب .

(ب) ثم يذكر بعض مؤلفاته والده التى كانت أحد روافده فيقول :

«وتحديد الأسنة فى الذب عن السنة» لشيخنا وولى نعمتنا الأستاذ الوالد الشيخ أبى المكارم عبدالكبير بن محمد الكتانى الحسنى .

(جـ) «والتوفيق من الرب القريب فى عدد شيب وخضاب النبى الحبيب[١] . وفى حديثه عن الخِمرة ، أفرد شيخنا الوالد مسألة صلاته ﷺ على الخمرة والحصير بتأليف فانظره»[٢] .

(د) وعند سؤال الشيخ عبدالحى : «هل كان ﷺ يستعمل الماء المسخَّن أو دخل الحمام؟ قال : وجدت بخط شيخنا الأستاذ الوالد على الفتح» فى باب وضوء الرجل مع امرأته لدى قوله البخارى وتوضأ عمر بالحميم[٣] مانصّه ذكر أبو عمر بن عبدالبر أنه ﷺ لم يستخدم الماء المسخَّن لا فى وضوء ولا غسل»[٤] .

(هـ) ولما تحدث عن «درة عمر» قال الشيخ عبدالحى :

«ولم أر من حرَّر فيها القول كشيخنا الأستاذ الوالد فى كتابه المسمى :

«التوفيق من الرب القريب فى عدد شيب وخضاب الحبيب»[٥] .

(١) التراتيب ، المقدمة ، ص ٣١ .
(٢) التراتيب ١٨/١ .
(٣) كتاب الوضوء باب وضوء الرجل مع امرأته وفضل وضوء المرأة» الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى شرح صحيح البخارى ٢٥٨/١ والحميم : الماء المسخن .
(٤) التراتيب ٩٤/١ .
(٥) التراتيب ٢٨٨/١ .

(و) وعند حديثه عما يتعاطاه «أهل الطريق» من تمايل يمينا وشمالا فيما يزعمونه من ذكر قال : «فقد خرَّج أبو نعيم فى الحلية عن الفضيل بن عياض : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم ترجع إلى وراء ، انظر تأليف «الرقص» لشيخنا الأستاذ الوالد . وهو مطبوع»[1] وهناك إشارات أخرى عملية تدل على تغلغل الروح الدينى والتربية الخلفية فى هذا البيت الكتانى ربما عرضنا لها .

هذا وقد ترجم صاحب الأعلام لهذا الوالد فقال :

عبدالكبير بن محمد بن عبدالكبير الحسنى الإدريسى الكتانى (١٢٦٨ - ١٣٣٣هـ/ ١٨٥٢ - ١٩١٥م) فقيه من أعيان فاس مولدًا ووفاة (وهو والد)

وهو والد صاحب «فهرس الفهارس» من كتبه : ـ مبرد الصوارم والأسنة فى الذب عن السنة ـ الانتصار لآل البيت المختار . الشرب النفيس فى ترجمة مولانا إدريس بن إدريس[2] .

٢ - الشخصية الثانية فى الأسرة جَدُّه من قبل الأم :

ففى تقصيه عن ضرب الدراهم وتاريخ السكة فى المغرب جاء قوله :

لأن الإمام إدريس بن إدريس رضى الله عنهما قد كان ضرب السكة أيام خلافته آخر القرن الثانى من الهجرة قبل ولاية عبدالرحمن بن الحكم ، وقد عقد لذلك جدنا من قبل الأم الإمام أحمد بن عبدالحى الحلبى ثم الفاسى فصلاً فى كتابه : «الدر النفيس» وهو الفصل ٢٤ قال عنها : . . . إلخ»[3] .

٣ - جد جده من قبل الأم

عن العلاقة بين الكتاب والسنة وأن السنة بينت القرآن وأن الحديث الصحيح يتطلب لفظه أو بعضه أو معناه فى القرآن ورد ما يأتى : وفى «نفحة المسك الدارى» لجد جدنا من قبل الأم أبى الفيض بن الحاج على فى نظمه لمقدمة ابن حجر[4] . . . إلخ .

---

(١) التراتيب ١٤٤/٢ .
(٢) الأعلام ١٧٥/٤ .
(٣) التراتيب ٤٢٣/١ .
(٤) التراتيب ٢٠٠/٢ .

ثم نابع عن الشخصية الرابعة .

٤ - وفى «رياض الورد» لولده (ولد جد الجد هذا) خاتمه المحققين المطلعين بفاس أبى عبدالله محمد الطالب بن حمدون بن الحاج الذى ألفه[١] فى ترجمة والده المذكور .

٥ - ابن خاله : جاء ذكره وهو يبسط مصادره ومراجعه فى المقدمة قال «وسلوة الأنفاس فيمن أقبر من العلماء «والصالحين بمدينة فاس لابن خالنا : أبى عبدالله محمد بن جعفر الكتانى الفاسى»[٢] .

ثم أشار إلى ابن خاله هذا عند الحديث عن الترجمان حيث قال :

وراجع تأليف ابن خالنا العلامة المحدث أبى عبدالله بن جعفر الكتان نزيل دمشق المسمى بالمطالب العزيزة الوافية فى تكلمه ﷺ لغير اللغة العربية»[٣] وقد ترجم الزركلى لهذا العالم (١٢٧٤ - ١٣٤٥هـ/ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م) وذكر من كتبه «سلوة الأنفاس السابق[٤] .

٦ - ثم عدَّ خاله العلامة جعفر بن إدريس ذاكرًا بعض مؤلفاته :

«إتحاف نجباء العصر بالجواب عن المسائل العشر»[٥] ، وآخر عند حديثه «عن الوزان» ٣٥/٢[٦] وثالثًا عند الحديث عن الغناء[٧] ، كذلك ترجم له عند صاحب الأعلام (١٢٥٠ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٣٤ - ١٩٠٥م)[٨] .

٧ - وأخيرًا ابن عمه أشار إليه مرتين والتأليف واحد هو : «هداية الضال من القيل والقال» وهو شرح ابن عمنا المؤرخ المدرس الأديب أبى محمد المأمون بن عمر الكتانى على قول ابن فارس :

إذا كنت فى حاجة مرسلاً رسولا وأنت بها مغرم»[٩] .

أردت بهذا السرد تحقيق علمية البيئة بالأدلة والأسانيد ، وهو عنصر هام فى تكوين شخصية الشيخ ، وهناك معلم آخر يوطد هذا البعد ويعمقه فلقد أتيح للشيخ أن ينشأ وطوع يده فرائد المصنفات ، وعجائب المؤلفات ، وغرائب الآثار تضمها خزانة كتبه التى فيها من

(١) التراتيب ٢/٢٠٠ .
(٢) التراتيب ، المقدمة ، ٢٧ .
(٣) التراتيب ٢٠٨/١ .
(٤) الأعلام ٣٠٠/٦ .
(٥) التراتيب ٢٠٨/١
(٦) السابق ٣٥/٢ .
(٧) التراتيب ١٣٤/٢ .
(٨) الأعلام ١١٥/١ .
(٩) التراتيب ٢٥/٢ ، المقدمة ٣٠ .

النادر والطريف ما بين مطبوع ، ومخطوط ، وما بين عملات نادره ومكاييل وموازين أثرية أشار إلى بعضها الشيخ عبدالحى :

- فى مكتبنا المُدُّ النبوى المرينى ، ودرهم ليوسف بن تاشفين(١) .

- ونسخة من موطأ مالك منتسخ على الرق (طرف من الموطأ) يرجع إلى ٥٣٠هـ .

- ونسخة من اختصار الموطأ انتسخت بفاس ٥٨٨هـ (٢) .

وفى مكتبتنا ربعة مصحف انتسخها بيده السلطان أبو زيان سنة ٨٠١هـ(٣) .

تتداول الصحف التونسية ومجلاتها صورة مكتوب يذكرون عنه مأخوذ بالفوتوغراف من أصل كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس ملك مصر ـ الموجود بدار الآثار بالآستانة ، وكنت قد ظفرت بنسخة منه سابقا فى رحلتى إلى مصر سنة ١٣٢٣ ولعلى أول من أدخلته للمغرب»(٤) .

وفى مكتبتنا رسالة للسيوطى سماها «المهذب فيما وقعه فى القرآن من المعرب» فى نحو كراسة»(٥) .

وفى مكتبتنا فى قسم النقود دراهم مكتوبة بالكوفى عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنها لعلى بن أبى طالب(٦) وفى مكتبتنا كتاب نادر الوجود اسمه : «الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة»(٧) .

وفى مكتبتنا نسخة خطية من «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد»(٨) .

«وكتاب الدر الثمين فى أسماء المصنفين ، وهو عندى فى مجلد ـ ومؤلفه الإمام البارع تاج الدين أبو طالب على بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعاتى البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤هـ ، وكتابه هذا من الضنائن التي تفردت بها مكتبتنا»(٩) .

ومن العوامل التى تعاونت على تأسيس شخصيته :

---

(١) المُدّ النبوى المرينى نسبة إلى بنى مرين ١١٩٥ - ١٤٧٠ أسرة حكمت المغرب الأقصى ، وهى الدولة التى أعطت للمغرب الأقصى شكله الذى استقر عليه ، وبلغت فاس فى عهدهم درجة كبيرة من الحضارة . برز منهم أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق «المنصور المرينى ١٢١٠ - ١٢٨٦م» . الموسوعة الثقافية ـ دار الشعب .

(٢) التراتيب ١/١٠ .

(٣) السابق ١/١١ .

(٤) السابق ١/١٩٦ .

(٥) التراتيب ١/٢٠٨ .

(٦) التراتيب ١/٤٢٢ .

(٧) السابق ١/٤٢٤ .

(٨) السابق ٢/١٨٨ .

(٩) التراتيب ٢/٤٥٨ .

رحلاته وأسفاره التى جاب فيها كثيرًا من الدول وزار فيها الكثير من الخزائن والمكتبات وانتفع فيها بالتلقى عن شيوخ العصر :

١ - رحلته إلى مصر سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، وزيارة المكتبة الخديوية والتي يصفها بقوله ـ أثناء حديثه عن المكتبات التي زارها : «يجب القول اليوم بأن أعظم مكتبة إسلامية فى الكرة الأرضية« المكتبة الخديوية المصرية» فإنها جمعت ما لم تجمعه الآن مكتبة فى العالم الإسلامى . وبرنامجها فى عشر مجلدات ولعله أضيف إليها بعد طبعه ما يقرب مما كان فيها وقت جمعه . وأقدم ما بها من الكتب رسالة الشافعى بخط تلميذه الربيع الجيزى . . . إلخ»[١] . ثم تحدث عن بقية المكتبات ، «تليها مكتبة الآستانة» . ثم تحدث عن المكتبات الخاصة مثل تيمور باشا ، وأحمد زكى باشا . . . إلخ .

٢ - رحلته الحجازية الشامية وزار خلالها دمشق وانظر قوله : «وكنت رأيت فى دمشق صورة يدوية للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى . وولى الدين ابن خلدون والأخيرة ظفرتُ بها وهى عندى منقولة عن صورة وُجدتْ بالاسكوريال من بلاد أسبانيا»[٢] ، أو يقول : «وأخبرنى مسند الشام عبدالله بن درويش السكرى الدمشقى شفاها عام ١٣٢٤»[٣] . وبيروت . يقول : «وأنشدنى بوصيرى العصر : أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النبهانى البيروتى لنفسه ببيروت سنة ١٣٢٤هـ . ثم سجل أبياتا من الشعر»[٤] .

والخليل : «وممن لقيته منهم أى من ذرية تميم الدارى ـ ببلد الخليل لمازرته سنة ١٣٢٤هـ فى رحلتنا الحجازية الشامية : خطيب الحرم الخليلى»[٥] .

والمدينة المنورة : «ووقفت فى المدينة المنورة على رسالة حافلة للعلامة المحقق محمد بن عبد الرسول فى إثبات الكتابة والقراءة لرسول الله ﷺ ولم يتيسر لى تلخيصها»[٦] . أو «روايتنا عن محدث المدينة المنورة العالم اللغوى الأديب المسند المعمر الرحالة أبى اليسر فالح بن محمد الشاهرى المدنى . م سنة ١٣٢٨هـ فيما أجازنيه مكاتبة ثم شفاها بها ـ بالمدينة المنورة ـ سنة ١٣٢٤»[٧] . وآخر المحطات فى رحلته الشامية الحجازية هى :

---

(١) التراتيب ٢/٤٦٠ .
(٢) السابق ٢/٧٢ .
(٣) السابق ٢/١٣٨ .
(٤) السابق ١/٣٦ .
(٥) التراتيب ١/١٥٤ .
(٦) السابق ١/١٧١ .
(٧) التراتيب ، المقدمة ٤٩ .

مكة المكرمة : «وهو كتاب جيد كنت شديد البحث عن ترجمة مؤلفه ـ (هو كتاب بعنوان : الأدعية والأذكار المتكررة فى الأحوال والأعصار) حتى أفادنيها بمكة زينتها ومسندها وبركتها شيخنا أبو على حسين بن محمد وأن اسم مؤلفه محمد بن عبدالرحمن . . إلخ .»[١] .

٣ – رحلته إلى الجزائر يتحدث عن بعض الكتب فيقول : «وقفت عليه فى زاوية الهامل ببوسعاده بصحراء الجزائر»[٢] .

٤ – رحلته إلى تطوان : فى حديثه عن أحد المصنَّفات يقول الشيخ :

«حتى أنى اجتمعتُ فى رحلتى إلى تطوان فى سنتنا هذه ربيع الأول سنة ١٢٣١هـ/ ١٩٢٣م تقريبا بنائب أسبانيا فى تلك المقاطعة ، فسألته عن هذا الكتاب فلم أجد عنده له أثرًا»[٣] وفى موطن آخر : «وقد كنت رأيت فى سفرى إلى تطوان عام ١٣٤١هـ درهما من هذه الدراهم الهرقلية منقوش عليها صورة هرقل»[٤] .

٥ – وهناك إشارة إلى زيارته لأسبانيا : يتحدث عن موسوعة الفارابى أبى نصر ٣٣٩ محمد بن طرخان ٣٣٩هـ «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها فيقول الشيخ الكتانى وهو كتاب نادر الوجود توجد منه الآن نسخة خطية فى أسبانيا[٥] .

٦ – والآستانة : فى كلامه عن موسوعة النويرى شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ٧٣٢هـ نهاية الأرب . يقول : «وهو موجود كاملاً فى بعض مكاتب الآستانة والمكتبة الخديوية بمصر ، وقد شرع فى طبعه الآن بمصر»[٦] .

٧ – وزيارته «لمراكش ١٣٣١ – ١٩١٣»[٧] .

٨ – «رحلته إلى تونس سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢١ تقريبا»[٨] .

٩ – وزيارته للمكتبة الخالدية ببيت المقدس[٩] .

---

(١) التراتيب ١٤/٢ .
(٢) التراتيب ١٦/٢ .
(٣) السابق ١٦٢/١ .
(٤) السابق ٤١٦/١ .
(٥) السابق ١٨٥/١ .
(٦) التراتيب ١٨٨/٢ .
(٧) السابق ١٩٣/٢ .
(٨) التراتيب ، المقدمة ٣٣ .
(٩) التراتيب ٤٥٩/٢ .

منهل آخر فى ثقافة الشيخ وهو صلته بالمثقفين الغربيين (المستشرقين) جاء ذكر بعضهم فى كتابه ولم نستطع تحقيق هذا الجانب نظرًا لتشابه الأسماء عند بعضهم دون أن يحدد تاريخًا أو مؤلفًا محددًا لهم فمثلا : «وإن تعجب فاعجب لقول «بطلر» أحد المشتغلين بتاريخ الإسلام من الأوروبيين»[١] .

حاولت البحث عن «بتلر» هذا واصفًا فى حسبانى إبدال التاء طاء . فوجدت أن الاسم مشترك وأن المهمة عسيرة . ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى الواضح مثل :

● انظر رد «رنان»[٢] على نشر الهذيان»[٣] .

● «ولننقل لك بحثا للمؤرخ سيديليو[٤] فى كتابه خلاصة تاريخ العرب الذى ترجمته دار المعارف المصرية وطبعته ١٣٠٩هـ»[٥] .

● عن قصائد المصنفات العربية التى جاوزت القصيدة منها مائة ألف بيت يقول الشيخ : «كل واحدة من هذه القصائد كيفما ظننا فلا تكون إلا أكثر من عدد أبيات الإلياذة[٦] التى عدد أبياتها زهاء ١٦ ألف بيت»[٧] .

هكذات تعددت مناهل الشيخ الثقافية بين المطبوع والمخطوط والرحلات والأسفار والتلقى عن الشيوخ وقراءة : المستشرقين [٨] .

وهو شيخ من شيوخ الصوفية كابرًا عن كابر فوالده كما جاء فى ترجمة الزركلى له : فقيه من أعيان فاس» وأخوه محمد بن عبدالكبير مؤسس الطريقة الكتانية[٩] .

---

(١) التراتيب ٢٨١/١ .

(٢) رينان ، أرنست ٢٨٢٣ - ١٢٨٩٢م . الفيلسوف . من أشهر المستشرقين الفرنسيين ، انتخب عضوا بالمجمع اللغوى الفرنسى ١٨٧٨ تضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها ، رحل إلى المشرق ونزل لبنان ، عنى بالعقائد الإسلامية ، من آثاره : ابن رشد والرشديين ١٨٥٢ ، تاريخ اللغات السامية (١٨٥٣ راجع نجيب العقيقى ، المستشرق جـ ١ ص ١٩١ دار المعارف ط رابعة ، وأما نشر الهذيان فهو كتاب رد به مؤلفه على جرجى زيدان .

(٣) التراتيب ٤١٩/١ .

(٤) سديليو . لويس الابن خدم هو وأبوه «عمانويل» ، اللغة العربية . ولويس هذا ألف كتابا ، تاريخ العرب وآدابهم فى مجلدين (باريس ١٨٧٧) نقله إلى العربية على باشا مبارك وطبع بمصر ١٣٠٩هـ لويس توفى سنة ١٨٧٥» زيدان تاريخ آداب اللغة العربية تحقيق د شوقى ضيف ٤٨/٤ دار الهلال .

(٥) التراتيب ٤٦٥/٢ .

(٦) الألياذة : إحدى ملحمتى الشاعر اليونانى القديم هو ميروسى وموضوعها الحرب بين طراوده واليونان ، وقد ترجمت إلى العربية» الموسوعة الثقافية بإشراف د . حسين سعيد كتاب الشعب عن مؤسسة فرانكلين .

(٧) التراتيب ١٨٤/٢ .

(٨) استدرك الأعلام فى ترجمة محمد عبدالكبير الكتانى : ويزاد فى ترجمته : وهو مؤسس الطريقة الكتانية بالمغرب ، ويزاد فى أيسماء كتبه : لسان الحجة البرهانية فى الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية .

(٩) الأعلام ٨٢/٧ والاستدراك عليه ٢٠٧/١٠ .

وتروج فى كتاباتهم مصطلحات القوم ، كما جاء فى تقريظ جريدة النجاح التي تصدر بقسنطينه بتاريخ ١٤ جمادى ٢ هكذا ـ عام ١٣٤٧ ما صورته :

«نظام الحكومة المحمدية»

تأليف العلامة المحقق المحدث الحجة الشيخ عبدالحى الكتانى . المدرس بكلية القرويين وشيخ الطريقة الكتانية بفاس»(١) .

وقبل الانتقال إلى مصنفه «التراتيب» فإن هناك لبْسًا صادفنى يحتاج إلى توضيح عند ترجمة الأعلام لوالده وستذكر الأسماء بدون ألقاب أو كنىً قال : عبدالكبير بن محمد بن عبدالكبير الحسنى الإدريسى الكتانى(٢) .

قال وهو والد : صاحب فهرس الفهارس .

وعند ترجمته محمد بن عبدالكبير بن محمد(٣) .

قال وهو شقيق محمد عبدالحى صاحب «فهرس الفهارس» .

من محمد عبدالحى هذا؟ وكيف يكون شقيقه؟ وكلاهما محمد والوالد مختلف محمد عبدالكبير شقيق محمد عبدالحى كيف هذا ؟ ومما دعَّم الالتباس ما جاء فى خاتمه الختام بالنص :

«حرره بيده الفقير محمد عبدالحى الكتانى فى شوال الأبرك عام ١٣٤١ بفاس قلتُ : لعله ابنُ المؤلف عبدالحى فإذا بالتكملة تقول :

ثم أعدتُ النظر فيه والالتفات إليه مشتغلا به نجو سنتين أو أكثر فتم تنقيحًا وتهذيبًا وإلحاقًا وتبويبًا عام ١٣٤٦ بفاس حرسها الله بمنه ، مطالعًا عليه مراجعًا لأجله ما سبقت تسميته فى المقدمة من الكتب والرسائل ، ، وزدت على ذلك أخيرًا ما لم يقع لنا فيما سبق تسميته كالزرقانى على الموطأ . . . إلخ . وأخذ فى سررد مؤلفات أخرى»(٤) .

فليس فى النص ما يشير إلى أنه ابن الشيخ وإنما هو الشيخ نفسه» . . مع أنه جاء فى صلب الكتاب ما نصه :

(١) التراتيب ٢/٤٦٩ .
(٢) الأعلام ٤/١٧٥ .
(٣) الأعلام ٧/٨٣ .
(٤) التراتيب ٢/٢٦٧ .

«وأحكام النفائس فى آداب الأذكار بلسان فارس ، لسمينا عبدالحى الكلنوى الهندى»[(١)] . والعجيب أن الأعلام ترجم لعبدالحى هذا[(٢)] ولم يترجم للكتانى .

و«فهرس الفهارس» الذى أشار إليه الشيخ الزركلى على أنه من صنع محمد عبدالحى[(٣)] ، هو من صنعة الشيخ حيث جاء فى التراتيب :

«وقد اهتممتُ فيما قَرُب بجمع أسماء الفهارس والأثبات فبلغت عندى أزيد من الألف فى حين أن كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون لايوجد فيه ولا عُشره»[(٤)] .

وبحثت عند الزركلى عن عبدالحى الكتانى أو محمد عبدالحى الكتانى[(٥)] فى الأعلام ومستدركاته فلم أجد لهما ذكرًا فهل المؤلف عبدالحى؟ أم محمد عبدالحى كما جاء فى ختام الكتاب وأحسب أنه هو فلو كان ابن المؤلف لقال محمد بن عبدالحى ، ومادمنا قد أشرنا إلى أنه هو صاحب «فهرس الفهارس» فيجمل بنا أن نشير إلى بعض أعماله ومؤلفاته التي ورد ذكرها بالإضافة إلى :

١ - التراتيب الإدارية الكتاب الأساسى

٢ - فهرس الفهارس[(٦)] .

٣ - تاريخ القرويين[(٧)] .

٤ - حول كتاب العواصم لابن العربى[(٨)] .

٥ - الإلمام بما ورد فى الحمَّام[(٩)] .

٦ - الأوائل[(١٠)] .

٧ - رحلتنا الحجازية الشامية[(١١)] .

---

(١) التراتيب ، المقدمة ، ٣٠ . (٢) الأعلام ٦٢/٤ .

(٣) التراتيب ، التراتيب ، ٣٠ . (٤) التراتيب ٤٥٧/٢

(٥) الكتانى لقب لحق بهم كما ذكر الشيخ قائلا : «وكنت الخزائن (الخباء يقال له فى المغرب خزانة ، فالفسطاط والخباء والخزانة واحد) فى القديم تستعمل من جلد أو صوف أو شعر ـ وأول من عملها من كتان أحد أسلافنا وهو يحيى بن عمران . . . ومن هنا جرى على عائلتنا اللقب بالكتانى» . تراتيب ٣٥٣/١ .

(٦) التراتيب ٤٥٧/٢ .

(٧) التراتيب ، المقدمة ، ٤٤ . (٨) السابق ١٣/١ .

(٩) السابق ٩٥/١ . (٩) السابق ٢٢٦/١ .

(١١) السابق ١٤/٢ .

٨ - اليواقيت الثمينة فى الأحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها إلى المدينة[١]، ٤ نشر بالجزائر ١٣٢٩

٩ - رسالة فيمن قبَّل يد النبى ﷺ[٢].

١٠ - مشروع كتاب عن «ابن الطلاع الأندلسى محمد بن فرج مولى ابن الطلاع»[٣].

وبعد . فلهذا الشيخ المحقق فضلُ التعريف به وبسلفه الشيخ أبى الحسن الخزاعى . وقد أهملت المراجع ذكرهما : سبحان الله!!

دهـرٌ عـلا قـدرُ الوضيـع به وترى الشريفَ يَحطُّه شرفُه
كالبحرِ يرسُبُ فيه لؤلؤه سُفْلاً وتعلـوُ فوقـه جِيَفُـه

ابن الرومى

ولما أعيانا تحديد عامى الميلاد والوفاة للشيخ لجأنا إلى هذا التحديد التاريخى العام : من علماء القرن الرابع عشر الهجرى وذلك باستخدام القرائن من مثل تواريخ من هم فى درجة قرابته .

فابن خاله ١٢٧٤ - ١٣٤٥ ، أو أصدقاؤه كعضو المجمع اللغوى حسن حسنى عبدالوهاب ١٣٠٠ - ١٣٨٦ ، ورحلاته ما بين ١٣٢٠ إلى ١٣٤١ .

والإعلان عن كتابه الذى ظهر فى الجريدة كان عام ١٣٤٧

ثم حديثه هو مثل : وضعف الإسلام فى القرن الرابع عشر[٤] .

أو قوله : «فقد قيدتنى الأقدار بعد أن مضى على موته (الخزاعى) نحوًا من ستمائة سنة وأبوالحسن توفى سنة ٧٨٩[٥] مضافا إليها ستمائة عام هذه = ١٣٨٩هـ .

(١) التراتيب ٢/٤٦٤ .
(٢) السابق ٢/٢٣٧ .
(٣) السابق ١/٢٥١ .
(٤) التراتيب ، المقدمة ، ٨٠ .
(٥) التراتيب ، المقدمة ، ٨٠ .

ملابسات أحاطت بتأليف الكتاب :

فى التقريظ الذى خُتم به الكتاب نقلا عن جريدة النجاح الغراء التى تصدر بقسنطينه بتاريخ ١٤ جمادى الثانية ١٩٤٧ : «ظهر الكتاب خلال السنوات التى أمست فيها ضجة فى مصر حول كتاب على عبدالرازق ، فكانت حديث الركبان يتطلع الناس إلى نتيجتها من كل جهة وصوب . فجاء كتاب التراتيب الإدارية كالشفاء بعد الألم والأمن بعد الفزع والغنى والفقر»[١] . ، وتوضيح ذلك أنه :

- فى بداية القرن العشرين ظهر كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨م)
- وفى سنة ١٩٢٥ ظهر كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلى عبدالرازق ((١٨٨٨ - ١٩٦٦م)
- وفى سنة ١٩٢٦ ظهر كتاب فى الشعر الجاهلى لطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م)

وهذه الكتب الثلاثة أثرت فى الحياة الفكرية والاجتماعية فى مصر وامتد تأثيرها ومايزال إلى أرجاء متعددة من العالم العربى»[٢] .

ولعبت الأهواء السياسية والتكتلات الحزبية والجرائد المعبرة عنها دورًا خطيرًا كان الانتصار فيه للحزب لا للحق وللهوى السياسى لا للعدل ، وليس من هدف هذه الدراسة أن تدافع أو تؤيد بقدر ما تلقى بعض الضوء على الأهواء السياسية التى أحاطت بالكتاب الثانى وهو ما يدخل فى دراستنا ، فلقد أُلْغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ وظهر الكتاب فى العام الثانى مباشرة سنة ١٩٢٥ وكانت المعارك على أشدها ـ وقيل فيما قيل . إن الملك فؤاد كان يُمنّى نفسه بأن يكون هو الخليفة للمسلمين . ولكنَّ بريطانيا ـ وهى المحتلة وصاحبة السيادة ، لم تنشط إلى هذا المنصب . ووعود الإنجليز الكاذبة مشهورة معروفة . وهم لا يريدون إغضاب هذا أو ذاك ، وأراد الملك عقد مؤتمر للخلافة فى القاهرة وتوجس بعض المدعوين من الدول الأخرى أن يكون القصد من مؤتمر القاهرة إنما هو نقل الخلافة من شاطئ البوسفور إلى شاطئ النيل ـ ولذلك انفض المؤتمر بغير قرار .

---

(١) التراتيب ٢/٤٧٩ .

(٢) د . مختار التهامى ، . ثلاث معارك فكرية . دار مأمون للطباعة .

«فى هذا الجو المشحون بالوساوس والهواجس والمطامع والدسائس خرج كتاب الشيخ على عبدالرازق : «الإسلام وأصول الحكم» . ولا يستطيع مؤرخ منصف أن يقول : إنه مقطوع الصلة بالأحداث السياسية التى وقعت فى الحقبة التى ظهر فيها عقب انهيار الخلافة التركية ، فهو مع كونه بحثًا علميًا دقيقًا اجتمع له من رصانة الأسلوب وهدوء نفس كاتبه وبساطة عبارته وخلوها من الحشو ومع تحليه بالاستقامة فى الوصول إلى الهدف بغير تردد أو تذبذب أو خوف ، فهو عمل سياسى فى الدرجة الأولى به من أسلوب «الأحرار الدستوريين» أو «حزب الأمة» صفتان هما : مخاشنة الملك والتوثب عليه والثانية أخذ السياسة البريطانية وغايتها فى الاعتبار[١] .

وأما امتداح الكتاب بأنه بحث علمى فقد تولى تفنيد ما فيه من آراء زائغة جمهرةٌ من العلماء والمتخصصين مثل الشيخ شلتوت والشيخ شاكر والشيخ رشيد رضا ود . صياء الريس وغيرهم ، وكما قلتُ : فليس من هدفى سرد الدفوع ولكنى أشير إلى نقطتين فى الكتاب توضح مدى الغرض الذى لا يلتقى مع البحث العلمى الدقيق إطلاقًا :

(١) «٤٤ آية أربع وأربعون آية ذكرها الشيخ فى كتابه ليدلل بها على أن رسول الله ﷺ لم يكن له شأن بالحكم ولا السياسة»[٢] . ولم يذكر آية واحدة تتحدث عن الاحتكام إليه ﷺ أو تنفيذ أمر الله له بالحكم بما أنزل الله مما افتتحنا به هذه الدراسة .

(٢) قوله : «من المؤكد أننا لانجد فيما وصل إلينا من ذلك عن زمن الرسالة شيئا واضحًا يمكننا ـ ونحن مقتنعون ومطمئنون ـ أن نقول : إنه كان نظام الحكومة النبوية»[٣] .

مثل هذه الأحكام القطعية لاتتناسب مع البحث العلمى الدقيق ، خاصة وأنه قد عرض لكتاب العالم المحقق المجدد رفاعه الطهطاوى ١٨٠١ - ١٨٧١م : نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز[٤] : «لانعرف لأحد من العلماء رأيا صريحًا فى ذلك البحث ولا نجد من تعرض للكلام فيه ـ أن للإسلام دولة سياسية أسسها النبى ﷺ ـ وكلام ابن خلدون ينحو ذلك المنحى . . وقد نقل المرحوم رفاعه بك رافع عن كتاب تخريج الدلالات السمعية ما

---

(١) فتحى رضوان : مشهورون منسيون ص ١٠٧ كتاب اليوم العدد ٢٧ أكتوبر ١٩٧٠ .

(٢) على عبدالرازق : الإسلام وأصول الحكم ١١٢ كتاب الهلال ٥٩٦ أغسطس ٢٠٠٠ .

(٣) السابق ص ٨٥ .

(٤) «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» للشيخ رفاعة الطهطاوى» ، خصصه لسيرة الرسول ﷺ ومقومات البناء السياسى والإدارى والقضائى للدولة الإسلامية الأولى ، وهو آخر كتاب ألفه الطهطاوى . انظر : د ، محمد عمارة : رفاعة الطهطاوى رائد التنوير فى العصر الحديث ١٢٢ دار الشروق ط ثانية ١٩٨٨ .

يشبه أن يكون صريحًا فى ذلك الرأى بل الواقع أنه صريح قال ما ملخصه : (بعد أن ذكر كلمة الخزاعى السابقة) إن من لم ترسخ فى المعارف . . واستطرد الشيخ على فقال : «ثم لخص رفاعة بك الكلام فى الوظائف والعمالات البلدية خصوصية وعمومية أهلية داخلية وجهادية التى هى عبارة عن نظام السلطنة الإسلامية وما يتعلق بها من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ ، وجمع فى ذلك بين الكلام على خدمة الخاصة به ﷺ وما يضاف إلى الإمامة العظمى من الأعمال الأولية كالوزارة والحجابة وولاية البُدْن والسقاية والكتابة وما يضاف إلى العمالات الفقهية من معلم القرآن ومعلم الكتابة ومعلم الفقه والمفتى وإمام الصلاة والمؤذن ، ثم ذكر التراجمة وكتابة الجيش والعطاء والديوان ، والزمام ، وبين أن للديوان أصلاً فى عهد رسول الله ﷺ ثم ذكر العمالات الخاصة بالأحكام . بالأحكام كالإمارة العامة على النواحى وما يتعلق بالأحكام من إشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود والمواريث والنفقات والقسّام وناظر البناء وذكر المحتسب والمنادى ومتولى حراسة المدينة والجاسوس لأهل المدنية والسجان ومقيمى الحدود . ثم ذهب يعدد الأعمال الحكومية واحدًا بعد واحد حتى لم يكد يدع شيئا» . فماذا كان تعليق الشيخ على؟

«لاشك فى أن الحكومة النبوية فيها بعضُ ما يشبه أن يكون من مظاهر الحكومة السياسية وآثار السلطنة والملك »[1] .

فهل يتناسب مع البحث العلمى أن يبدأ الشيخ بحكم قاطع أنه لم يجد فيما وصل إليه شيئا واضحًا عن نظام الحكومة النبوية . ثم ينتهى إلى هذه الطرطشة العقلية : «لاشك فى أن الحكومة النبوية فيها بعض ما يشبه . . إلخ .» . وإذا كان الشيخ لم يطمئن أو يقتنع بكتابات الماوردى وابن خلدون وابن تيمية والسمهودى والطهطاوى وبعشرات العلماء فى التفسير والحديث والأصول . فبم يطمئن؟»

أترك الحكم للقارئ . .

وقبل أن ألتقى بكتاب «التراتيب» أرد على كلمة الأستاذ الفاضل فتحى رضوان فى مسألة : مخاشنة الملك فؤاد ، ويمكن الاستدلال على هذه البطولة بقول الشيخ : «إن ذلك الذى يُسمى عرشًا لايرتفع إلا على رءوس البشر ولا يستقر إلا فوق أعناقهم وأن ذلك الذى يُسمى تاجًا لاحياة له إلا بما يأخذ من حياة البشر ولا قوة إلا بما يغتال من قوتهم ، ولا

(١) الإسلام وأصول الحكم ، ص ٩٠ .

عظمة له ولا كرامة إلا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم كالليل إن طال غال الصبحَ بالقصر وأن بريقه إنما هو بريق السيوف ولهيب الحروب»[١] .

«لذلك كان طبيعيا أن يستحيل الملكُ وحشًا سفاحًا وشيطانا مريدًا إذا ظفرت يداه بمن يحاول الخروج عن طاعته وتفويض كرسبه»[٢] . هذا كلام الشيخ على فى صلب كتابه وهو كما ترى كلام يتفجر ثورة وغضبًا ورفضًا . . كلام ينتهى بصاحبه إلى محاكمة أخرى أشد من محاكمة علماء الأزهر له . ونهاية فى أعماق السجون ، فلماذا لم يحدث هذا؟ . ولو تم لكان وسامًا يتقلده الشيخ عنوان البطولة كما حدث مع العقاد مثلاً حين سجن لمهاجمته أكبر رأس فى البلد والمقصود الملك فؤاد .

الذى حدث هو أن الشيخ بادر بالتوضيح.والاعتذار وتقديم فروض الخضوع والولاء إلى جلالة الملك «إذا ورد فى كتابى كلمات العرش أو التاج أو الملوكية فما هى إلا عرش الخلافة وتاج الخلافة ودولة الخلافة»[٣] . وهذا ضربٌ فى الميت ، هى ليست بطولة لأن الخلافة كانت قد ماتت ورثى شوقى هذا الميت وهى الخلافة بقوله :

كُفِّنْتِ فى ليل الزفاف بثوبه وَدُفِنْتِ عند تبلج الإصباح
ضجَّت عليكِ مآذن ومنابر وبكت عليكِ ممالك ونواح

فهل هذه بطولة : ثم يقول الشيخ :

«وأين ذلك من عرش مصر وتاجها والذات الملكية فيها . ونحن نعلم أن مصر لم تقم فيها إلى الآن خلافة ولا ظهر فيها تاج الخلفاء» . «إن عرش الملك لا يستقر إلا على أساس العدل الشامل وفوق قواعد الدستور والحرية ، وأما تاج مصر فإنه يستمد حياته على قدر ما يفيض على الأمة من حياة . وقوته على قدر ما يكون للأمة من قوة وعظمة وكرامته على قدر ما للأمة من كرامة . . وملك مصر دستوريا ينصر العلم والعلماء ، ويؤيد فى بلده مبادئ الحرية . . لسنا نحن الذين يتطرق الشك فى إخلاصهم الصحيح للعرش والتاج والذات الملكية ، ولقد كنا يوم أشرق على مصر ذلك التاج الكريم - ومازلنا - أول المبادرين لبيعته والناهضين لخدمته والظافرين بمظاهر عطفه ورحمته»[٤] .

(١) الإسلام وأصول الحكم ، ص ٦١ .
(٢) السابق ٦٦ .
(٣) ثلاثة معارك فكرية ، ص ١١٥ مرجع سابق .
(٤) السابق ، ١١٦ .

فهل هذه مخاشنة للملك أم ألاعيب سياسية لا علاقة لها بالعلم ولا بالعلماء .

أطلت فى توضيح الملابسات التى أحاطت بتأليف التراتيب الإدارية وأنها بعض دوافع الشيخ . «فى زماننا هذا الذى كثر الكلام فيه حول الخلافة وسلطتها»[1] لكنَّ هناك هدفًا آخر غير الاهتمام بهذه الإثارات أو غيرها

- فما هدف الكتاب
- وما صلته بمصنف أبى الحسن الخزاعى .
- وأين عثر على نسخ التخريجات
- والفرق بين كتابه وبين كتاب شيخه
- وانتفادُه له ومصادره التى اعتمدها
- وميلاد العاصمة السياسية الأولى على يد مؤسسها ﷺ
- ثم ملاحظات على سفر الكتانى

هذا ما نواصل الحديث عنه إن شاء الله .

(١) التراتيب ، المقدمة ، ٤٢ .

من التراث

نصوص تراثية:

التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة

تأليف

الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١هـ) (١٤٤٥ - ١٥٠٥هـ)

تحقيق: أ. د. عبدالرحيم الكردي*

مقدمة :

هذا الكتاب يعالج قضية التجديد فى الإسلام ، وهى من أخطر القضايا فى الفكر الإسلامى ، ولا ترجع أهمية هذا الكتاب إلى موضوعه فحسب ، بل تعود إلى كونه الكتاب المحورى الوحيد الذى استندت إليه الكتب التى تناولت قضية التجديد الإسلامى بعده ، فليس له نظير فى التراث الإسلامى إلا كتاب العلامة ابن حجر العسقلانى (الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة) ، وهو كتاب مفقود ، لم يعثر عليه السيوطى ـ نفسه ـ رغم شدة طلبه له وقرب عهده به .

وأشهر الكتب التى ألفت فى العصر الحديث ودارت كل موضوعاتها حول قضية التجديد فى الإسلام ـ ثلاثة كتب ، كلها كانت امتدادًا أو بسطًا لكتاب السيوطى الذى نقدم له الآن :

الكتاب الأول (بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين) للجرجاوى المراغى . ويعتبر تكملة لكتاب السيوطى هذا ، وشرحًا لقصيدته التى أطلق عليها (تحفة المهتدين فى أخبار المجددين) .

والكتاب الثانى هو (المجددون فى الإسلام) للأستاذ أمين الخولى . ويصرح الخولى فى أوله بأنه كتبه على أساس كتابى السيوطى والجرجاوى ، يقول رحمه الله : (فكانت الخطة أن أقدم مخطوط السيوطى المسمى التنبئة ، ثم أكمله فيما بعد زمن السيوطى من كتاب المراغى (بغية المقتدين) فأدون بذلك قول القدماء ، بعبارتهم فى فكرة التجديد على رأس كل مائة ، ثم أكمل هذه الصورة التاريخية بترجمة من سموهم المجددين ، ترجمة تقصد إلى بيان أعمالهم وأفكارهم فى التجديد) ، أى أن أمين الخولى كان يقصد أن يؤلف موسوعة تجديدية تشمل تحقيق الكتابين ، وتستوعب المجددين فى العصر الحديث ، لكن الأجل لم يمهله حتى يتم ما بدأ ، وظل كتاب السيوطى حبيس مخطوطته فى دار الكتب المصرية .

(*) رئيس قسم اللغة العربية ، كلية التربية ـ جامعة قناة السويس .

الكتاب الثالث هو (المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر) للأستاذ عبد المتعال الصعيدى . وترجم فيه الصعيدى لطائفة من المجددين فى كل قرن من القرون الإسلامية ، وبدأه أيضًا بقصيدة السيوطى (تحفة المهتدين) ، وسار فى الطريق الذى سار فيه كُلٌ من السيوطى والجرجاوى .

تناول السيوطى قضية التجديد فى الدين خلال ترجمته للمجددين ، وبيان صفاتهم وأعمالهم ، وهى الطريقة التى اتبعها الجرجاوى والخولى والصعيدى ، وإن كان مفهوم أمين الخولى عن التجديد يختلف عن الباقين ، فبينما فهم هو التجديد على أنه مرادف للتطور والتحديث فى كل شىء فى الإسلام حتى فى العقيدة ، تبعًا لتطور الحياة : تطورًا وتحديثًا لا يخل بجوهر الإسلام وأصوله ، بينما فهم الخولى التجديد هكذا كان مفهوم التجديد عند السيوطى والصعيدى يعنى العودة إلى المنبع ، إذ يذهبان إلى أن موانع نهضة المسلمين لا تكمن فى شدة تمسكهم بعقيدتهم أو التقوقع فيها ، وإنما تكمن فى انحرافهم عن هذه العقيدة ، أى فى ابتداعهم أمورًا لم تكن فى الدين ، من ثم فإن التجديد عند السيوطى نقيض الابتداع وليس نقيض الجمود ، كما هو الحال عند الخولى .

على أن الهدف من تحقيق هذا الكتاب ـ الذى نقدمه الآن ـ ليس مناقشة ما ورد فيه من آراء صائبة أو خاطئة ، بل هدفنا منه هو الهدف الذى قصد إليه الأستاذ أمين الخولى عندما عزم على إخراج الكتاب وتقديمه للقراء - ولم يمهله القدر لإتمامه- وهو أن يقام البحث فى قضايا التجديد فى وقتنا الحالى على أساس من التراث الدينى ، هذا الأساس يمنح البحث مزيدًا من المشروعية ، ويجعله تطورًا حديثًا موصولا بجذوره التاريخية ، تمليه متطلبات حياة المسلمين المعاصرة ، وتنتفى عنه شبهة البدعة أو الإملاءات الخارجية المغرضة .

وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على :

١- مخطوطة دار الكتب المصرية التى عنوانها «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ، (مجاميع طلعت ٥/٩٨ و ٣٣٨٨٦ ميكروفيلم ٤١٠٩٧) ، وهى مخطوطة قديمة نسخها محمد جاد الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقى الدين الهاشمى ، بمكة المكرمة عام ٩١٩هـ ، أى بعد وفاة السيوطى بثمانى سنوات فقط .

٢- مخطوطة أخرى بدار الكتب تحت عنوان «تحفة المهتدين فى أخبار المجددين» (مجاميع طلعت أيضًا ٩/٧٠٢ ، من ص١٧ حتى ص٣٢) ، وهى ناقصة ، ويبدو أنها أحدث كثيرا من النسخة السابقة .

٣- مخطوطة ثالثة تحتوى ورقتين فقط ، فيهما قصيدة السيوطى الواردة فى آخر كتاب التنبئة ، وهى بعنوان «تحفة المجتهدين فى أسماء المجددين» (مجاميع ٧/٤٨٥) .

وقابلت النصوص التى نقلها السيوطى من كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى» على نسخة الكتاب المخطوطة وطبعته المنشورة ، وكذلك نقوله من كتب : «الناسخ والمنسوخ» لابن النحاس ، و«المنقذ من الضلال» للغزالى ، و«موطأ مالك» وكتب الصحاح . . . وغيرها .

والتزمتُ فى التحقيق عدم الإطالة فى الحواشى أو التعليقات ؛ حتى لا ينقطع سياق النص .

وبعد ؛ فعسى أن يشارك تقديم هذا الكتاب ـ كاملا ـ فى إثراء الفكر التجديدى فى الإسلام ، وتدعيمه وإمداده بجذور قوية ثابتة .

والله يهدى إلى سواء السبيل ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله الذى خص هذه الأمة الشريفة بخصائص واضحة للمهتدين ، وبعث على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، سيد المرسلين وإمام المقتدين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، نجوم الهداة ، ورجوم المعتدين . . . وبعـــــد ؛

فهذا كتاب سميته (التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة) .

أخرج أبو داود فى سننه ، والحسن بن سفيان فى مسنده ، والبزار ، والطبرانى فى «الأوسط» ، وابن عدى فى مقدمة «الكامل» ، والحاكم فى «المستدرك» وصححه ، وأبو نعيم فى «الحلية» ، والبيهقى فى المدخل من طريق خالد بن وهب ، عن سعيد بن أبى أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافرى ، عن أبى علقمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» .

اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح ، وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ أبو الفضل العراقى ، والحافظ أبو الفضل بن حجر فى مناقب الشافعية ، فأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث ، فأخرج الحاكم فى مستدركه - عقب روايته الحديث - عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، قال : «فلما كان فى رأس المائة مَنَّ الله على هذه الأمة بعمر بن عبد العزيز» ، قال الحافظ ابن حجر : «وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورا فى ذلك العصر ، ففيه تقوية لسنده ، مع أنه قوى لثقة رجاله» . انتهى

قال أبو جعفر النحاس فى كتاب «الناسخ والمنسوخ» : قال سفيان بن عيينه رحمه الله ـ : «بلغنى أنه يخرج فى كل مائة سنة - بعد موت النبى ﷺ - رجل من العلماء يقوى الله به الدين ، وأن يحيى بن آدم عندى منهم»[1] . انتهى .

وكانت وفاة يحيى بن آدم سنة ثلاث ومائتين ، وكان مولى خالد بن عقبة بن أبى معيط[2] ، جامعا للعلم ، ولم يكن من أهل البيت النبوى بوجه ، إلا أن يكون من جهة الأمهات .

---

(١) هو يحيى بن آدم بن سليمان ، من محدثى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، راجع ترجمته فى الفهرست ص٢٢٧ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ص١٥٣ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥٢٦/٨ .

(٢) هو مولى خالد بن خالد بن عمارة بن عقبة بن أبى معيط ، كما ورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦/٨ ، وليس مولى خالد بن عقبة بن أبى معيط ؛ لأنه متقدم جدًا فقد أسلم يوم فتح مكة .

وقال أبو بكر البزار : «سمعت عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى[(١)] يقول : «كنت عند أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، فجرى ذكر الشافعى رضي الله عنه ، فرأيت أحمد يرفعه ، وقال : «روى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها» قال : فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة الأخرى» .

وأخرج البيهقى فى «المدخل» ، وابن عساكر فى «التبيين»[(٢)] من طريق أبى بكر المروزى صاحب أحمد ، قال : «قال أحمد بن حنبل : إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خيرا قلت فيها بقول الشافعى ؛ لأنه إمام عالم من قريش ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «عالم قريش يملأ الأرض علما» .

وذكر فى الخبر : «أن الله يقيض فى رأس كل مائة سنة رجلا يعلم الناس دينهم» . قال أحمد : «فكان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى الثانية الشافعى» .

وأخرج البيهقى من طريق أبى سعيد الفريابى ، قال : «قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، «إن الله يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلم الناس السنن ، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى» .

وأخرج أبو إسماعيل الهروى من طريق حميد بن زنجويه قال : «سمعت أحمد بن حنبل يقول : يروى فى الحديث عن النبى ﷺ : «إن الله يمن على أهل دينه فى رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتى ؛ يبين لهم أمر دينهم ، وإنى نظرت فى مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ ، وهو عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائة الثانية ، فإذا هو محمد بن إدريس الشافعى ، رضي الله عنه » .

[وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : «سمعت أبى يقول : «روى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يقيض فى رأس كل مائة سنة رجلا من أهل بيتى ؛ يعلم الناس الدين» قال أبى : «فنظرت فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز ، ونظرنا فى الثانية فإذا هو الشافعى ، محمد بن إدريس[(٣)]] .

---

(١) هذه هى صحة الاسم كما ورد فى حلية الأولياء ١٦٦/٩ ، وقد ورد فى كتاب «المجددون فى الإسلام» لأمين الخولى «عبد الله بن عبد الحميد المغربى» .

(٢) هو كتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى» الذى كتبه ابن عساكر ، للرد على الحسن بن على الأهوازى .

(٣) هذه الفقرة ليست مخطوطة دار الكتب وهى منقولة فى نسخة الأستاذ الخولى فى كتابه «المجددون فى الإسلام» .

وقال ابن عدى بعد إخراجه الحديث : «قال محمد بن على بن الحسين : سمعت أصحابنا يقولون : كان فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفى المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعى» .

وقال الحاكم : «سمعت الشيخ أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول : كنا فى مجلس القاضى أبى العباس ابن سريج[1] ، فقام إليه شيخ من أهل العلم ، فقال : أبشر أيها القاضى ، فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها - يعنى الأمة - أمر دينها ، وأنه بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وبعث على رأس المائتين الشافعى ، وبعثك على رأس الثلاثمائة ، ثم أنشأ يقول :

اثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السؤدد
الشافعى الألمعى محمد ... إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال : «لقد نعى إلىَّ نفسى» ، فمات فى تلك السنة» .

قال الحاكم : «فلما رويت أنا هذه الحكاية كتبوها ، وكان ممن كتبها شيخ أديب فقيه ، فلما كان فى المجلس الثانى ، قال لى بعض الحاضرين : إن هذا الشيخ قد زاد فى تلك الأبيات ذكر أبى الطيب سهل بن محمد[2] وجعله على رأس الأربعمائة فقال :

والرابع المشهور سهل محمد ... أضحى إماما عند كل موحد
يأوى إليه المسلمون بأسرهم ... فى العلم إن جاءوا بخطب مؤيد
لا زال فيما بيننا شيخ الورى ... للمذهب المختار خير مجدد

قال الحاكم : «فلما سمعت هذه الأبيات المزيدة سكتُّ ، ولم أنطق ، وغمنى ذلك إلى أن قدر الله وفاته تلك السنة» . أسنده ابن عساكر فى التبيين .

وقال أبو حفص عمر بن على المطوعى فى كتاب «المذهب فى ذكر مشايخ المذهب» فى ترجمة الإمام سهل الصعلوكى : «كان فيما قيل : عالما فى شخص ، مائة فى نفس ، وإمام الدنيا بالإطلاق ، وشافعى المرتضى عصره بالاتفاق» .

---

(١) أحمد بن عمر بن سريج الشافعى المتوفى سنة ٣٠٦ ، راجع ترجمته فى كتاب «تبيين كذب المفترى» لابن عساكر .

(٢) هو أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد الصعلوكى الحنفى ، مفتى نيسابور . راجع ترجمته فى كتاب «تبيين كذب المفترى» .

وقد أنشد فيه بعض أهل عصره قوله :

إنا روينا عن نبى الهـــدى | فى السنة الواضحة الساميه
بأن لله امـــرأ قـــائمـــا | بالدين فى كل تناهى مـــائه
فعمر الخير حليف العلى | قـام به فى المائة البـاديه
[والشافعى المرتضى بعده | قد أتى فى المائة الثانيه][1]
وابن سريج بعده قد أتى | فى المائة الثالثة التاليه
والشيخ سهل عمدة للورى | فى المائة الرابعة الخاليه

وقال الحاكم أبو القاسم ابن عساكر فى كتابه المسمى «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى» : «أخبرنا الشيخ أبو المظفر أحمد بن الحسن القومسى ، أخبرنا جدى لأمى أبو الفضل محمد بن على بن أحمد السهلى ، قال : «حكى الفقيه الصالح الثقة أبو عمرو - يعنى محمد بن عبد الله الأديب الرزجاهى - قال : سمعت الأستاذ الإمام أبا سهل الصعلوكى ، أو الشيخ الإمام أبا بكر الإسماعيلى - ذكر واحدا ، الشك منى - يقول : «أعاد الله هذا الدين بعدما ذهب أكثره بأحمد بن حنبل ، وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى نعيم الاسترابادى» .

قال ابن عساكر : «وسمعت الشيخ الإمام أبا الحسن على بن المسلم بن محمد بن على السلمى ، على كرسيه بجامع دمشق يقول - وذكر حديث أبى هريرة هذا - قال : «كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على رأس المائة الثانية الشافعى ، وكان على رأس المائة الثالثة الأشعرى ، وكان على رأس المائة الرابعة ابن الباقلانى ، وكان على رأس المائة الخامسة أمير المؤمنين المسترشد بالله»[2] .

قال ابن عساكر : «وعندى أن الذى كان على رأس الخمسمائة الإمام أبو حامد محمد ابن محمد الغزالى الطوسى ؛ فإنه كان عالما عاملاً فقيها فاضلاً أصوليًا كاملاً مصنفًا عاقلاً ، انتشر ذكره فى الآفاق ، وبرز على من عاصره بخراسان والشام والعراق» ، وقال ابن عساكر : «وذكر غير الفقيه أبى الحسن ، أن أبا العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه هو الذى كان على رأس الثلاثمائة ، وأن أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكى هو الذى كان على رأس الأربعمائة» .

---

(١) هذا البيت ساقط من نسخة دار الكتب ومثبت من نسخة الخولى .
(٢) هنا ينتهى الجزء الذى حققه الأستاذ أمين الخولى من كتاب التنبئة .

به قال ابن عساكر : «وقول من قال : إنه أبو الحسن الأشعرى أصوب» ؛ لأن قيامه بنصرة السنة إلى تجديد الدين أقرب ، وهو الذى انتدب للرد على المعتزلة وسائر أصناف المبتدعة المضللة ، وحالته فى ذلك مشتهرة ، وكتبه فى الرد عليهم منتشرة . فأما أبو العباس ابن سريج فكان فقيهًا مطلعًا بعلم أصول الفقه وفروعه ، نبيها . وقول من قال : إن القاضى أبا بكر محمد بن الطيب الباقلانى هو الذى كان على رأس الأربعمائة أولى من القول الثانى ؛ لأنه أشهر من أبى الطيب الصعلوكى مكانا ، وأعلى فى رتب العلم شانا ، وذكره أكبر من أن ينكر ، وقدره أظهر من أن يستر ، وتصانيقه أشهر من أن تشهر ، وتواليفه أكثر من أن تذكر ، فأما أبو الطيب فإنما أشتهر ذكره ببلده ، وكانت رياسة أصحاب الشافعى له بنيسابور» .

«وأما أبو نعيم الاستراباذى فهو عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجانى الفقيه» «أحد أئمة المسلمين ، ومن الحفاظ لشرائع الدين» ، «وكان ينصر السنة بجرجان» ، «مات فى حدود سنة عشرين وثلاثمائة» ، ومات «الشافعى فى رجب سنة أربع ومائتين» ، ومات الأشعرى على الأصح سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، قال ابن عساكر : «فيكون التاريخ سنة ثلاثمائة لرجوعه إلى مذهب أهل السنة ، لا للوقت الذى مات فيه» . وقال : «ومات ابن الباقلانى فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ، ومات الغزالى فى الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة» . انتهى ما ذكره ابن عساكر .

وقال الشيخ محى الدين النووى فى «تهذيب الأسماء واللغات» عقب إيراده الحديث : «حمل العلماء فى المائة الأولى على عمر بن عبد العزيز ، والثانية على الشافعى ، والثالثة على أبى العباس بان سريج» ، وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : «عندى أنه يحمل على أبى الحسن الأشعرى ، والمشهور أنه ابن سريج» رواه الحاكم أبو عبد الله ، وأنشدوا فيه شعرا .

وفى الرابعة قيل : سهل الصعلوكى ، وقيل : القاضى الباقلانى ، وقيل : أبو حامد الأسفرانى ، وفى الخامسة أبو حامد الغزالى . والله أعلم .

وقال القاضى تاج الدين بن السبكى فى «الطبقات الوسطى» فى ترجمة ابن سريج : «مات سنة ست وثلاثمائة» وقيل : سنة ثلاث وثلاثمائة ، والأول أصح ، وهو عالم تلك المائة ، على ما قاله جماعة من أهل العلم ، ومات سهل الصعلوكى سنة أربع وأربعمائة ، وقال فى ترجمة الشيخ أبى حامد أحمد بن محمد الأسفرانى : «توفى فى شوال سنة ست وأربعمائة ، وعليه تأول جماعة من العلماء حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وقال فى ترجمة الشيخ تقى الدين دقيق العيد : «مات فى صفر سنة اثنتين وسبعمائة ، وهو عالم هذه المائة المبعوث ليجدد لها أمر دينها» .

وقال فى ترجمته من الطبقات الكبرى : «لم أر أحدا من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة المشار إليه فى الحديث ؛ فإنه أستاذ زمانه علما ودينا» .

وقال فى الطبقات الكبرى أيضا : «ورد فى بعض طرق الحديث «إن الله يبعث فى رأس كل مائة سنة رجلا من أهل بيتى يبين لهم أمر دينهم» ذكره الإمام أحمد بن حنبل ﷺ ، وقال عقبة : «نظرت فى سنة مائة فإذا هو من آل رسول الله ﷺ ، عمر بن عبد العزيز ، ونظرت فى رأس المائة الثانية ، فإذا هو رجل من آل رسول الله ﷺ ، محمد بن إدريس الشافعى ﷺ » .

وقال ابن السبكى : «ولأجل ما فى هذه الرواية من الزيادة لا أستطيع أن أتكلم فى المئتين بعد الثانية ، فإنه لم يذكر فيها أحد من أهل النبى ﷺ » قال : «ولكن هنا دقيقة ننبهك عليها فنقول : لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ، ووجدنا جميع ما قيل إنه مبعوث فى رأس كل مائة إنما تمذهب بمذهب الشافعى ، وانقاد لقوله ؛ لعلمنا أنه الإمام المبعوث الذى استقر أمر الناس على قوله ، وبعث بعده فى رأس كل مائة من يقرر مذهبه» .

قال : «وبهذا تعين تقدم ابن سريج فى الثالثة على أبى الحسن الأشعرى ؛ فإن الأشعرى - وإن كان أيضًا شافعى المذهب - إلا أنه رجل متكلم ، كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها ، وكان ابن سريج رجلا فقيها ، وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب ، فكان ابن سريج أولى بهذه المنزلة ، لا سيما ووفاة الأشعرى تأخرت على رأس القرن إلى بعد العشرين» .

وأما المائة الرابعة فقد قيل : إن الشيخ أبا حامد الأسفرانى فيها ، وقيل : بل الأستاذ سهل بن أبى سهل الصعلوكى ، وكلاهما من أئمة الشافعيين ، قال : «وقد كان سهل ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه يتضح ؛ لمشاركته للشيخ أبى حامد فى الفقه ، وقرب الوفاة من رأس المائة ، بخلاف الأشعرى مع ابن سريج ، مع زيادة تصوفه وتبحره فى بقية العلوم» .

وقال : «والخامس حجة الإسلام الغزالى ، والسادس الإمام فخر الدين الرازى» قال : «ويحتمل أن يكون الإمام الرافعى ، إلا أن وفاة الرافعى تأخرت إلى بعد العشرين وستمائة ،

كما تأخرت وفاة الأشعرى» قال : «ومن موت ابن سريج سنة ست وثلاثمائة ، الاختلاف فيه وفى الأشعرى ، موت الأشعرى بعد العشرين ، وكذلك موت الإمام فخر الدين الرازى سنة ست وستمائة ، والنظر فيه وفى الرافعى ، وتأخرت وفاته هكذا» .

قال : «والسابع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد باتفاق من أدركنا من مشايخنا» .
قال : «وقد ذيلت على الأبيات السابقة فقلت :

ويقال إن الأشعرى الثالث الـ — مبعوث للدين القويم الأيد
والحق ليس بمنكر هذا ولا — هذا فعلهما أمران فعدد
هذا لنصرة أصل دين محمد — كنظير ذاك فى فروع محمد
وضرورة الإسلام داعية إلى — هذا وذاك ليهتدى من يهتدي
وقضى أناس أن أحمد الأسفرا — ئنى رابعهم ولا تستبعد
فكلاهما فى ذى الورى المعدود من — حزب الإمام الشافعى محمد
والخامس الفخر الإمام محمد — هو حجة الإسلام دون تردد
وابن الخطيب السادس المبعوث إذ — هو للشريعة كان أى مؤيد
والرافعى كمثله لولا تأ — خُرُ موته كالأشعرى وأحمد
والسابع ابن دقيق عيد فاستمع — فالقوم بين محمد أو أحمد
وانظر لسر الله أن الكل من — أصحابنا فافهم وانصف ترشد
هذا على أن المصيب أمامنا — أجلى دليل واضح للمهتدي
يا أيها الرجل المريد نجاته — دع ذا التعصب والمراء وقلد
هذا ابن عم المصطفى وسميه — والعالم المبعوث خير مجدد
وضح الهدى بكلامه وبهديه — يا أيها المسكين لم لا تقتدي

وأقول أولا : «إن الرواية المقيدة بقوله : «من أهل بيتى» ، فإن كانت غير معروفة السند ، فإن أحمد أوردها بغير إسناد ، ولم يوقف على إسنادها فى شئ من الكتب ، ولا الأخر الحديثية ، وكذلك لم يعرج عليها سفيان بن عيينة ، ولا أحد من أعين المجددين ، إلا أنها فى غاية الظهور من حيث المعنى ؛ فإن القائم بهذا المنصب الشريف جدير بأن يكون من أهل البيت النبوى ، وهو نظير قول من اشترط فى القطب أن يكون من أهل البيت ، إلا أن القطب من شأنه غالبًا الاختفاء وعدم الظهور ، فإذا لم يوجد فى الظاهر من أهل البيت مَنْ يصلح للاتصاف بالقطبية حمل على أنه قام بذلك رجل من أهل البيت فى الباطن ، ولا

اطلاع لنا عليه ، بل ذلك هو الغالب . أما الرجل القائم بتجديد الدين فلابد أن يكون ظاهرا ؛ حتى يتبين تجديده للناس ، ليحصل به المقصود الذى أشار إليه الحديث ، بل لا يكتفى بظهور أمره فى بلد واحد ، ولا قطر واحد ، حتى يصير علمه فى الآفاق ، وينشر فى الأقطار ؛ ليكون تجديده للدين عاما ، والانتفاع بعلمه واقعا فى أقطار الإسلام ، على ما ستأتى الإشارة إليه ـ وحينئذ لا يمكن أن يقال فى المئات السابقة التى لم يوجد فيها من هو بهذه الصفة ، وهو من أهل البيت : لعل رجلا من أهل البيت قام بذلك فى الباطن ، ولم يعرف ؛ لأن ذلك غير مقصود الحديث .

والحاصل أن الأوجه من حيث المعنى ، أن المناصب الثلاثة لا يقوم بها إلا رجل من أهل البيت : منصب الخلافة الظاهرة ، وهو القيام بأمر الأمة ورعايتها وسياستها ، وإجراء الأحكام الشرعية عليها ، وقتال أعداء الدين ، والطائفة المارقين ، وغير ذلك مما هو من وظائف الإمام الأعظم .

ومنصب الخلافة الباطنة ، وهى القطبية ، ومنصب تجديد الدين على رأس كل مائة ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بذلك فى منصب الخلافة ، ولم يرد فى القطبية شىء ، إلا أن طائفة من الصوفية - باشتراط ذلك فى القائم بها - قد أورد فى منصب التجديد هذه الرواية المنقطعة التى لا يعرف لها إسناد .

لكن يبقى النظر [فى] تحرير المراد بأهل البيت ، فإن أراد ﷺ بقوله : رجلا من أهل بيتى ، أى من قريش ، كما هو المراد فى الخلافة الظاهرة ، اتسع الأمر وسهل ؛ فإن دائرة نسب قريش أوسع من دائرة نسب بنى هاشم والمطلب ، فحينئذ لا يعدم واحد من المذكورين أن يكون قرشيا ، وإن كنا لا نعرف اتصال نسبه إلى قريش ، وقد عرف ذلك يقينا فى الإمام فخر الدين الرازى ، فإنه بكرى من ذرية أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد يكون أراد بذلك ما هو أعم من كونه من أهل البيت ، بالنسب أو بالولاء ، فقد صح الحديث أن مولى القوم من أنفسهم ، وقد ألحق موالى بآله ﷺ ، قال لموليين له حبشى وقبطى : «إنما أنتما رجلان من آل محمد» رواه الطبرانى بسند حسن ، وحينئذ لا يستبعد فى المذكورين أن يكونوا من موالى أهل بيته ، فيصدق فيهم الحديث ، والرافعى من ذرية أبى رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، كذا ذكره فى تاريخ قزوين .

ومن لطيف ما يورد هنا ـ تقوية لذلك ـ ما أخرجه ابن عساكر عن الحسن بن الحسن قال : «كان حى من الأنصار لهم دعوة سابقة عن رسول الله ﷺ ، إذا مات منهم ميت جاءت سحابة فأمطرت قبره ، فمات مولى لهم ، فقال المسلمون : لننظرن اليوم إلى قول رسول

الله ﷺ : «مولى القوم من أنفسهم» ، فلما دفن جاءت سحابة فأمطرت قبره» وإن كان المراد ما هو أخص من ذلك إلى النظر فيه .

وقد شرط بعضهم فى القطب أن يكون شريفا حسنيا ، لكن الأرجح عدم اشتراط هذا بخصوصيته ، وإنه يكفى فيه كونه من مطلق أهل البيت ، كالخلافة الظاهرة ، ويؤيد ذلك هنا قولهم فى عمر بن عبد العزيز ، إنه بهذا الوصف ، ومعلوم أنه ليس بهاشمى ولا مطلبى ، وإنما هو أموى ، وبنو أمية ليسوا من الآل ـ على مذهب الشافعى ﷺ ـ وإنما هم من قريش ، الذى هو النسب الأعم ، وهم من ذرية عبد شمس ، وعبد شمس هو أخو هاشم والمطلب ونوفل ، والأربعة أولاد عبد مناف ، وقد سوى النبى ﷺ بين أولاد هاشم والمطلب ؛ حيث أعطاهم سهم ذوى القربى ، وحرم عليهم الصدقة ، فعدوا من الآل ، ولم يجر أولاد عبد شمس ونوفل مجراهم ، فلم يعدوا من الآل ، فعد عمر بن عبد العزيز هنا من أهل البيت ، باعتبار عموم القرابة وبنوة العم .

ثم إن ما ذكره ابن السبكى من التأويل ينبو عنه لفظ الحديث بلا شك ؛ فإن لفظه صريح فى أن المبعوث ـ نفسه ـ رجل من أهل البيت ، فكيف يكتفى فى ذلك بكونه من غيرهم ؟ وهو يتمذهب بمذهب من هو من أهل البيت ! هذا بعيد جدا ، والصادق المصدوق خبره لا يخلف ، فلابد من أحد أمور :

– إما عدم اعتبار هذا القيد ؛ لعدم ثبوت هذه الرواية ، وإذا لم يعتبر ، على غالب العلماء ، حتى الحافظان المتأخران العراقى وابن الحجر ، مع إطلاعهما على إيراد أحمد لها ؛ لأنهما لم يقفا لها على سند ، ورأيا الخلق من سفيان بن عيينة فمن بعده من العلماء وحفاظ الحديث لم يعولوا عليها ، حيث عدوا من ليس من أهل البيت ، ومنهم الحاكم ، والبيهقى ، والخطيب ، وابن عساكر ، وهم أئمة حفاظ ، فلو رأوا هذه الزيادة ثابتة لم يستجيزوا عد من عدوه .

– وإما حمل الحديث على عموم قريش كما تقدم .

– وإما حمله على ما هو أعم ، من كونه من أهل البيت بالنسب أو بالولاء ، كما تقدم أيضا .

– وإما أن يقال : لا يشترط فى ذلك كونه من جهة الأب ، بل يكفى كونه من جهة الأم ، وذلك شائع عندهم كثيرا ، وإن لم يثبت به النسب ، ففرق بين النسب والأهلية ، وهذا المحمل الأخير هو الصحيح ـ بل الصواب ـ لأن إمامنا وأصحابنا صرحوا بذلك فى باب الوقف والوصية .

قال فى : «الشامل» ما نصه : «فرع . قال فى «البويطى» إذا قال : وقفت هذا على أهل بيتى ، وأهل بيته أقاربه من قبل الرجال والنساء» . فهذا لفظة ، وهو نص صريح فى المقصود ، وكذا ذكره الدارمى فى «الاستدراك» وابن كج[١] فى «التجريد فى الوصية» ، وفى «النهاية» و «الشرح» ، و «الروضة» فى الوصية نحو ذلك ، فإنهم حكموا فيما لو أوصى لأهل بيت الرجل وجهين :

أحدهما : أنه كالوصية للقرابة ، والمصحح فى «الشرح» ، و «الروضة» أنه يدخل فيها القرابة من جهة الرجال والنساء .

والثانى : أنه يدخل فيهم الزوجات أيضا ، وهذا هو الذى صححاه .

فالحاصل من تصحيح الشيخين أنه يدخل فى لفظ أهل البيت القرابات مطلقا ، من قبل الرجال والنساء ، وزيادة على ذلك الزوجات .

ومنشأ ذلك اختلاف السلف فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٢] فقال زيد بن أرقم : «أهل بيته آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، وليس نساؤه من أهل بيته» .

وقال ابن عباس وعكرمة : «نساؤه من أهل بيته» . وقال الزركشى فى «الخادم» : ينبغى أن يدخل فى أهل البيت العتيق . فى الحديث «سلمان منا أهل البيت» ، وقال ابن أبى الرفعة فى «الكفاية» : «إذا وقف على أهل بيته صرف إلى قرابته ، من جهة الرجال والنساء» حكاه فى «الشامل» عن البويطى ، وفى «الحاوى» حكاية ثلاثة أوجه :

أحدها : تصرف إلى من ناسبه إلى الجد .

والثانى : من اجتمع معه فى الرحم .

والثالث : إلى كل من اتصل إليه بنسب ، قال ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» . انتهى .

قلت : وفى الحديث : «أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ» قال : يا رسول الله ، أمن أهل البيت أنا ؟ قال : نعم» .

فنلحظ من جميع ما تقدم أن أهل البيت لا يختص لمن يثبت لهم نسب النبوة ونحوها ، بل يشمل أولاد البنات . ونظيره قول الفقهاء : لو وقف على أولاده وأولاد أولاده

(١) هو أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن كج البصرى ، كان ثقة عالمًا بالحديث توفى ببغداد سنة ٢٩٢ هـ (طبقات الحفاظ للسيوطى) .
(٢) الأحزاب ٣٣ .

وذريته ونسله وعقبة دخل أولاد البنات ، وإن لم ينسبوا إليه ، وفى التنزيل : ﴿ومن ذريته داود﴾ إلى قوله : ﴿وعيسى﴾ ، ومعلوم أن عيسى ابن بنت .

وفى الحديث : «ابن أخت القوم منهم» رواه الطبرانى من حديث جبير بن مطعم بسند صحيح ، رواه البزار ، «كان» من حديث أبى هريرة وعائشة بسند حسن ، وروى الطبرانى ، عن عقبة بن غزوان ، أن رسول الله ﷺ قال يوما لقريش : «هل فيكم من ليس منكم ؟ قالوا : ابن اختنا عقبة بن غزوان ، قال : ابن أخت القوم منهم» .

وروى ابن سعد فى الطبقات عن عبد الله بن دينار قال : قال ابن عمر : إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر ، بوجهه شامة ، قال : فكنا نقول : هو بلال بن عبد الله بن عمر ، وكانت بوجهه شامة ، قال : حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأخرج ابن سعد عن نافع قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا» .

إذا تقرر ذلك فلا يبعد أن يكون المذكورين أم أحدهم ، أو أم أبيه ، أو أم أمه ، أو أم جده ، أو أم جدته فما فوق من أهل البيت ، إما علوية أو جعفرية ، أو عقيلية ، أو عباسية ، أو مطلبية ، أو نحو ذلك ، فحيثما كان فى أصوله أم ولدته ، أو ولدت أحدا من أصوله ، وهى من أهل البيت ، صدق عليه أنه من أهل البيت بلا شك ، على ما هو صريح نص الشافعى والأصحاب ، وبهذا يتسع المجال جدا ؛ فإن ذلك فى أمهات الناس كثير ، وهو أحسن من التأويل الذى قاله ابن السبكى ، فإن فى هذا إبقاء الحديث على ظاهرة ، واللفظ على مدلوله وموضوعه .

والحاصل أن «لآل البيت» إطلاقات :

– **أخصها** : بانصرافه إلى بنى هاشم والمطلب ، وهم الآن الذين تحرم عليهم الزكاة بالأصالة .

– **والثانى** : شموله لأزواجه صلى الله عليه وسلم أيضا ، وهم أعم من الآل .

– **والثالث** : شموله لمطلق الذرية ، وإن لم يثبت لهم النسب ، كأولاد البنات وإن سفلن ، ولمطلق القرابة ، سواء كانت من قبل الرجال أم من قبل النساء ، وهذا أعم من الأولين .

– **الرابع** : شموله للموالى أيضا ، وهم أعم من الثلاثة ، وهذان الأخيران تخرج عليهما

هذه الرواية التى نحن فى تقريرها .

ويؤيد ما ذكرنا من أن لأهل البيت إطلاقات ، أنه ورد عن زيد بن أرقم أنه قال : نساؤه من أهل بيته ، وسئل مرة أخرى : من أهل بيته ؟ أنساؤه ؟ قال : لا .

والروايتان فى مسلم ، فدل على أن لأهل البيت إطلاقات يحمل فى كل مورد على ما يناسبه .

ثم رأيت البيهقى أشار إلى ما ذكرته من أن لأهل البيت إطلاقات ، تارة يراد بها آله ، وأورد فيه حديث زيد بن أرقم : «أذكركم الله فى أهل بيتى» قال حصين : يا زيد ، من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ، إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته الذين ذكرهم من حرموا الصدقة ، وهم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس» . أخرجه مسلم ثم قال : باب الدليل على أن أزواجه ﷺ من أهل بيته فى الصلاة عليهم ، وأورد فيه حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى ، إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه وذريته وأهل بيته ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرجه أبو داود .

قال البيهقى : فكأنه صلى الله عليه وسلم أفرد أزواجه وذريته بالذكر على وجه التأكيد ، ثم رجع إلى التعميم ليدخل فيها غير الأزواج ، فالذرية من أهل بيته ، قال : وأشار الحليمى إلى أن اسم أهل البيت للأزواج تحقيق ، والاسم الأول لهن تشبيه بالنسب .

قلت : وهذا تصريح أن أهل البيت أعم من الآل ، والحديث المذكور صحيح فى أن مطلق الذرية يطلق عليهم أهل البيت ، فشمل كل ولد من نسله ، سواء نسب إليه - كأولاد البنين - أم لا - كأولاد البنات - كما هو مدلول لفظ الذرية ، وتقدم تصريح الفقهاء رضوان الله عليهم أجمعين به فى الوقف ، فتعين ما قلناه فى تقرير هذه الرواية . والله أعلم .

وممن يصلح أن يعد على رأس الثلاثمائة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وعجيب كيف لم يعدوه ، وهو أجل من ابن سريج وأوسع علوما ، وبلغ رتبة الاجتهاد المطلق المستقل ، ودون لنفسه مذهبا مستقلا ، وله اتباع قلدوه ، وأفتوا وقضوا بمذهبه ، يسمون الجريرية ، وكان إماما فى كل علم ؛ من القرآن ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، وأقوال الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم ، والعربية ، والتاريخ .

قال النووى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسيره ، قال الخطيب : كان أئمة العلماء تحكم بقوله ، وترجع إليه ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل

عصره . قال ابن خزيمة : ما أعلم على وجه الأرض أعلم من ابن جرير ، وقد أراد الخليفة المقتدر بالله مرة أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقا عليها بين العلماء فقيل له : لا يقدر على استحضار هذا إلا محمد بن جرير ، فطلب منه ذلك فكتبها ، مات فى شوال سنة عشر وثلاثمائة .

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعى فى «الإرشاد» : «وقد قال جماعة من العلماء ـ منهم الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى ﷺ ـ «إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة» . أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس الثانية الإمام الشافعى ، وعلى رأس الثالثة الإمام أبو الحسن الأشعرى ، وعلى رأس الرابعة أبو بكر الباقلانى ، وعلى رأس الخامسة الإمام أبو حامد الغزالى ؛ وذلك لتميزه بكثرة المصنفات البديعات ، وغوصه فى بحار العلوم ، والجمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، والفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، والتدقيق والتحقيق ، والعلم والعمل ، حتى قال بعض العلماء الجامعين بين علم الباطن والظاهر : لو كان بعد النبى ﷺ نبى لكان الغزالى ، فإنه يحصل ثبوت معجزاته ببعض مصنفاته» . انتهى .

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى فى كتابه : «روض الرياحين» : «قال الشيخ العارف بالله أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه : رأيت النبى ﷺ فى المنام يباهى موسى وعيسى بالإمام الغزالى رضي الله عنه ، وقال : أفى أمتكم خير مثل هذا ؟ قالا : لا» . انتهى .

وقد ادعى الغزالى ـ نفسه ـ أنه المبعوث على رأس المائة الخامسة ، وقال فى كتابه : «المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال» القول فى سبب معاودة نشر العلم بعد الإعراض عنه .

وذلك أنى رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم ، ورأيت نفسى مليا بكشف الشبه ، حتى كان إفحام هؤلاء عندى أيسر من شربة ماء ؛ لكثرة خوضى فى العلوم ، وانقدح فى نفسى أن ذلك متعين فى هذا الوقت محتوم ، فما تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ومرض الأطباء ، واشرف الخلق على الهلاك .

ثم قلت فى نفسى : ومتى تستقل أنت بكشف هذه الغمة ، ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم إلى الحق لعاداك أهل الزمان بأجمعهم ، وأنّى تقاومهم ؟ وكيف تعايشهم ؟ ولا يتم ذلك إلا بزمان وسلطان متدين قاهر ، فرخصت بينى وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تعللاً بالعزلة عن إظهار الحق بالحجة ، فقدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن حرك داعية

سلطان الوقت ـ فى نفسه ، لا بتحريك من خارج[١] ، فأمر بالرأى بذلك ، فخطر لى أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغى أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بعسر معاناة الخلق ؟ .

والله تعالى يقول : ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٢] الآية ، ويقول عز وجل لرسوله ، وهو الذى أعز خلقه : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ويقول عز وجل : ﴿يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ ، فشاورت فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات .

واتفقوا على الإشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية ، فانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله سبحانه وتعالى على رأس هذه المائة ،وقد وعد الله بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحكم الرجاء ، وغلب حسن الظن ، بسبب هذه الشهادات ، ويسر الله تعالى الحركة للقيام بهذا المهم ، فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين[٣] وبلغت هذه العزلة إحدى عشرة سنة ، وهذه حركة قدرها الله ، وهى من عجائب تقديراته» انتهى كلام الغزالى بلفظه .

وقال الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، فى الترجمة التى عملها للشيخ جمال الدين الأسنوى : «قد بلغنى أن بعض العلماء جعل فى المائة السادسة الشيخ محى الدين النووى ، وفى المائة الخامسة قبلها أبا طاهر السفلى ، وفى المائة الرابعة قبلها الشيخ أبا إسحاق الشيرازى» ، وكل من المذكورين قد مات سنة ست وسبعين من المائة التى توفى فيها .

فإن كان ما ذكره من ذلك صحيحا فالظاهر أن صاحب هذه الترجمة – يعنى الإسنوى – هو نظيرهم من هذه المائة ، فيكون هو المراد بالعالم الذى يجدد للناس دينهم .

قال : «وذلك وإن كان محتملا ففيه نظر ؛ لأن الحديث فيه «على رأس كل مائة سنة» ، ولذلك جعل الإمام أحمد أن المراد فى المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وفى الثانية الشافعى» .

---

(١) في كتاب «المنقذ من الضلال» : «فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك هذه الفترة ، وبلغ الإلزام حدًا كاد ينتهى لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة فخطر لى ...» .

(٢) العنكبوت ، آيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) فى كتاب المنقذ من الضلال «سنة تسع وتسعين وأربعمائة» .

قال : «فإن قيل الظاهر من الحديث أنه أراد الأئمة الذين هم ولاة الأمور ، ولذلك أدخله أبو داود فى كتاب الملاحم ، قلنا : قد جاء فى كلام الإمام أحمد أن المراد من «يعلمهم السنن» عن الدمشقى ، حدثنا أبو سعيد الفريابى قال : قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : «إن الله يقيض للناس على رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب . فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعى» . انتهى .

قلت : ومما دلك من تجديد عمر بن عبد العزيز للدين أنه الذى أمر بتدوين الحديث النبوى وجمعه بالكتابة فى الأوراق ؛ خوف اندثاره .

قال مالك فى «الموطأ» رواية محمد بن الحسن : «أخبرنا يحى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لى ؛ فإنى قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء» .

وأخرج أبو نعيم فى «تاريخ أصبهان» عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه ، وعلقه البخارى فى صحيحه ، قال الحافظ ابن حجر فى شرحه : «يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوى» .

وقال الهروى فى ذم الكلام : لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث ، وإنما كانوا يؤدونها لفظا ، ويأخذونها حفظا ، إلا كتاب الصدقات والشىء اليسير الذى يعض عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس ، وأسرع فى العلماء الموت ، أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمى فيما كتب إليه أن انظر ما كان فى سنة أو حديث عمر فاكتبه ، ثم أخرجه من طريق عبيد الله بن عمر .

وعن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار فذكره .

ثم قال الحافظ زين الدين العراقى وقد نظمت مذيلا على التى أوردها الحاكم فأوردت الثلاثة الباقين على رأس كل مائة إلى زماننا هذا بقولى :

والخامس الطوسى أعنى حجة الـ ... إسلام وهو محمد بن محمد
ذاك الذى أحيا لنا إحياؤه ... مَيْت العمى وجلا عن القلب الصدى
والسادس الفخر الإمام المرتضى ... ابن الخطيب عمى عيون الحسد
ذاك الذى نصب الدلائل للهدى ... وأزال شبهة ذى الضلال الملحد

والسابع القشرى أبو الفتح الذى　　بلغ اجتهاد العلم فيضا باليد
أحيا الأنام أمامه ولقد رقى　　فى شرحه «الإلمام»[١] فوق الفرقد
والظن أن الثامن المهدى من　　ولد النبى أو المسيح المهتدي
ماذا يكون [.....] فذوا الحجا　　متأخر ويسود غير سود
أو ما ترى دون الأئمة ثم من　　يمضى فلا خلف له فى المقعد
ليس ارتفاع العلم ترعا إنما　　موت الأئمة رفعة وكأن قد

وقد ذكر جماعة أن الذى على رأس المائة الثامنة شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى[٢] ، ذكر ذلك ولداه قاضى القضاة جلال الدين ، وشيخنا قاضى القضاة علم الدين ، كل منهما فى الترجمة التى عملها له ، ونقلا عن الشيخ كمال الدين الزهرى وغيره أنهم ذكروا ذلك ، وذكر ذلك - أيضا - الشيخ شمس الدين بن الجزرى فى مشيخته ، وحافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فى القصيدة التى رثاه بها فقال :

فى القرن الأول والقرن الأخير معا　　أحيا لنا العمران الدين عن قدر
لكن أضاء سراج الدين منفردا　　وذاك مشترك مع سبعة زهر

وأشار إليه الحافظ زين الدين العراقى بقوله فى قصيدة :

والله يبقى شيخ إسلامنا　　غنى عن الماضين للتجدد
حل فى دورته ما أعضلت　　من المسائل الصعاب العقد
يقعد للإفتاء بعد عصره　　إلى غروبها بخير مقعد

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى كتاب «البداية والنهاية» : «وقد ورد الحديث عن طريق أبى داود ، وقد ذكر كل من العلماء فى رأس كل مائة سنة عالما من علمائهم ينزلون هذا الحديث عليه ، وقال طائفة من العلماء : بل الصحيح أن الحديث يشمل أكثر من واحد ممن يقوم بفرض الكفاية فى الأقطار» .

وقال ابن الأثير : «اختلفت العلماء فى تأويل هذا الحديث كل واحد فى زمانه ، وقد أشاروا إلى القائم الذى يجدد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة ، وكان كل قائل قد مال إلى مذهب وحمل تأويل الحديث عليه» .

---

(١) يقصد هنا أبو الفتح تقى الدين محمد بن علي بن وهب القشيرى ، المعروف بابن دقيق العيد المتوفى فى سنة ٧٠٢ هـ ، وكتابه المشار إليه هو «الإلمام الجامع أحاديث الأحكام» . راجع طبقات الحفاظ للسيوطى ٥١٣ - الطالع السعيد ٥٦٧ .

(٢) أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير الشافعى ، مات سنة ٨٠٥ هـ . بركلمان ٢٧٠/١ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ٥٣٨ .

وذهب بعض العلماء إلى أن الأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله عليه الصلاة والسلام : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا بل قد يكون واحدا وقد يكون أكثر ؛ فإن انتفاع الأمة بالفقهاء وإن كان انتفاعا عاملا فى أمور الدين فإن انتفاعهم بغيرهم - أيضا - كثير ، مثل أولى الأمور ، وأصحاب الحديث ، والقراء ، والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزهاد ينفعون بفن لا ينفع به الآخر ، إذ الأصل فى حفظ الدين قانون السياسة ، وبث العدل ، والتناصف الذى به يحقن الدماء ويتمكن عن إقامة قوانين الشرع ، وهذه وظيفة أولى الأمر ، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التى هى أدلة الشرع ، والقراء ينفعون بحفظ القرآن وضبط الروايات ، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد فى الدنيا .

فكل واحد ينفع بغير ما ينفع الأخر ، فالأحسن والأجمد أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم ، ويحفظونه عليهم فى أقطار الأرض .

وكان على رأس المائة الأولى : من أولى الأمر عمر بن عبد العزيز ، ويكفى الأمة عن هذه المائة وجوده خاصة ، فإنه فعل فى الإسلام ما ليس بخاف ، وكان من الفقهاء بالمدينة محمد بن على الباقر ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر[1] وكان بمكة منهم مجاهد بن حيدر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء ابن أبى رباح ، وكان باليمن طاووس ، وبالشام مكحول ، وبالكوفة عامر بن شراحيل الشعبى ، وبالبصرة الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين .

وأما القراء على رأس المائة الأولى ، فكان القائم بها عبد الله بن كثير ، وأما المحدثون فمحمد بن شهاب الزهرى ، وجماعة كثيرون مشهورون من التابعين وتابع التابعين .

وأما من كان على رأس المائة الثانية : فمن أولى الأمر المأمون بن الرشيد ، ومن الفقهاء الشافعى ، والحسن بن زياد اللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة ، وشهاب بن عبد العزيز من أصحاب مالك ، وأما أحمد بن حنبل ﷺ فلم يكن يومئذ مشهورا ، فإنه مات سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومن الإمامية على بن موسى الرضا ، ومن القراء يعقوب الحضرمى ، ومن المحدثين يحى بن معين ، ومن الزهاد معروف الكرخى .

(١) فى مخطوطة دار الكتب «سالم بن مر بن عبد الله بن عمر» ، لكن صحة الاسم كما أثبتناه من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد .

وأما من كان على رأس المائة الثالثة : فمن أولى الأمر المقتدر بالله ، ومن الفقهاء أبو العباس بن سريج من أصحاب الشافعى ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى من أصحاب أبى حنيفة ، وأناس من أصحاب مالك ، ومن المحدثين النسائى .

وأما من كان على رأس المائة الرابعة : فمن أولى الأمر القادر بالله ، ومن الفقهاء أبوحامد الأسفرانى من أصحاب الشافعى ، وأبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى من أصحاب أبى حنيفة ، وأبو محمد عبد الوهاب من أصحاب مالك ، وأبو عبد الله الحسين من أصحاب أحمد ، وغيرهم من الأئمة .

وأما من كان على رأس المائة الخامسة : فمن أولى الأمر المستظهر بالله ، ومن الفقهاء الأمام أبو حامد الغزالى من أصحاب الشافعى ، والقاضى فخر الدين محمد بن على الأرسانيدى المروزى من أصحاب أبى حنيفة ، وأبو الحسن على بن عبد الله الزاعونى من أصحاب أحمد .

هؤلاء كانوا من المشهورين فى هذه الأزمنة المذكورة .

قال : لكن الذى ينبغى أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا مشهورا معروفا مشارا إليه فى كل فن من هذه الفنون ، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحكمة .

قال : وقد كان قبل كل مائة ـ أيضا ـ من يقوم بأمور الدين ، وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو حى عالم مشهور مشار إليه» . انتهى كلام ابن الأثير .

وقال الحافظ ابن حجر فى «مناقب الشافعى» : «حمل بعض الأئمة «مَنْ» فى الحديث على أكثر من الواحد ، وهو ممكن بالنسبة لرواية «من» ، لكن الرواية التى بلفظ «رجل» أصرح فى إرادة الواحد ، من الرواية التى جاءت بلفظه «مَنْ» لصلاحية «مَنْ» للواحد فما فوقه .

قال : ولكن الذى يتبين فى «مَنْ» بآخر الجمل على أكثر من الواحد ؛ لأن فى الحديث إشارة إلى أن المجدد المذكور يكون تجديده عاما فى جميع أهل ذلك العصر ، وهذا يكون فى حق عمر بن عبد العزيز جليا ، ثم فى حق الشافعى ، أما من جاء بعد ذلك فلا يقدم من يشاركه فى ذلك .

قال : «ولعل الله أن يفسح فى المهلة أن يسهل لى جمع ذلك مفردا ؛ أبين فيه من يصلح أن يتصف بذلك فى رأس المائة الثالثة ، وكذا ما بعدها إن شاء الله تعالى» . انتهى

قلت : وقد رأيت فهرست تصانيفه ، فيه جمع حول الكتاب المذكور ، وسماه «الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة» ، ولم أقف عليه إلى الآن مع شدة طلبى له .

وقال الإمام بدر الدين الأهذل فى «الرسالة المرضية فى بصيرة مذهب الأشعرية» ما نصه : «أما تعيين من يجدد الدين على رأس كل مائة سنة فقد عين أحمد بن حنبل على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المائة الثانية الشافعى ، وكان على رأس المائة الثالثة أبو العباس بن سريج - على المشهور - وقيل أبو الحسن الأشعرى ، ورجحه الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، وتبعه اليافعى وغيره من المحققين ، وكان قد رجع عن مذهب المعتزلة وأقر مذهب أهل السنة على رأس المائة الثالثة ، إلى أن توفى سنة أربع وعشرين» .

وعلى رأس المائة الرابعة قيل : سهل بن محمد الصعلوكى النيسابورى ، وقيل : أبو حامد الأسفرانى ، وقيل : القاضى أبو بكر الباقلانى ، ورجحه ابن عساكر وغيره .

وعلى رأس المائة الخامسة حجة الإسلام الغزالى ، لا أعلم فيه خلافا ، وعلى رأس المائة السادسة الإمام فخر الدين الرازى ، وعلى رأس المائة السابعة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، وعلى رأس المائة الثامنة قيل : سراج الدين البلقينى ، وقيل : الإمام ناصر الدين ابن بنت الميلق الشاذلى[1] ؛ لكثرة تصانيفه فى علوم الدين ، ورده على المبتدعين ، خصوصا على الحلولية والاتحادية ، والأول عليه جماعة من فقهاء مصر ، منهم الشيخ شمس الدين الجزرى ، جزم به فى مشيخته وأثنى عليه كثيرا ، والثانى عليه جماعة من الصوفية .

وذلك مدخول لا يصح ؛ لأن الشيخ ناصر الدين توفى قبل رأس المائة ، فإنه مات سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، ووفاة البلقينى سنة خمس وثمانمائة .

ويحتمل أنه الشيخ زين الدين العراقى ، وكان حافظ عصره فى الحديث ، مع الديانة والإمامة والتصانيف النافعة ، وكانت وفاته سنة ست وثمانمائة ، ويحتمل كلهم ، فإن المجدد قد يكون واحدا أو أكثر .

قال : وأعلم أن تعيينى المجدد إنما هو لغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه ، ولا يكون المجدد إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة ، ناصرا للسنة ، قامعا للبدعة ، ثم قد يكون واحدا فى العالم كله ، كعمر بن عبد العزيز ؛ لانفراده بالخلافة ،

---

(١) و ناصر الدين محمد بن عبد الدايم ولد سنة ٧٣١ ، وتوفى سنة ٧٩٧ هـ . بركلمان ٤٩٣/١٠ ، الدرر الكامنة ٤٩٤/٣ ، شذرات الذهب ٣٥١/٦ .

وكالإمام الشافعى ؛ لإجماع المحققين على أنه أعلم أهل زمانه ، وقد يكون اثنين ، وجماعة ، إن لم يحصل الإجماع على واحد بعينه .

قال : ثم قد يكون فى أثناء المائة من هو أفضل من المجدد على رأسها ، كذا رأيته لبعض المتأخرين ، وإنما كان التجديد على رأس كل مائة لإنخرام علماء المائة غالبا ، واندراس السنن ، وظهور البدع ، فيحتاج حينئذ إلى تجديد الدين ، فيأتى الله من الخلف بعوض من السلف ، وعلى هذا المعنى تنزل : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ما أقاموا الدين لا يضرهم من خذلهم» . الحديث

ولما عين الإمام أحمد فى المائتين الأوليين عمر بن عبد العزيز والشافعى ـ تجاسر من بعده على تعيين من ذكرناه ، وإنما عين من ذكر على رأس كل مائة بالظن ممن عاصره ، وحصول الانتفاع به وبأصحابه وبمصنفاته ، ثم ذكر الأبيات التى تقدمت للعراقي .

وقال : ما ذكره مِنْ أن على رأس المائة الثامنة المهدى أو عيسى بن مريم لاقتراب الساعة لم يصح ، فنحن الآن فى سنة ثلاثين وثمانمائة ، ولم يقع شئ من ذلك ، قال : ويحتمل أن به يبقى تاسع على رأس المائة التاسعة التى نحن فيها ، ويكون المهدى أو عيسى بن مريم فى المائة العاشرة ، عند تمام الدور والعدد العربى ، والله أعلم» . انتهى ما نقلته من هذا المؤلف .

قلت : وما ذكره من أنه يحتمل أن يبقى تاسع على رأس المائة التاسعة قد صح ، نحن الآن فى سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ولم يجئ عيسى ، ولا المهدى الجائى قبل عيسى بسبع سنين ، والأشراط الواقعة قبل المهدى وما أشار إليه من الترديد بين المهدى وعيسى فى آخر القرون ـ يقطع فيه بأن الذى فى آخر القرون عيسى بلا شك ؛ وذلك لأنه قد ورد أن الدجال يخرج عند رأس مائة ، فينزل عيسى فيقتله ، فيكون المهدى قد تقدم له قبل ذلك بسبع سنين فى الخلافة ، وذلك قبل انتهاء المائة ، فإذا خرج الدجال فى أيامه ونزل عيسى سلم المهدى إليه الأمر فيمكث فى الأرض سبع سنين ويموت ، وقد تقدم أنه يشترط فى المجدد أن يتأخر عن رأس المائة ، والمهدى ينقض حكمه قبل تمام المائة ، وينتقل الحكم إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فتعين أن يكون هو المجدد مع ما أشير إليه فى حديث «أن يهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم أخرها» نعم ، إن بنينا على أن المجدد يكون أكثر من واحد ، جاز أن يقال : إن المهدى وعيسى معا كلاهما يجددان فى آخر مائة من هذه الأمة ، وينبغى أيضا الترديد ، والله أعلم» .

ثم رأيت القرطبى قال فى التذكرة : «إن عيسى عليه السلام ينزل مقرًا لهذه الشريفة مجددا

لها» ، وقال فى موضع آخر : «إنه ينزل مجددا لما درس من دين الإسلام» .

وهذا التصريح بأن المجدد على آخر المئتين هو عيسى دون المهدى ، أعجب به رجل فى تأليف لى هذا الحديث ، ولم يكن طرق سمعه قبل ذلك ، فأخذ يتعجب ، يقول : التجديد لا يكون إلا بعد اندراس ، وما المراد من مائة سنة ؟ أمن تاريخ ولادتك ، أم من تاريخ نشأتك ، أم من تاريخ أهليتك للاجتهاد ؟ ومن نسب إلى ذلك من العلماء ؟ وهذا الكلام عبارة عن منازعة فى لفظ النبوة ، وإن كان قصده بذلك الطعن فى حديث الصادق المصدوق فقد كفر .

فقد أخبرنى الثقة عن رجل من أهل العلم أنه لقيه فقال له : قولكم فى الأحاديث هذا حديث صحيح وهذا حديث ضعيف ، من أين لكم هذا الحكم ؟ فانظر إلى من بلغ به الجهل هذا المبلغ وأنى يبرأ من الطعن ، وزعم أنه قصد التفهم ، لا ، لم يصل إلى فهمه ، فحقه أن يسعى إلى شيخ من أهل العلم بالحديث ومعانيه ، ويحبو على ركبتيه بين يديه ، ويقول : أفدنى يرحمك الله ، فإن رآه الشيخ أهلا أفاده ، وإن لم يره أهلا للخطاب ، ولا مَنّ عليه بالجواب لزم الباب .

إذا مــر ذكــراكم خــاطرى فــرشت خــدودى مكان التــراب
فــأقــعــد فى الذل فى بابكم قــعود الأسارى لضرب الرقاب

فعسى أن يعطفه الله عليه ، فيسمح له بإبانة الصواب .

وقد قدمنا من كلام العلماء ما يفهم منه معنى التجديد ، وقلت للناس : المراد من رأس كل مائه ما يؤرخ بها فى مدة الملة ، فبلغه ، فقال : التاريخ إنما وقع بعد موت النبى ﷺ .

لم يكن عالما – وهذا منه على نمط ما تقدم - فهل ظن أن النبى ﷺ لم يكن عالما بما سيحدث فى أمته وبما سيقرره خلفاؤه من بعده ؟ إن هذا لهو الضلال البعيد .

قد خطب النبى ﷺ خطبة ، فأخبر فيها بما يكون فى أمته إلى قيام الساعة ، وكان عالما بأن عمر رضي الله عنه سيضع من بعده التاريخ بالهجرة ، فما حدث أصحابه بذلك إلا وقد علموا معناه ، وإلا لسألوه عن بيان المائة وابتدائها ، وقد ورد أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف فروى له أبو هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول : «إن أشد أمتى حبا لى قوم من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ، يعملون بما فى الورق المعلق» ، قال أبو هريرة : فقلت : أى ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، ففرح بذلك عثمان وجاء أبا هريرة بعشرة آلاف درهم ، وقال له : والله إنك لتحفظ علينا حديث نبينا .

فقد علم النبى ﷺ بالوحى ، أن عثمان يكتب فى خلافته المصاحف ، وأن عمر رضي الله عنه يضع التاريخ بالهجرة ، فحدث أصحابه بأحاديث منوطة بما علم وقوعه من بعده ، هذا لو لم يكن فى التاريخ حديث مرفوع ، كيف وقد ذكر أن ذلك وقع أصله زمن النبى ﷺ وأن عمر إنما استند فى وضع التاريخ إليه ، وقد بسطته فى مؤلفى فى التاريخ .

وهذا الرجل ليس فى عداد من يُرَدُّ عليه ، وقد لامنى العقلاء على تعرضى للرد عليه ، وأصابوا فى ذلك ، غير أنى غلبت جانب العلم وبيان الحق على حقى ، واقتديت بالعلماء قبلى ؛ فإنهم حكوا فى تصانيفهم مقالات كل ساقط ومرذول وبمبدع به وملحد ، وردوها ؛ حرصا على بيان الحق الذى أقامهم الله فيه ، وحجتهم فى ذلك : أن الله ـ جل جلاله ـ حكى فى كتابه العزيز مقالات المعتدين من بنى إسرائيل وغيرهم ، وردوها لأجل بيان الحق وإرشاد المهتدين ، ولم يترك ذلك لسقطاتهم ، فاقتدى العلماء بذلك وجعلوه حجة لهم فيما صنفوه .

وإنما حمل هذا الرجل على ذلك أنه فهم عنى أنى ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالى لنفسه أنى المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة ؛ لانفرادى عليها بالتبحر فى أنواع العلوم ، من التفسير وأصوله ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، واللغة وأصولها ، والنحو والتصريف وأصولهما ، والجدل ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والتاريخ ، وتصنيفى فى جميع تلك المصنفات البارعة الفائقة ، التى لم أُسبق إلى نظيرها ، وعدتها إلى الآن نحو خمسمائة مؤلف ، وقد اخترعت علم أصول اللغة العربية ، ولم أسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه ، وسارت مصنفاتى وعلومى فى سائر الأقطار ، ووصلت إلى الشام ، والروم ، والعجم ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والحبشة ، والمغرب ، والتكرور ، وامتدت من التكرور إلى البحر المحيط ، ولا مشارك فى جميع ما ذكرته ، ولا اجتمع لأحد من الموجودين الآن مجموع العلوم التى اجتمعت لى ، ولا وصل الآن أحد إلى رتبة الاجتهاد المطلق غيرى فيما أعلم .

وأما على اعتبار رواية «من أهل بيتى» فهو حاصل على ما تقدم تقريره ، غير أنى أبدأ بالإحالة على التأويل الذى ذكره ابن السبكى ، وأثنى بالتقرير الذى قررته من اعتبار مطلق الولادة ، فإن جدة والدى كانت أمة شريفة بيقين ، وكان أقاربها الأشراف يردون علينا إلى آخر وقت ، وهنا اقتصر ولا أتعدى ، وكان بعض أقاربى يدعى أنا جعفريون ، ولما أعلم له فى ذلك مستندا ، وعارضه أنى رأيت كتبا كثيرة بخط قريب لى آخر يكتب فى آخرها : «كتبه فلان الخضيرى الأنصارى السيوطى ، فى سنة ثلاثين وثمانمائة» ، ولا يمكن أن يكون

الإنسان جعفريا أنصاريا ، فإنهما أمران متباينان ، فأما أن يكون غلط والصواب مع الثانى ، فإن الثانى طالب ، فهو أقرب إلى الضبط فى الجملة ، وإما أن يكون الغلط من الثانى فى ظن أن الجعافرة النصاريين ، ولما تعارض عندى الأمران ولم أجد ما أستوضح به على الصواب ، ولا رأيت شيئا من ذلك بخط والدى اعتمده ، سكتُّ عن هذا ، وعن هذا ، فإن الجزم بالنسب صعب ، واقتصرت على القدر المتيقن .

وقد نقلت نسبة أجدادى إلى الشيخ همام الدين الخضيرى من صداق ابن عم والدى ، والمكتتب بخط جماعة من العدول المعتبرين ، الثابت على قاضى الشرع ، فوالدى هو الكمال أبو بكر أبو المناقب بن ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن سابق بن أبى بكر فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضير بن نجم الدين ، إلى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري .

(فائدة) نظير هذا الحديث ما ورد «أن رأس كل مائة سنة يكون عندها أمر» ، قال ابن أبى حاتم فى تفسيره : حدثنا يحى بن عبدك القروى ، حدثنا خلف بن الوليد حديث المبارك بن فضالة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر ، عن العربان بن الهيثم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال : «ما كان منذ كانت الدنيا رأس كل مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر» .

أخرجه ابن عساكر فى تاريخه مطولا ، وفيه ذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام .

قلت : والذى فهمته من هذا الأثر مع ذاك الحديث - أنه لابد عند رأس كل مائة سنة من محنة شديدة ، فيقرنها الله بمنحة عظيمة ، وهو الذى يبعثه لتجديد الدين وإحيائه رحمة منه بعباده ، وجبرا لما حصل من الوهن بتلك المحنة ، ولذلك أدخل أبو داود الحديث فى كتاب الملاحم ؛ إشارة إلى ذلك ، وأنه إذا وقعت فتنة جبرها الله بمن يجدد الدين .

كما ورد فى الحديث «إن لله عند كل بدعة ينكب بها الإسلام وليا من أوليائه يذب عن دينه» .

فلذلك لما كان فى آخر المئتين أعظم المحن والفتن ، وهو خروج الدجال ، كانت المنحة القابلة بنزول عيسى ، أعظم من كل من جاء فى مئين المتقدمة ؛ لأن المنحة على قدر المحنة ، فصلح أن يكون فى مقابلتها ، ولابد فى تلك المحنة أن تكون عامة ، إما عموما مطلقا فى الأرض ، أو فيها نوع عموم .

وكذلك لابد أن يكون المبعوث على رأس المائة - أن يكون - نفعه عاما مطلقا فى

الأرض ، أو فيه نوع عموم ، فكان عند المائة الأولى الحجاج الذى عم ظلمه وفساده ، فجدد الله الدين بعده بعمر بن عبد العزيز ، ولهذا قال ميمون بن سهران : «إن الله كان يتعاهد الناس بنبى بعد نبى ، وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز» ، أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

وكان عند المائة الثانية إظهار المأمون القول بخلق القرآن ، وغير ذلك من البدع الاعتقاديه ، وامتحان العلماء بذلك امتحانا عاما فى الأقطار ، ومن لم يجب ضُرب ، أو قيد وحبس ، أو قتل ، وذلك من أعظم الفتن من هذه الأمة ، ولم يدع خليفة قبله إلى شئ من البدع ، فقيض الله عند هذه الأمة الشافعى رضي الله عنه فطبق الأرض بعلومه ، وهو أول من أفتى بقتل من قال بخلق القرآن وتكفيره .

وكان عند المائة الثالثة فتنة القرامطة فى كثير من البلاد ، ثم إنهم دخلوا مكة ، وقتلوا الحجيج فى المسجد الحرام قتلا ذريعا ، وطرحوا القتلى فى بئر زمزم ، وخربوا الحجر الأسود بدبوس فكسروه ثم اقتلعوه وأخذوه إلى بلادهم ، وبقى عندهم أكثر من عشرين سنة ، حتى اشترى منهم بعد ذلك بثلاثين ألف دينار ، وأعيد إلى محله .

وكان عند المائة الرابعة الحاكم بأمر الله ، وناهيك بما فعل من الفساد ، بل هو أعظم شرا من الحجاج بكثير ؛ فإن الحجاج لم يأمر أحدا بالسجود له إذا ذكر اسمه فى الخطبة ، وأفاعيل الحاكم مشهورة معروفة .

ومما وقع عند رأس المائة الرابعة ـ ويصلح أن يعد هنا ـ أنه فى سنة سبع وأربعمائة اتفق انشعاب الركن اليمانى من الكعبة المعظمة ، وسقوط جدار من قبر النبى ﷺ ، وسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، فعد ذلك من أغرب الاتفاق وأعجبها .

وكان عند المائة الخامسة استيلاء الفرنج على كثير من البلاد الشامية ، منها بيت المقدس ، وقتلوا به وحده أكثر من سبعين ألفا ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستعينين على الفرنج ، وأقام بيت المقدس بيد الفرنج بعد ذلك إحدى وتسعين سنة ، إلى أن أخلصه الله منهم بالسلطان صلاح الدين بن أيوب .

وكان عند المائة السادسة خروج التتار ، وعموم فسادهم معروف .

وكان عند المائة السابعة محلاً وفناء عظيمين بديار مصر والشام ، بحيث أفنيت الحمر والبغال والكلاب أكلا ، وكان للتتار وقعات بالبلاد الشامية .

وكان عند المائة الثامنة فتنة تيمور لنك .

وأما هذه المائة فوقع عندها ثلاثة أمور ، كل منها يصلح أن يعد :

أحدها : استيلاء الفرنج على عدة بلاد من جزيرة الأندلس ، كغرناطة وغيرها .

الثانى : خروج خارجى ببلاد التكرور ، يقال له «سنى» على نمط تيمور لنك ، أباد العباد والبلاد ، وأقام عشرين سنة على ذلك إلى أن أهلكه الله ، سنة سبع وتسعين .

والثالث : عموم الجهل المطبق الأرضى ، وانقراض العلماء فى جميع الأقطار من أهل كل فن ، وهذا شئ لم يعهد مثله فيما تقدم من أول الملة إلى الآن ؛ فلقد كان يجتمع فى العصر الواحد من العلماء الأئمة من أرباب الفنون ما لا يحصون كثرة ، وما زالوا فى قلة وتناقص ، كل طبقة أقل عددا من الطبقة التى قبلها .

وكان أول الطبقات طبقة الصحابة ، وهم مائة ألف وأربعة عشر ألف نفس ، كلهم مجتهدون ، ثم طبقة التابعين وهم يقاربون هذا العدد ، وهم مجتهدون ، ثم تناقص الأمر فى وسط الملة ، ومع ذلك كان يكون فى العصر الواحد من العلماء الأئمة ألوف ، منهم من هو ـ بصفة الاجتهاد ـ نحو مائة ، أو أكثر ، بحيث إن المصنفين فى الأصول حكوا خلافا : هل يجوز انقراض ثلة المجتهدين فى عصر بحيث ينقصون عن عدد التواتر ، فمنهم من منع ذلك ، وقال : إنه يستحيل الوقوع ، ومنهم من جوزه إلى ثلاثة ، وقال : لا يجوز أن يكون فى العصر الواحد أقل من ثلاثة مجتهدين ، ومنهم من جوزه إلى واحد ، وقال : يجوز قلة المجتهدين –والعياذ بالله– بحيث لا يكون فى العصر إلا مجتهد واحد ، ولا يجوز خلو العصر من مجتهد ، فاستعاذ هؤلاء بالله من صيرورة الأمر إلى هذا الحد .

وهذه عبارة الإمام فخر الدين الرازى ـ رحمة الله ـ فى «المحصول» بحيث إن ابن عرفة ـ من أئمة المالكية ـ نقلها ، وقال : «قوله : والعياذ بالله يقتضى وجود المجتهدين فى عصره بكثرة» والأمر كما قال .

فقد كان فى عصره على رأس الستمائة أئمة بهذا الوصف ، ثم ازداد التناقص إلى رأس المائة الثامنة ، وكان عليها من أقطاب الأرض أكثر من مائة إمام ، إلا أن المجتهدين منهم قليل .

فممن كان على الثمانمائة : البلقينى ، وولداه ، والعراقى ، وولده ، وابن الملقن ، والبرهان الإنبابى ، والبرهان بن جماعة ، والعز بن جماعة ، والزركشى ، والمراغى ، وابن العماد ، والكمال الدميرى ، والمجد الشيرازى صاحب القاموس ، والجمال بن ظهيرة ، والريمى ، والحسانى ، والزين الفارسكورى ، والمجد البرماوى ، والهروى ، وابن عرفة ،

وابن خلدون ، وابن الدماميني ، والعمادى ، والبرهان الشامى ، والحافظ أبو الحسن الهيثمى ، وخلائق .

فما جاء رأس هذه المائة وفى قطر من أقطار الأرض عالم يشبه واحدا من هؤلاء ، ولا يقاربه ولا يدانيه ، وعمَّ الجهل طبق الأرض ، بحيث إذا سمع أهله من يذكر الاجتهاد ، الذى هو فرض من فروض الشريعة استعظموه وعدوا ذلك من المنكرات الشنيعة .

ولا يفرقون بين المجتهد المطلق المستقل ، وبين المجتهد المطلق المنتسب ، بل ولا سمعوا ذلك بآذانهم ، فضلا عن أن يفهموه بقلوبهم .

هذا شأن من يدعى المشيخة منهم ، فضلا عمن دونه .

فيا ليت أولئك الذين لم يجوزوا ، وأقله المجتهدين فى عصر ونقصهم عن عدد التواتر ، يقومون من قبورهم فينظرون إلى هذا الزمان ، زمان أن سمع فيه أحد حديثا من أهله صحيحا قال : غريب ، أو علما منقولا قال : عجيب .

فالعجب كل العجب إنى رويت حديث التجديد الذى ألفت فيه هذا المؤلف فاستنكره ذلك المنكر ؛ لكونه ما طرق قط سمعه ، وأخذ يشغب ، ويشيع بكل شنعة ، ولقد كان هذا الحديث فيما تقدم من الزمان يعرفه الخاص والعام ، ويتداول على ألسنة السوقه والعوام .

ثم إن هؤلاء المنكرين يروى لهم القصاصُ الأحاديث المختلقة على رسول الله ﷺ وعلى جبريل ، فيتلقونها بالقبول ، ويعتقدون صحتها عن الله وعن الرسول ، فأبطلوا الحق ، وأحقوا الباطل .

وعطلوا الحالى وحلوا العاطل ، إن ذلك لا مراء أمر ، وإن هذا لهو الزمان الذى ورد فيه الحديث : «يأتى على الناس زمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر» إنا لله وإنا إليه راجعون .

فهذا يصلح أن يعد على رأس هذه المائة إذ لم ير أمر فيما تقدم نظيره ، ولا بها زمان فيما مضى شغوره .

وبهذا تم الكلام فى هذا التأليف .

وقد نظمت أرجوزة سميتها «**تحفه المهتدين بأسماء المجددين**» ، وهى هذه :

الحـــمـــد لله العظيم المنه   المـــانح الفـضل لأهل السنه
ثم الصـلاة والسـلام نلتـمس   علـى نـبـى ديـنـه لا يـنـدرس
لقـد أتى فى خـبـر مـشـتـهـر   رواه كل حـافظ مـعـتـبـر
بـأنـه فى رأس كـل مـــائة   يبـعث ربنا لـهـذى الأمـة
منا عليـهـا عـالمـا يجـدد   دين الهـدى لأنه مـجـتـهـد
وكـان عند المـائة الأولى عـمـر   خليـفـة العـدل بإجـمـاع وقـر
والشـافـعى كـان عند الثـانيـة   لمـا له من العلوم السـارية
وابن سـريج ثالث الأئمـة   والأشـعـرى عـده من أمـه
والبـاقـلانى رابع أو سـهل أو   الأسـفـرانى خلق قـد حكوا
والخـامس الحـبـر هو الغـزالى   وإنه مـا فـيـه من جـدال
والسـادس الفـخـر الإمـام الرازى   والرافـعى مـثـله يوازي
والسـابع الراقى إلى المـراقى   ابن دقـيق العـيـد باتفـاق
والثـامن الحـبـر هو البلقـينى   أو حـافظ الأنام زين الدين
وعـد سـبط المـيلقى الصوفـية   لو وجـدت مـايتـه وفـيـه
والشرط فى ذلك أن تمضى المائة   وهو على حـيـاته بين الفـئـة
يشـار بالعلم إلى مـقـامـه   وينصـر السنة فى كـلامـه
وإن يكون جـامـعـا لكل فن   وإن يعـم علـمـه أهل الزمن
وأن يكون فى حـديث قـد روى   من أهل بيت المصطفى وهو قوي
وكـونه فـردا هو المـشـهـور   قـد نطق الحـديث والجـمـهـور
وهذه تاسـعـة المـئـين قـد   أتت ولا يخلف مـا الهـادى وعـد
وقـد رجـوت أننى المـجـدد   فـيهـا ففـضل الله ليس بجحـد
وأخـر المـئـين فـيـهـا يأتى   عـيـسى نبى الله ذو الآيات
يجـدد الدين لهـذى الأمـة   وفى الصـلاة بعـضنا قـد أمـه
مـقـررا للشـرع عنا يحكم   بحكمنا إذ فى السـمـاء يعلم
وبعـده لم يبق من مـجـدد   ويرفع القـرآن مـثلمـا بدي
وتكثـر الأشـرار والإضـاعـة   من رفـعـه إلى قـيـام السـاعـة
وأحـمـد الله على مـا علمـا   ومـا جـلا من الخـفـاء والعـمي
مـصليـا على نبى الرحـمـه   والآل من أصـحـابه المكرمـه

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الحمد لله الذي خص
هذه الامة الشريفة بخصايص وامنحه للمهتدين ومن يبعث على
راس كل مائة سنة من يجدد لها امر الدين والصلوة والسلام
على سيدنا محمد سيد المرسلين وامام المتقين وعلى اله وصحبه
وسلم نجوم الهداة ورجوم المعتدين وبعد فهذا كتاب سميته
التنبئة بمن يبعثه الله على راس كل مائة اخرج ابو داود في سننه والحسن
بن سفيان في مسنده والبزار والطبراني في الاوسط وابن عدي
في مقدمة الكامل والحاكم في المستدرك وصححه وابو نعيم في الحلية
والبيهقي في المدخل من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد ابن ابي
ايوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن ابي علقمة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث لهذه الامة على
راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها اتفق الحافظ ابو الفضل
بن حجر في مناقب الشافعي يانا المتقدمون كلهم لهجوا بذكر هذا
الحديث فاخرج الحاكم في مستدركه عقب روايته الحديث عن ابن وهب
عن يونس عن الزهري قال فلما كان في راس المائة من الله على هذه
الامة بعمر بن عبد العزيز قال الحافظ ابن حجر وهذا يشعر بان
الحديث كان مشهورا في ذلك العصر ففيه تقوية لسنده مع
انه قوي لثقة رجاله انتهى وقال ابو جعفر النحاس في كتاب الناسخ
والمنسوخ قال سفيان بن عيينة رحمه الله بلغني انه يخرج في كل
مائة سنة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من
العلماء يقوي الله به الدين وان يحيى بن آدم عندي منهم انتهى
وكانت وفاة يحيى بن آدم سنة ثلاث ومائتين وكان مولى خالد

اتفق الحفاظ على انه حديث صحيح
وممن نص على تصحيحه من المتأخرين
الحافظ ابو الفضل العراقي والحافظ ابن حجر

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

المستدرك على ديوان
يحيى بن حكم الغزال الأندلسي
(١٥٦هـ-٢٥٠هـ)
تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع(*)

يحيى بن حَكَم الغَزَّال شخصية فريدة عاشت فى أوج فترة ازدهار الحكم الأموى فى الأندلس . وكان ما يميزه عن غيره من الشعراء أنّ الشعر أحد صفاته لا أوحدها ، فقد كان إضافة إلى هذه الموهبة الفنية الأدبية عالِمًا بالنجوم ، وإضافة إلى هذا وذاك فقد كان رجل سياسة ؛ إذ قام بمهمة السفارة إلى بلاد الروم ، ممثلاً الخليفة عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم سنة ٢٢٥هـ ، عندما أرسله بصفة رسمية إلى القسطنطينية ، وقد دوّن الشاعر فى هذا المستدرك من شعره قصائد تتحدث عن هذه السفارة ؛ ما سبقها وما حدث خلالها ، ونتائجها ، وذكرياتها .

لقد لفت هذا الشاعر ـ ربما بسبب هذه الرحلة السياسية ـ اهتمام المتخصصين بالأندلس أدبًا وتاريخًا ، فكتبوا عنه واهتموا به وبحياته . ولعل أكثرهم اهتمامًا من الناحية الأدبية الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية ؛ فقد عمد -جزاه الله خيرًا- إلى تتبع المصادر الأندلسية ، وجمع ما تسنَّى له من شعر يحيى الغَزَال . ولما تيسّرتْ له -كما يقول- مجموعة طيبة من مقطوعاته وقصائده عمد إلى نشرها في ديوان أصدرته دار قتيبة بدمشق ، سماه **«ديوان يحيى بن حَكَم الغَزال»** (يحيى بن حَكَم البَكْرى الْجَيَّانى الأندلسى ، بالملقَّب بالغزال) (١٥٦-٢٥٠هـ) . وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . وقد كان جهده جهدًا مشكورًا ، وعمله عملاً مذكورًا ؛ إذ ضمَّ هذا الديوان مجموعة من الشعر تكفى لإعطاء صورة جيّدة عن مكانة هذا الشاعر فى عصره ، خاصة أنه ـ كما يقول فى شعره ـ قد عاصر خمسة من حُكّام الأندلس ؛ يقول :

أدركتُ بالمِصْرِ ملوكًا أرْبَعَهْ
وخامِسًا هذا الذى نحن مَعَهْ

وهؤلاء الملوك الخمسة هم :

١- عبد الرحمن الداخل .

٢- وابنه هشام .

(*) أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ، الرياض .

٣- والحكم بن هشام .

٤- وعبد الرحمن الأوسط بن الحكم .

٥- ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

وقد كتب الدكتور الداية مقدمة وافية عن هذا الشاعر وحياته وشعره ، يمكن الرجوع إليها لمن أراد التوسع فى التعرف على مكانة الغزال فى المحيط الأدبى الأندلسى ، علمًا بأن بعض الاستنتاجات التى توصَّل إليها الدكتور الداية ستتغير كثيرًا بعد إعادة قراءة الشعر المستدرك هنا .

ولعل المأخذ الظاهر على ما جمعه الدكتور الداية - وهذا ليس عيبًا - أنَّ بعض المقطوعات من قصيدة واحدة تتكرر فى «مجموعِه» وتأخذ كل مقطوعة رقمًا مستقلاً متسلسلاً . وهذا يرجع إلى أنه -لأمانته- ينقل ما يجده فى المصادر المختلفة ويثبته كما وجده ؛ فهو - مثلاً - يورد مقطوعات فى قافية الهمزة من قصيدة واحدة تأخذ الترتيب (١ ، ٢ ، ٣) .

وفى قافية الباء نجد المقطوعتين (٦ ، ٧) من قصيدة واحدة .

وفى قافية الراء نجد أنَّ المقطوعات (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) من قصيدة واحدة .

والمقطوعتين (٢٣ ، ٢٤) من قصيدة واحدة .

والمقطوعات (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) من قصيدة واحدة .

والمقطوعتين (٣٨ ، ٣٩) من قصيدة واحدة .

والسبب - كما قلت - أنه يثبت كل مقطوعة كما وجدها فى مصدرها - دون تكليف نفسه محاولة الجمع بين هذه المقطوعات فى قصيدة واحدة . ولعل صعوبة ذلك جعلته يبتعد عن التدخل فى وضع تلك المقطوعات . لذلك فإنى فى هذا المستدرك قد أعدتُ طباعة بعض الأبيات الموجودة فى مجموع الدكتور الداية ؛ لتستقر فى مكانها الطبيعى ضمن قصائده كما أرادها الشاعر - نفسه - لا كما وردت فى المصادر التى رجع إليها الدكتور عند جمعه الديوان . ولكى يكون الأمر أكثر جلاء عند القارئ الكريم فقد رأيت أن أسرد ، بدقة أكثر ، مكان الأبيات الموجودة فى الديوان المطبوع التى أعدت ذكرها هنا فى هذا المستدرك ؛ وذلك لكى يكون سياق القصائد والمقطوعات مستقيمًا عند قراءتها مستقلة ، وهذه الأبيات هى :

١- الأبيات الستة الأولى من القصيدة الخامسة ، وهى المقطوعة السادسة عند الدكتور الداية .

٢- الأبيات ١-٤ من المقطوعة السابعة ، وهى المقطوعة الرابعة عشرة عند الدكتور الداية .

٣- الأبيات ١١-١٧ من القصيدة العاشرة ، وهى المقطوعة الثامنة والعشرون عند الدكتور الداية .

والبيتان ٤ ، ٩ من القصيدة نفسها ، وهما المقطوعة التاسعة والعشرون عند الدكتور الداية .

والبيتان ١٨ ، ١٩ من القصيدة نفسها ، وهما المقطوعة الثلاثون عند الدكتور الداية .

٤- الأبيات ١ ، ٣ ، ٦ من القصيدة الثامنة عشرة ، وهى المقطوعة الواحدة والخمسون عند الدكتور الداية .

٥- الأبيات ٧-١١ من القصيدة الثالثة والعشرين ، وهى المقطوعة الثامنة والستون عند الدكتور الداية .

وبذلك يكون عدد الأبيات المثبتة هنا وفى الديوان ثلاثين بيتًا . أما بقية الأبيات فى هذا المستدرك ، وعددها ٢٩٩ بيتًا ، فهى جديدة لم ترد عند الدكتور الداية ، ولا عند غيره فيما أعلم .

على أنه ينبغى أن أنبه على أنّ الأبيات الثلاثة التى وردت هنا فى المقطوعة الرابعة والعشرين قد أوردها الدكتور الداية فى «مجموعِهِ» غير أنى أثبتُّها ثانية هنا وأعطيتها رقمًا مستقلاً ؛ لأنه اعتمد فى ذِكرها على مرجع حديث ، هو الدكتور محمد عبد الله عنان فى مقال له فى مجلة «الثقافة» ، وهو فى ظنِّى ما لا يُقبل فى مجال التحقيق والتوثيق العلمي . لكن للحقيقة فإنّ الدكتور عنانًا -كما يقول الدكتور الداية- قد اعتمد على بحث منشور للمستشرق بروفنسال فى إحدى المجلات العلمية التى تهتم بالدراسات الأندلسية . وللحقيقة - أيضًا - فإن هذا المستشرق كان لفترة من الزمن أحد مُلاَّك مخطوط كتاب «**المقتبس**» الذى نعتمد عليه فى هذا المستدرك ، كما يذكر محققه ، الأستاذ الدكتور مكى ، فى مقدمته . لذا فإنّ إعادة نشر هذه الأبيات الثلاثة بهذه الإحالة على مصدر قديم يعطيها توثيقًا واضحًا فى صحة نسبتها إلى الغزال .

كما يلزم أن أنبه أيضًا على أنّ الأبيات المشتركة بين الديوان والمستدرك - كما تختلف في الترتيب والمكان - يختلف بعضها فى رواية بعض الأبيات .

بقى أن أذكر نبذة قصيرة عن مصدر هذا المستدرك : فى منتصف عام ٢٠٠٣م - تقريبًا - صدر عن مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض : «**السِّفر الثانى من كتاب المقتبس**» تصنيف حيان بن خلف بن حيّان القرطبى (٣٧٧هـ-٤٦٩هـ) ، تحقيق

الدكتور محمود على مكّى ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ويُعدّ هذا الإصدار الإصدار الثالث ضمن سلسلة «تحقيق التراث» التى يتبنى مركز الملك فيصل إصدارها . وقد كان إنجاز هذا العمل بشكله الذى خرج به عملاً جليلاً ؛ مادة وتحقيقًا . فجزى الله المركز والدكتور مكيًا خير الجزاء على عملهما ، وأسكن الله مؤلفه ابن حيان القرطبى فسيح جنّاته على عظيم ما ألّف وخلّف .

ربما أقول : إنى كنت من أول المستفيدين من هذا العمل العلمى الجليل ، فقد وجدت أن المؤلف ـ رحمه الله ـ يحفل كثيرًا بالشاعر يحيى الغزال ؛ فهو يعقد له فى كتابه عنوانين ، تقع مادة الأول منهما بين الصفحات ٢٤٣-٢٦٢ . يقول العنوان : «ذِكر الغَزَال الجيَّانى» ، ويورد فى تلك الصفحات كمًا هائلاً جديدًا من أشعاره وأخباره .

ثم يجىء العنوان الثانى : «أخبار الشعراء مع الأمير عبد الرحمن بن الحكَم وبعض ما سقط إلينا من أماديحهم له . من ذلك خبر يحيى بن حَكَم الغَزَال فى إرساله إلى ملك الروم» . وتقع مادة هذا العنوان بين الصفحات ٣٥٠-٣٧١ ، ويضم هذا الخبر كمًا آخر هائلاً جديدًا ـ أيضًا ـ من أشعار الغَزَال وأخباره .

لقد أحصيتُ ما جمعه الدكتور محمد رضوان الداية فى ديوانه ، فوجدته يزيد على ثلاث مئة وسبعين بيتًا ، فى حين وجدت أنّ ما أوردَهُ حيَّان القرطبى -رحمه الله- في المقتبس يقرب من ثلاث مئة بيت ليست فى مجموع الدكتور الداية . والقرطبى يفضُلُ الدكتور الداية فى كون قصائده ومقطوعاته شبه كاملة ، كما أن فضيلتها الأهم أنها ترد ضمن سياقها التاريخى مع ذكر مناسباتها ، وهذا أمر فى غاية الأهمية بالنسبة لدارس شعر الغَزَال ، أو دوره التاريخى فى تلك الحقبة العربية الأندلسية المهمة . ولكن ينبغى أن أنبه على أنى فى هذا المستدرك قد عمدت إلى استخلاص الأشعار واختصار ما ذُكر من مناسباتها ، كما قمت بإعادة ترتيب ذلك الشعر ترتيبًا هجائيًا ؛ ليتناسب مع ما جمعه الدكتور الداية من شعر الغَزَال ، مكتفيًا من ذلك الشعر الوارد فى كتاب المقتبس بأصوله دون حواشيه ؛ لأن الحواشى من حق الأستاذ الدكتور محمود مكّى ، ولا أريد -ولا غيرى يريد- الإغارة على جهده العظيم .

كما تنبغى الإشارة إلى أن هذا المستدرك به أربعة أبيات مختلة الوزن ، وقد أشار المحقق إلى ذلك فى حواشيه ، فكتب ما وجده فى المخطوط ، واجتهد فى الحاشية بتقديم مقترحات لقراءة مستقيمة للأبيات .

والأبيات هى : البيت التاسع والعشرون من المقطوعة الأولى ، والبيت الثانى والعشرون

من المقطوعة الرابعة ، والبيت الثالث من المقطوعة الخامسة ، وكذلك البيت السادس عشر من المقطوعة نفسها .

ختامًا : أسأل الله أن يهيِّئ لهذا الديوان من يقوم بضم هذين العملين إلى بعضهما ، وإضافة ما قد يُعثَر عليه من شعر للغَزال ؛ ليكوِّن هذا العمل - إذا خرج - لبنة أخرى من اللبنات الضائعة من بناء الأدب الأندلسى وتاريخه .

والله الموفق .

قافية الألف المقصورة

قال الغزال :

{ مجزوء الرمل }

[١]

أيُّهــا الشَّــاكـي إلى مَنْ ... ليس في كَـفَّـيْـهِ جَـدْوَى
إن شَـكْـــواكَ إلـيــــه ... ليس تُغْنِي عنك شــيًّــا
فــاسْـأل اللَّهَ فــلا أقْـ ... ـرَبُ منه حــين يُدْعَى
وارْضَ بالقُــوتِ فــإنَّ الـ ... ـقُــوتَ فــيــه كل مَكْفَى
لست تحــتــاجُ مع المــا ... ءِ إلى شُــرْبِ الْمُــضَــرَّى
لا ولا مع جُــبَّــةِ الصُّــو ... فِ إلى الخــزِّ المــوشَّى
والعَــصَـا في الكفِّ تُغْنيـ ... ـكَ عن السـيفِ الْمُـحَلَّى
كم يريدُ المـــرءُ قــد أرْ ... بى على السـبـعـين يَبْـقَى
هَبْكَ عــشت الدهر حــتى ... يَنْـفَــــدَ الـدهـرُ ويَفْنَى
أو مــا قُــصْــرُك من ذا ... كَ إلى أن تُـتَــــوَفَّـى؟
أَرْدَتِ الأيَّـامُ شِـــرُويْـ ... ـه وســابورَ وكِــسْــرَى
وســلـيــمــانَ وداو ... دَ وذُو الخِــضْــرِ قَــدَ اوْدَى
كلُّ من مــاتَ وإن كــا ... نَ عظيـمَ الـشــأن يُنْسَى
لم أجِــدْ حــين تَفكَّرْ ... تُ وراءَ الله مَــــرْمَــى
لا ولا عَــنْــهُ إلــى شَـيْ ... ءٍ من الأشـيــاءِ مَـعْـدَى
كلُّ مـــا يُعْنَى به النا ... سُ من البُنْيَـــانِ يَبْلَى
رُبَّ قــصْــرٍ قــد رأينــا ... هُ عــزيزَ الأهـلِ يُغْــشَى
ثم أبْصَــرْنــاه من بَعْـ ... ـدُ خــرابًا لَيْسَ يَحْـيَــا
أيُّهــا القــصــرُ الذي أصْـ ... ـبَحَ للغِــرْبـان مــأوَى

وانقــضى العـــزُّ الذي كنـ ... ـتَ به إذ كنت تخـــشَى
مـــثلَ مـــا ارْفضَّ له دَمْـ ... ـعِي من شـــأنـكَ أيضَـــا
أيُّ شيءٍ مـــا خَـــلا اللَّـ ... ـهَ ومـا يرضـيــه يبــقَى؟
لا أرى وَجْـــهًــا كَـــوَجْـــهٍ ... فـــيـــه مـــاءُ البِـــرِّ أَوْضَـــا
لا ولا مـــن قَـــنْـــعٍ راضٍ ... بالذي يكْفـــيـــه أغنَى
لا ولا من خُـبْـزِكَ الْخُـشْـ ... ـكـار إذ تَـقْـنَـعُ أهـنَـا
لا تسَـلْ من كـــان سَـــوًّا ... لاً وإنْ أَثْـــرَى وأثـــرَى
إنَّ لـلإعْـدامِ فـــيـــمـــا ... تَحْتَ شُـرْسُـوفَـيْـهِ مَـأْوَى
ولَعَـــمْـرِي إنَّ لـلـفـــقْـ ... ـرِ مـــذاقًـــا لَيْسَ يُنْسَى
رُبَّ مـلـعـــونٍ مـنَ الـنَّـــا ... سِ مـن الـسـل أعْـــتَـى
ومـن الـذيـب عـلى ابـن الـ ... شَّـاة عند الجـوع أَعْـدَى
وإذا هَـبَّـــتْ لـه الـريـ ... ـحُ فـــمـنْ إبليسَ أطغَى
ومـن الـكـلـــب إذا جـــا ... عَ لـمـــا يَمْلِكُ أَحْـمَـى
ومن الشــيطـان عند الرَّ ... أي لـلصـــاحـبِ أغْـــوَى
وإذا كـــان لـــه حـــقٌّ ... فـــبِـرْسـامٌ وحُـمَّـــى
انقــضت بعض ليـالي الـ ... نَّاسِ في سَـوْفَ وحَـتَّى
وَجْـهُ ذي التـقـوى من الـ ... إبْريزِ في العَـيْنَيْنِ أَنْقى
غَـــيْـــرَ أنَّ الأمـــر لِـلَّـ ... ـهِ عَـــزِيزٌ لَيْـس يَفْنَـى

قافية البــاء

[٢]

ومما ابتدعه الغَزَال من أنواع الشعر فن التَّعْنين ، ومن ذلك قوله :

{ الكامل }

خَـرَجْتْ إليكَ وثوبُهـا مـقلوبُ ... ولِقلبـهــا طربًا إليك وَجـيـبُ

....

فكأنَّها في الدارِ حين تَعَرَّضَتْ ... ظَبْيٌ تظلَّل باللِّوى مَـرْعـوبُ
وتبسَّمَتْ فأرتْك حين تبسَّمَتْ ... مـصفـوفَ دُرٍّ لَمْ تَشُبْـهُ ثقوبُ
ودعـتك داعيـةُ الصِّبـا فَتَطرَّبَتْ ... نفسٌ إلى داعي الضلالِ طَروبُ
فوصلتَ ذاك على القديم ولم تكن ... وَزَعَـتْكَ عنه كَـبْـرَةٌ ومَـشِـيبُ
حَسِبَتْكَ في حالِ الغلام كعهدها ... في الدارِ إذْ غصنُ الشبابِ رطيبُ
وعَرَفْت ما في نَفْسِها وضَمَمْتَها ... فـتـسـاقَطَتْ بهنانَةٌ رُعْـبـوبُ

فقبضت ذاكَ الشيءَ قبضة شاهنٍ فَنَزَا إليَّ عَـضَنَّكٌ حلبـوبُ
بيـدي الشـمـالِ وللشـمـالِ لطافَةٌ ليـست لأخـرى والأديب أريبُ
فأصاب كفي منه حين لمسته بَلَلٌ كـمـاءِ الورد حـين يَسـيبُ
وتحلَّلَتْ نَفْـسِي للّذَّة رَشْـحِـه حتى خشيت على الفؤاد يذوبُ
فـتـقـاعس الملعـون عنه وربمـا ناديْتُـه خـيـرًا فليس يجـيبُ
وأبى فـحَـقَّق في الإباء كـأنه جـانٍ يُقـادُ إلى الردى مكروبُ
وتَغَـضَّنَـتْ جَنَبَـاته فكأنه كِـيـرٌ تقـادمَ عـهـدُه مـثـقـوبُ
حتى إذا ما الصبح لاح عـموده فـسـمـا وَحَـانَ من الظلام ذهوبُ
ساءلتها خجلاً أما لك حاجة عندي فـقـالت ساخـرًا : خَرُّوبُ
قالت : حِرُّ امِّك إذ أردت وداعها قَـرِنٌ وفـيـه عـوارضٌ وشـعـوبُ

وهي طويلة .

[٣]

وقال بعد عودته من سفارته إلى الروم مع صاحبه يحيى الْمُنَيْقِلَة :

{ الوافر }

يسـائلُني الْمُنَيْـقِلُ عن أبيـهِ وكـان الصـمتُ أدنى للصـوابِ
فـقلت له ولم أظلمْـهُ شـيـئًـا أبوكَ مـعلِّمٌ حـسنُ الحـسـابِ
فـقـال -وللفـتى أدبٌ وظَرْفٌ- خلطتَ لنا مـديحَكَ بالسِّبـابِ
فـقلت له : المـديـح أدقُّ فـيـه إذا فكرت من حـذو الصـوابِ

[٤]

بعد عودة الغزال من سفارته إلى الروم طلب منه عبد العزيز بن هاشم حلية مما استفادها هنالك ، فمنعه منها ، فوجد عليه ووشى به عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم فسُجن ، فكتب يحيى الغزال إلى الأمير بأشعار كثيرة جدية وهزلية منها قصيدة طويلة أوّلها :

{ السريع }

بَعْضَ تصـابيكَ إلى زينبِ لا خَـيْـرَ في الصَّبْـوةِ للأشْـيَبِ
أبعـد سِـتِّـينَ تمليـتـهـا كـاملةً تصـبـو إلى الربْرَبِ

يقول فيها :

مَنْ مُـبْلغٌ عني إمـامَ الهـدى ... والوارثَ المـجـدِ أبًا عن أبِ
أني إذا أطنبَ مُـدَّاحُـهُ ... أوجـزتُ في القـول فلم أُطْنِبِ
لا فَكَّ {عني} اللهُ إن لم تكُنْ ... أذكَـرْتَنا عن عُـمَـرَ الطَّيبِ
وأضحتِ المشرقُ مشتاقةً ... إليك قد غارت من المغربِ
كالكاعب الفارِكِ قد أُنْكِحَتْ ... من لم تلائمْـهُ ولم يُنْجِبِ
إلى جميل الوجهِ في هيئة ... كهيئة الضِّرْغامَةِ الْمُغْضِبِ
لا يمكنُ الناظرُ تأميلَهُ ... إلا التماحَ الخائفِ المذنبِ
يخضرُّ ما يلمِسُ من يابِسٍ ... وما يَطَأْ من مُجْدِبٍ يُعْشِبِ

وقد أطال فيها المديح ، ثم عرج إلى المجون فقال :

كان امرؤٌ أهدى إلى بعضنا ... كوزًا مُصَرَّاةً على طَيِّبِ
كأنه إذ نزعوا طينَهُ ... قَرَنْفُلٌ نُظِّم في مُحْلَبِ
فاهتزَّتِ النفسُ سرورًا به ... وانشرح الصدرُ ولم أشْرَبِ
وكان مني هكذا دَفْتَرٌ ... أعددتُه للفِقْهِ لم يُكْتَبِ
ثُرْتُ إليه وتناولتُه ... وكنتُ في دهري من الْمُطْرَبِ
نَقَرْتُ فيه نقرةً ساعةً ... أُشيرُ بالرأسِ وبالمنكبِ
فالرِّجْلُ في موضِعِها لم تَرِمْ ... مخافةَ الكَبْلِ على أكعُبِي
حتى إذا ما طرَبي جَدَّ بي ... واللهو إن تركَبْهُ يستركِبِ
قمْتُ برجليَّ على وَثْبَةٍ ... فأوجَعَتْني حَلَقُ العَقْرَبِ
واستضحك القومُ فأنبأتُهم ... أن الذي يحسبني غَرَّ بِي
إن تُرِدِ المالَ فإني امرؤٌ ... لم أجمع المالَ ولم أكْسِبِ
وإن يرد زفنا يجد بي ... إذا كلفته أحد الظرب

ودس الغزال إلى بعض المغنين ، فغنى الأمير بأبيات منها :

{ السريع }

قد أحسن الله بنا عندما ... كان الذي اسْتَوْدَعْتَ لم يذْهبِ
إذا أخذت الحقَّ مني فلا ... تلتمسِ الرِّبْحَ ولا ترغبِ

فاستملحها وقال فيها : لمن هذه؟ فقيل له : للغزال ، وهو مسجون في سجن وزيرك عبدالعزيز بن هاشم ؛ فى رسم ربح الطعام الذى تُعُقِّبَ عليه . فأمر إطلاقه وإدخاله عليه .

قافية التاء

[٥]

لما تخيَّر عبد الرحمن بن الحكم الغزالَ وصاحبَهُ يحيى الْمُنَيقلة لسفارته إلى القسطنطينية ، حاول الغزالُ الاعتذار وقال قصيدته التالية ، وهي طويلة ، سلك فيها طريق الفكاهة ، وعرَّض بالرسول الذي كان أُرسِل إلى ملك الروم قبله :

{ البسيط }

ما تشتفي أمُّ جُرْجٍ من ملاحاةٍ أو تسمعَ الديكَ يزقو عشر زَقْواتِ
جَرْدَاءُ صلعاءُ لم يبقِ الزمانُ لها إلا لسانًا مُلحًا بالملاماتِ
رقَّتْ حواشيه واستول منظره عند التكلمِ تحت الحنة الحاتي
حتى تخالَ لها نفسًا تُصَوِّرُها أخرى سوى نفسها عند الخذالاتِ
قنواء مقرونةٌ منها حواجبُها والعينُ غائرةٌ تحت البُشُوراتِ
يحلفُ من عاينَ الغيلان مجتهدًا بأنها غيرَ شكٌّ بنتُ سعْلاةِ
كأنما حَمَلَتْ منها إذ انبعثَتْ على متونِ عظامي حَدٌّ مِبْرَاةِ
تقول : ما لك لا تأوي إلى فُرُشٍ أعددتهنَّ نقياتٍ وثيراتِ
وزقٌ زيتٍ لمن يبغي ملامَسَةً أشهى عناقًا وأدنى لِلَّذاذاتِ
لطمتُها لطمةً طارت وقايَتُها عن صَلْعَةٍ ليس فيها خمسُ شَعْراتِ
كأنها بَيْضَةُ الشاري إذا بَرَقَتْ بالمأزقِ الضنكِ تحت المشرفيَّاتِ
لها حروفٌ نَوَاتٍ في جوانبها كقسمةِ الأرضِ حِيزَتْ بالتُّخوماتِ
وكاهلٌ كسنامِ العَنْسِ حدَّدَهُ طولُ السفارِ وإلحاحُ القُتوداتِ

وفيها :

يا ابْنَ الْمُحَلِّيْنَ من شيثٍ إلى حكَمٍ بالملكِ طورًا وطورًا بالنبواتِ
وبالرُّويِّ التي في شأنها عَجَبٌ عند البَديهاتِ منهم والرَّويَّاتِ
ابن لي طلبة لم يُرْسِلْ لِلحْيَتهِ لكنه كانَ من أهل الْمُرُوَّاتِ
وكان بالدهر ذا علمٍ ومَعْرِفَةٍ وصحبةٍ لعَلِيَّاتِ الرِّجالاتِ
وكان للروم جارًا فيِّ حداثَتِه يغشاهُمُ في السَّرايا والتِّجاراتِ
وكان يلعبُ بالشِّطْرَنْجِ في مُلَحٍ يأتِي بها وصنُوفٍ من فُكاهاتِ

وكـان رُبَّتَـمـا غنَّى على طَرَب فيـها لدى مَلْعَب يومًا بأصواتِ
وكلُّ قـوم لهم حـالٌ تشـاكِلُهُمْ فيما هُمُ فيهِ من أهلِ الصناعاتِ
وإنمـا نحنُ في أحـوالنا سُـوَقٌ وشكلُنا ليس من تلك الشُّكولاتِ
وإنمـا هو هذا الشـعـر أقـرضُـهُ كما أحاولُ من دهري لحاجاتِي
والروم ليسوا ذوي شعرٍ فأُنشِدَهُمْ إذا وردتُ عليـهم من مـقـالاتِي
ولا يريدون إمـلالي لِكُتـبِـهِمُ ولا حسابِي ولا في الدينِ إخْباتِي
وإن يكونوا عَرَتْهُمْ لحيَةٌ عَظُمَتْ بغيـر عـقلٍ لدى حال المبـاهاة
ففي التيوس البُشـاريَّاتِ مُتَّسَعٌ على القيـاسِ وفيـهـا كُلُّ مَكْفَاة
وها هنا واحـدٌ في طولِ لحيـتـه وعَرْضِها بضـمان عَشْرُ لحْيات
فَسَيِّرُوهُ فـفيـه فوقَ حـاجَتِكُمْ مَنْ تبـتــغـونَ سـواهُ للوفـادات
وأطلِقـوني وخـافوا الله في وَلَدي لا توتمـوهُمْ فـإني ذو بُنَيَّـاتِ

قافية الدال

[٦]

قال الغزالُ في مدح الأمير الحكم بن هشام ، من قصيدة طويلة جيدة وهي :

{ الطويل }

فـواللّه مـا أدري وإني لشـاعـرٌ إلى أيِّ وَجْهٍ من مديحكَ أقصدُ
كأنَّ الملوكَ الغُلْبَ عندك خُضَّعًا خـواضعُ طيـرٍ تتَّقي الصَّـقْـرَ لُبَّدُ
تُقَلِّبُ فـيـهـم مُـقْلةً حَكَمـيَّـةً فـتـخـفضُ أقـوامًا وقـومًا تُسَوِّدُ
لأُعطيتَ سلطانًا على السُّخْطِ والرِّضا عليـها فذلَّتْ حين تَغْوِي وتَحْرَدُ
ونَزَّهْتَ نفسًـا أن تقـاربَ ريبَـةً وقـد يَلْزَمُ الإنسـانُ مـا يتـعـوَّدُ
وَقُوفًا عنِ الأمرِ الذي فيه شُبْهَةٌ مَلُوكًـا لـهـا إن نازَعَتْ تتـأبَّدُ
وإنك تُعْطِي ما قَدَ اعيَا حسابُه الـ ـعقولَ فما تهْدَى له كيف يُعْقَدُ
سـوى أن آلافـا تؤلَّف هكذا بلا فَـهَم من حـاسِـبِـيـهـا يُرَدَّدُ
وتُعطي وتُعطي ثم تُعْطِي كـأنما تُريدُ نَفـاذَ المـال لو كـان يَنْفَـدُ
مضى ما مضَى من ذكرِ كعبٍ وحاتمٍ فقيلَ هُما من سائرِ الناسِ أَجْوَدُ
وبعضُ الذي تُعْطِي كَأثمانُ طَيِّئٍ وعَشْرَة كعبٍ حيث غاروا وأنجدُوا
وما ذاك إن أعْطَيْتَـهُ اليـومَ مـانعًا غـدًا منك أنْ يأتي بأمثـاله الغَـدُ
فَهَبْني كبعضِ المادحينَ أَجَزْتَهُمْ ببـعضِ عطاياكَ التي لا تُصَـرَّدُ
وَجَدْتُ التقى والبأسَ والعدلَ والندى إليك إذا ما استُقْصِيَ الوَصْفُ تُسْنَدُ
فَـمَنْ تؤمنوهُ فَـهْـوَ للدهرِ آمِنٌ وَمَنْ لا يَعِشْ ما عاشَ وَهْوَ مُطَرَّدُ
ويَحْسَبُ أَرْضَ اللهِ في كل وِجْهَةٍ حَبَـائلَ ألقـاهـا له الْمُـتَـصَـيِّـدُ

وهي طويلة ، في آخرها :

وفي بَيْعَةِ الصِّدِّيقِ قد قيلَ فَلْتَةٌ وقَدْ أكثَرُوا فيها المقالَ وفنَّدُوا
ولا عمر الفاروق ما جمع الهوى وما مِثْلُهُ في ذلك الدهرِ يُوجَدُ
ولا لابنِ عَفَّان الذي سَمَحَتْ لَهُ يَدًا من رسولِ الله بالبيعة الْيَدُ
فكيف أنا يا ابْنَ الكرامِ ومَنْ أنا إذا الناسُ من أهلِ الفَضَائل عُدِّدُوا

[٧]

وقال أيضًا :

{ الكامل الأحذ }

قالت : أحبكَ قلت : كاذبةٌ غُرِّي بذا من لَيْسَ يَنْتَقِدُ
هذا كلام لستُ أقبلُهُ الشيخُ ليس يحبُّه أحدُ
سِيَّان : قولك ذا وقولك إنَّ الرِّيح نعقدُها فتنعقدُ
أو أن تقولي : النار باردةٌ أو أن تقولي : الماءُ يتَّقدُ
إن كان عِشْقُ المرءِ يُسْكِنُهُ قَلْبَ الفتاة الشَّيْبُ والدَّرَدُ
بيضاءُ مثلُ الشمسِ سُنَّتُها بَهْنانةٌ ما شَقَّها وَلَدُ
وكأنَّما تُبْدِي مَضَاحِكُها ما دينجًا بخلاله بَرَدُ
ويُقالُ لي لِجْها فقلتُ لهم : ما بي على ما قلتمُ جَلَدُ

[٨]

ولَمَّا تأخر عنه ما وعده الأمير عبد الرحمن بن الحكم به من البذل لعياله قبل سفارته إلى بلاد الروم كتب محركًا بذلك :

{ البسيط }

أبقى الأميرُ علينا هَمَّ ما وَعَدا فما اعتددنا بشيءٍ عندما انفردَا
يقول لي ابْنُ شُهَيْدٍ والوزيرُ أبو عبد الإله وعبد الله قد شهدَا :
لا تأسفنَّ على شيءٍ تخلِّفُه سيوسعُ الملكُ الإجراءَ والصَّفَدَا
فقلت : لا شكَّ لكنّي أُشَبِّهُهُ بقُبلة العاشقِ المعشوقَ قد رقدَا
فينثني عنه لم يَشْعُرْ بقبلته ولم يصب لذةً منه ولا رَشَدَا
ما كان أحلاهُ في نفسي وأطيَبَه لو كان ذلك في اليوم الذي وَعَدَا

فأنجز الأميرُ عبد الرحمن الغزالَ ما وعده إياه ، ووقَّع له بإثبات راتب دائر له في الأزمنة ، وزاده إلطافًا ، وأزعجه للخروج ، فاستبسل له ونفسه رضية .

[٩]

ومن آخر ما قاله فى وقت هرمه أبياته التى منها

{ البسيط }

يا مُسْتريبَ حياتي هَلْ تَظُنُّكَ إنْ غالَتْنِيَ الغُولُ يومًا خالدًا بَعْدِي

قافية الراء

[١٠]

ولما عزم الرحيل إلى القسطنطينية قال بين يدي رحلته قصيدته الرائية التى على عروض قصيدة أبى نواس : «أجارةَ بَيْتَينا أبوكِ غَيُور»

وهى :

{ الطويل }

أعـاذِلَتي إن الظلام بشـيـرُ وعنديَ رحلٌ حـاضـرٌ وبعـيـرُ
وعندي من الزادِ الكفافُ ومؤنسٌ إلى جـانبي عَـضْبُ الغِرارِ ذكيـرُ
وقلبٌ ذكيٌّ مـا يكادُ يخـونُني إذا خيَن مـجمـوعُ الحصـاةِ وَقورُ
وإنَّ مُـقَـامي شَطْرَ يوم ببلدة أخـافُ على نفسي بهـا لكثيـرُ
وموسى بْنُ عِمْرانٍ أقامَ بِمَدْيَنٍ سنينَ حِـذارَ المـوتِ وهو أجيـرُ
وأحْـمَـدُ لمـا أنكرَ الدارَ أَرْقَلَتْ به عَـيْـسَـجُـورٌ للفـلاةِ عَـبـورُ
ويحـيى وعـيـسى موقِنَيْنِ تواريَا بأن ليس يُنْجِي الهـاربين فُـرورُ
فصـاروا إلى مـا قـدَّر الله فـيـهمُ وللخَلْقِ في حكمِ الإلهِ مـصـيـرُ
وقد يهرب الإنسانُ من خيفة الردى فـيلحقـه مـا خـاف حيثُ يسيرُ
لِيُـبْلِغَ نفـسًـا عُـذْرَها ولعلـه تكون أمـورٌ بعـده وأمـورُ
فكم ظاعنٍ قـد ظنَّ أن ليس آيبًا فـآبَ وأردى حـاضـرون كـثيـرُ
وإنّ الذي أُعْطِيتُـهُ من تَغَـرُّبي عَلَيَّ -وإن أَعْظَمْـتَـهُ- لحـقـيـرُ
رأيت المنايا تسلب العُصْمَ عُمْرَها فـتـدركـهـا والطَّيْـرَ وهو يطيـرُ
لعلِّي سـأمضي ثم أرجعُ سـالمًـا ويهلِكُ بعـدي آمنين حَـضُـورُ
جـعلتُ أُرَجِّيـهـا إيابي ومَنْ غـدا على مـثلِ حـالي لا يكاد يَحُـورُ
وكـيف إيابي والزمـان قـد انقضى وعظمِي مَـهِيضٌ والمكانُ شطيرُ
وإني وإن أظهـرتُ مـني تَجَلُّدًا لذو كـبـد حَـرَّى عليكِ حَسـيـرُ
وإن رجـائي في الإيابِ إليكمُ وإن أنا أظهـرت العـزاءَ قـصـيـرُ
فإن كنتِ تبـغـينَ الوداعَ فـبالغي فـدونَك أحـوالٌ أرى وشـهـورُ
وكُـوني كـحـالِ القـارِظَيْنِ فإنني أراني مُـقـيـمًـا مـا أقـامَ ثَبـيـرُ

فحَنَّتْ حَنينَ النَّابِ مات حُوارُها … تُجاوِبُهَا نيبٌ فواقدُ خُورُ
كأن الذي يُذْري المدامعَ منهما … تساقُطُ ماءِ الشَّنِّ وهو غَزيرُ
لكِ اللهُ فاستذري إليه وأعْظِـ … ـمي الرَّجاءَ له إن الإلَهَ قديرُ
فما زلت حتى لاح للصبح ساطعٌ … وهل لامرئٍ نائي المحلِّ سرورُ
فأصبحتُ مسرورًا بنائِي مَحِلَّتي … وهل لامرئٍ نائي المحلِّ سرورُ

[١١]

كان عبد العزيز بن هاشم ، وزير عبد الرحمن بن الحكم ، والد هاشم ، ابن أخت الغزال ؛ ولذلك يقول فيه الغَزَال من أبيات له :

{ الطويل }

أنا خالُهُ وهو ابْنُ أُخْتِي فما الَّذِي … أُلامُ عليه والدِّماءُ تَفُورُ

[١٢]

اشتهر الغَزَال بالشِّعر في أيام الحَكَم ، وامتدحه بأماديح كثيرة مستحسنة ، وله فيه بيته المشهور عند رواته وهو :

{ الطويل }

أيا حكمًا للمعضلاتِ الفَوَاقرِ … ويا حكمًا تحت القنا المتشاجرِ

[١٣]

وله فى الشيب والشباب :

{ السريع }

يا خاضِبَ الشَّيْبِ مَدَى عُمْرِه … كم ذا الذي تَسْطِيعُ أن تَصْبِرَا
هل أَبْصَرَتْ عيناكَ قَطُّ امْرءًا … أعادَ عودًا يابسًا أخضرَا
مَنْ شابَ قد ماتَ ولكنَّهُ … لا يَسْتَحِلُّ الناسُ أن يُقْبَرَا
كَذَلِكَ الرُّوحُ الشَّقِيُّ الذي … أخَّرَهُ اللَّهُ لما أخَّرَا
إنِّيَ أَرْجُو للفتاة التي … تكونُ عندَ الشيخ أَنْ تُؤْجَرَا
حَقٌّ لها لَوْ خَنَقَتْ نَفْسَها … عِنْدَ جميعِ الناسِ أن تُعْذَرَا
القطُّ في الكانون مستوبر … والكلبُ في حَبْلَيْنِ قد كَشَّرَا
والْمَقْتُ كُلُّ الْمَقْتِ في عَيْنها … أَحْسَنُ منه عِنْدَها مَنْظَرَا

[١٤]

وقال فى التعريض :

{ السريع }

أَبصَـرْتُ شـيـخًـا قُـرْبَهُ ناهدٌ يلثـمُـهـا كـالقَـمَـرِ السَّاري
أسنانها فـيَـمـا يُرَى لُؤْلُؤٌ صُـفِّفَ في فـيـهـا بأسطارِ
إلى لِثـاثٍ شـبْـه مـادِينَج دكُّـوا به صنعـةَ مـئـشـارِ
أَنَّـى تـوصَّـلْـتَ إلـى هَـذه فـقـال لي : لُطْفِي ودِينارِي
خَـوَّفْـتُـهُ اللهَ ورَوَّعْـتُـهُ { مـنـه } بـتَـرْداد وتـكـرار
فـقـال -والشـيخ خـبـيث إذا كُلم من مَـشْـيَـخَـة النار- :
باللهِ دَعْني عنك أقضي من الدُّ نـيـا لُبَـانـاتي وأَوْطارِي
أَلم تقُلْ لي أَنتَ أنْ كُلُّ مـا يَعْلَمُـهُ الـنـاسُ بمـقـدارِ؟
وكنتُ قـد كَلَّمْـتُـهُ مـرةً فَلَمْ أجِـدْ بُدًا من اقْـرارِي
فـقـالَ : والوعـظ مـحـالٌ إذَنْ -وأنـت ذو عـلـم وأفـكـار-
إنْ كـانَتِ الأَعْـمـالُ مَـحْتُـومَةً من قـبلِ أنْ يَبْـرأَنا البـاري
فلست أَسْطِيعُ سـوى مـا تَرَى إذْ كُلُّ مـا كـانَ بأقـدارِ
والخـيـرُ والشـرُّ إذَنْ طاعـةٌ ونـحـنُ فـي مـنـهـاجِ أَبْـرارِ
إذا تُوُفِّـيـتُ فـإنِّي لِمـا قُـدِّر مـن جَـنَّـةٍ أو نـارِ

[١٥]

وله فى فن التعنين :

{ السريع }

لم تَرْضَ أُولائِي ولا عَـصْـرِي ولا عَـشـيَّـاتي ولا فَـجْـرِي
وابتـعـتـهـا بيـضـاءَ بهنانةً حُـسَّـانـةً براقـةَ الشـعـرِ
كـأنَّمـا سُنَّتـهـا إذ بَدَتْ سُنَّةُ شـمـسٍ أو سنا بَدْرِ
فـأصبـحت تدعـو على نفسـهـا بالتَّـعْسِ والويلاتِ والثُّـبْـرِ
في عَبْرَةٍ ما ينقضي فَيْضُهـا كـأنمـا تَغْـرِفُ من بَحْـرِ
ونافـذ من قـولهـا وَخْـزُهُ وَخْـزُ الأشـافِي أو حُـمَى الدَّبْرِ
جـعلتُ عـمـدًا أَتغـابَى لهـا كـأنـنـي أَبْلَـهُ لا أدري
مـاذا الذي يبكيكِ قـالت : ومـا باليَ لا أبكي مـدى عـمـري
قطعتَ بي عن حـاجـتي ظالمًا مـا لكَ عندَ اللهِ من عُـذْرِ
قلتُ لهـا : إني امـرؤٌ صـالح الْـ حـالِ رفـيـعُ النفسِ ذو وَفْـرِ

وقَــبَلى مــا شــئتِ من مطعم ومن نبــيــذ طيبِ النشـرِ
ومن ثيـابِ الوَشْيِ مـا تشـتـهى مـثْلُكِ من بيضٍ ومن صُـفْـرِ
ومن صنوف الْحَلْيِ ما شئتِ من فـاخـرِ ياقـوتٍ ومن شَـذْرِ
ومن جَـوَارٍ كُلُّهـا سـامِـعٌ يخفُّ عنـد النهيِ والأمـرِ
وإننى فى النـاسِ ذو حُـرْمـة عظيـمـة الشـأنَ وذو قَـدْرِ
وأهـلُ بيـتي كلهم فـاضلٌ يُوصَـفُ بالعلم وبالشـعـرِ
قـالت : ومـاذا لِىَ فى كلٍّ ذا من عـاجلٍ يُحْـمَـدُ أو ذُخْـرِ
أنت امـرؤٌ يا سـيـدى شـاعـرٌ فكيف لا تشـعـرُ فى أمـرِى
قلت لها : صف لى فقالت : وما أكـثـر من هذا مع العـسـرِ
لا والذي ليس له صـاحبٌ مـا أنت من بَزِّى ولا عِطْرِى
وإن أَبْـزَارَكَ هـذا الـذي تَهْـرِسُ مـا يَدْخُل فى قِـدْرِى
مـا لِيَ لا أَسْـمَعُ فى كُلٍّ ذا الـ وصف لذاك الشىءِ من ذكـرِ
وصَرَّحَتْ فى بعضِ تعريضها مـا حـاجَـةُ الليثِ إلى النِّمـرِ
والفَـرَسُ الجـائِـعُ مـاذا لَهُ في الْجُلِّ والبـرقع والضَّـفْـرِ
قلتُ لهـا : إن تصـبرى تُؤْجَرى قـالت : ونحنُ الآنَ في الأَجْـرِ؟
وأتبـعـت ذلك دَعْ عَنْكَ ذا أنت تداوى قـرحـة النسـرِ

قافية السين

[١٦]

لما تأخَّر نصر الْخَصِىُّ ، حظىُّ الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، الغالبُ على أمرِهِ ، لأمرٍ يخصُّ الغزال ـ هجاه وأقذع ، وقال فى سَبِّه وسبِّ عباسٍ الطبلى ، صاحبه :

{ البسيط }

قد قلتُ بيتين في نصرٍ وعبَّاسِ فأنصتوا لهما يا معشر الناسِ
أَيْرُ الحِمـارِ إذا اشتـدَّتْ مـثانته وصار غُرْمُولُهُ كالجندلِ القاسِي
في است امِّ نصرٍ ونصرٍ واسْتِ والدهِ أَبى السَّمَـوْأَلِ والطبليِّ عبـاسِ

قافية اللام

[١٧]

قال حيَّان : قرأت بخط أبى بكر عُبادَةَ الشاعر قال : الغَزَالُ : هو أبو زكريا ، يحيىٰ بن حكم البحرى ، ينتمى إلى بكر بن وائل ، وهو القائل فى كلمة له :

{ الطويل }

وها أنا من أبناءِ بكرِ بْنِ وائلٍ ومـا نفـعـتني قَطُّ بكرُ بن وائلِ

[١٨]

دخل الغَزَالُ على الأمير عبد الرحمن بن الحكم ؛ ليكلِّمهُ في أمر سفارته إلى الروم ، فلما رآه الأمير قال مداعبًا له :

جاء الغَزَالُ بِحُسْنِه وجماله

فأجازَهُ الغَزَال فقال على البديهة :

{ الكامل }

قَالَ الإمامُ مُداعبًا بمقاله — جاءَ الغزالُ بحسنه وجماله
دَعْوَى الذي أَوْدَى به مِنْهُ البِلَى — لم يَقْصُرِ الممدودَ من آماله
أين الجمالُ - له الجمالُ - من امرئٍ — أَلقاهُ ريبُ الدهرِ في أغلاله
أم أينه في خاضعٍ متخشِّعٍ — أَلقى الزمانُ تُغَامَه بقَذَاله
وأذلَّ غاربَه وأنكَبَ جَنْبَهُ — وأكلَّه بخفافه وثقاله
وأعاره من بعد جِدَّته البلى — وأحال رونقَ وجهه عن حاله
وابتزَّ ما كان ارتداهُ مع الصِّبا — من بَزِّه وكساهُ من أسماله
وحَنَى قوامَ قناته فأجابه — طوعًا وقصَّر خَطْوَهُ بشكاله
حاني المطا واهي القُوى داني الخُطا — يمشي فيعْثُرُ في صدورِ نعاله
فإذا نظرتَ إليه نحوَكَ مقبلاً — أبصرت صرف الدهر في إقباله
والمرءُ تحدُثُ أُخْرَيَاتِ زمانه — أشياءُ لم يخطرْنَ قَطُّ ببالِه
لله دَرُّ جديد أيام الصِّبا — ولذيذ صُحْبَته وطيبِ خلاله
ونسيمِ أرواحٍ نعمتُ ببردِها — كانت تهبُّ عَلَيَّ من آصاله

[١٩]

ونزل الغَزَال وصاحبُهُ الْمُنَيْقِلَةُ - في طريقهما إلى القسطنطينية - إلى كورة تَدْمير ، ورسول ملك الروم معهما ؛ ليجوزا من ساحلها لسبيلهما ، فقصَّر العاملُ في قِراهما ومبرَّتهما ، فقال الغَزَال يذمُّهُ :

{ الخفيف }

قد أردنا حُسْنَ الثناءِ عليكُمْ — مُذ حَلَلْنَا فلم نَجِدْ ما نقولُ
غَيْرَ تجميرِنا بهائلِ رَمْلٍ — حيث شئنا من جانبيه نَبُولُ
وطعامٍ من الضَّريع أصبناه — على أنه يسيرٌ قليلُ
ليت شعري ماذا عليكَ من الإجـ — ـمالِ لو كان منكَ فعلٌ جميلُ
ولَعَمْرِي لأنتَ أَوْسَعُ في العُذْ — رِ ولكنْ لقولِنا تأويلُ

[٢٠]

وقال فى فنٍّ التعنين :

{ المتقارب }

سـألتُ الأطبـاءَ عن بَعْضِ مـا ... تُعـينُ على مـا يريدُ الرجُلْ
إذا ما الشباب .... تولّى ووالَتْ عليـه العِلَلْ
فَسَمَّوا عقاقيـر لي جَمَّةً ... فأكثرهُمْ قال : شُرْبُ العَسَلْ
وكُلُّ الذي زَعَمُوا ليس في ... مُشَاشِي لأجْمَعِه مُحْتَمَلْ
وجَرَّبْتُ ما اسطعتُ من كلٍّ ما ... قَدَرْتُ فلم تُغْنِ عني الحِيَلْ
فعدت إلى بعضهم سائلاً ... كذلك يسألهم من جَهِلْ
فقال مقالاً إذا ما بلا ... هُ باليه لم يُلْفِ فيه خَلَلْ :
إذا اسْطَعْتَ أن تستعيد الشبابَ ... فذاكَ وإلا فلا تَشْتَغِلْ
أريتُكَ هذا الذي تبتغي ... له الطبَّ ينهضُ أو قد بَطَلْ
فقلت له : قد وهى أصله ... فإنْ هَمَّ أسلمه فانْجَدَلْ
فقال ومَعَّر لي وجهه : ... فماذا تريدُ إذَنْ يا رجلْ؟
رأيتَ الذي حَضَرَتْهُ الوفاةُ ... يَمُدُّ الطبيبُ له في الأجلْ؟
فأعْوِلْتُ إعوالَ مفجوعة ... تُخَبِّرُ أنّ ابنها قد قُتِلْ

قافية الميم

[٢١]

كان الفقيه عبد الملك بن حبيب السُّلَمى يستلطف الغَزَال ؛ إذ كان مشاحنًا له ، ومتخوفًا من هجوه إياه ، وكذلك كانت جماعة الفقهاء ، فقال الغَزَال :

{ الكامل الأحذ }

إنّ التي خُوِّفْتَ يحجزني ... عنها الحياءُ وحاجزُ الحِلْمِ
وجزاءُ جَدِّكَ يوم وقعة ذي ... قارٍ يطاعن مَعْ بني عَمِّي

يعني أن مرداس بن أبى عامر السلمى ، الذى إليه ينتمى عبد الملك ، كان يدًا مع بنى شيبان يومئذ .

[٢٢]

وقال الغَزَال :

{ المتقارب }

رأيتُ الرجالَ بِهِمَّاتِهِمْ ... وأحسابِهِمْ في جِراماتهِمْ
أكبُّ رجالٌ على تَجْرِهِمْ ... وأعمالِهِم وصناعاتِهِمْ

فـهم بَيْنَنَا في النعيم الْمُـقيم ... وأصـحـابنـا في حـمـاقـاتِهِمْ
إذا عَـــدَّدَ الـقـومُ أربابَـهُمْ ... وأَفْـضَـالَهُـمْ في تِجـاراتِهِمْ
وَجَـــدْتَهُمُ عِنْدَ حُكَّامِـــهِمْ ... يَخُـوضـونَ في ذكـرِ أمـواتِهِمْ
وهل حَـرْبُ غـبـراءَ أو داحس ... ومـا حَـفِظُوا من وَقـيـعـاتِهِمْ
تُفــيـــدُهُمْ دِرْهمًـا واحِـدًا ... إذا الْتَـمَـسُوهُ لحـاجـاتِهِمْ

قافية النون

[٢٣]

قال عيسى بن أحمد بن محمد :

وظهرتْ ليحيى الغزال في ذِكر النفس قصيدة ، اتُّهم فيها بالتعريض ، فقام عليه قوم فيها من أهل قـرطبـة عند بعض القضـاة وأنحى عليهـا الفـقـهـاء ، فكاد يعلق ، لولا أن انتـشلتـه الشفاعة ، وهي :

{ الطويل }

تمنيتُ أمـرًا قـد طوى الله عِلْمَـهُ ... ومـا عِنْدَ غـيـرِ الله فـيـه يقـينُ
تمنيتُ أن أدري وهلْ تنفع المنَى ... إذا زال هـذا الـرُّوحُ أَيْـنَ يـكـونُ
أفي نَسْخَةٍ أم {هُوْ} مقيمٌ بموضع ... -إلى أن يُنادَى بالحسابِ- رهينُ؟
وهلْ فيه عقلٌ مثلما كان أو به اشـ ... تيـاقٌ إلى مـا خَلْفَـهُ وحَنينُ؟
وصـــارَ إلى آذِيٍّ بحـــرٍ غُطامط ... له أَظْهُـرٌ تحـــمـــينَهُ وبُطونُ
جَسَسْتُ بوهمي جَسَّ أَعْمَى فردَّهُ ... من الغَـيْبِ شيءٌ لا يراه مُـحِـينُ
ويا لَيْتَ شـعرى أيَّ شيءٍ مُحَصَّلٍ ... يَرَى شخصُ من قد مات وهو دفينُ
أَهُو هُوَ أم خَلْقٌ شـبـيـهٌ بمـا رأى ... فـهلْ للقلوبِ الناعسـاتِ عُيـونُ؟
وكـيف يرى والعَيْنُ قد مـاتَ نُورُها ... وواقِـعُـهُ شِـبْـهُ الوقـارِ سُكونُ
تعـالى الذي لا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ ... ولا عندَ مـــخلوق بذاكَ يقـــينُ
لئنْ كـانت الأرواحُ من بَعْدِ بَيْنِها ... بِهِنَّ إلى مـــا خَلْفُـــهُنَّ حَنينُ
وتملكُ أن يَغْشَى الصَّفِيُّ صفيَّهُ ... وتعلَمُ بعـــدَ المـــوتِ أين يكونُ
فـــرُوحيَ لا ينفكُّ في وَصْلِ رَبِّه ... وإن حـالَ حِصْنٌ دُونَ ذاكَ حَصينُ
ويعطفني وُدٌّ على الوَصْلِ ثابتٌ ... وَحَبْلُ هوًى لا فَصْلَ فيـه مَتِـينُ
وإن تكُنِ الأخْرَى فـعُـذْرًا فـإنَّني ... إلى أن أُنادَى بالحـــســـابِ رَهينُ
لفــــارِقـــتُـه إذ بِنْتُ عَنْـهُ وإنَّه ... بقـــربَى لو يُجْـــدي عَلَيَّ ضنيُنُ
عليك سـلامُ الله مـا هَبَّتِ الصَّبـا ... ومـا ناحَ في أيكِ الغـصـونِ حَنُونُ
لئن سَخِنَتْ من مَعْشَرٍ بمصيبتي ... عـيـونٌ فـقـد قَـرَّتْ بذاك عُـيـونُ

[٢٤]

قال حيَّان : حدثني يوسف بن هارون الشاعر عن بعض شيوخه قال :

لما قال الغزال كلمته ، التى عرَّض فيها بالفقهاء ، التى منها البيت المشهور فى الناس وهو :

{ الخفيف }

لَسْتَ تلقى الفقيه إلا غنيًا ... لَيْتَ شِعْرِي من أَيْنَ يستغنونَا؟!

طارت فى الناس ، وحركت من الفقهاء .

ويلي بيتَهُ ذلك ، فى ذِكر الفقهاء ، قوله :

{ الخفيف }

نقطعُ البرَّ والبحارَ طِلابَ الرِّ ... زْقِ والقومُ هاهنا قاعدونَا

لا يريمونَ مَوْطِنًا لا ولا تُبْـ ... صِرُهُمْ عَيْنُ ناظرٍ يغْجَزُونَا

إنَّ للقومِ مَضْرِبًا غابَ عنَّا ... لم يُصِبْ قصدَ وجهِهِ الراكبونَا

[٢٥]

وقال فى أرجوزة له معرِّضًا بالفقهاء :

{ الرجز }

جاء بجسم الفيلِ في العيونِ ... حتى إذا سارَ إلى سحنونِ

فجاء بالتَّوْراةِ والإنجيلِ ... كأنما سارَ إلى جِبْرِيلِ

[٢٦]

وقال في ذِكر سِنِّه :

{ السَّريع }

مَهْلاً فَلَيْسَ العذلُ من شاني ... لستُ عَنِ اللذَّاتِ بالواني

مَضَتْ ثلاثونَ إلى مِثْلِها ... لي وثلاثونَ وثِنْتانِ

والثُّلْثُ منها في سبيلِ الصِّبا ... وفي المعاصِي ثُلْثُها الثاني

والثُّلْثُ الثالثُ في غَمْرةٍ ... قلَّ بها بِرِّي وإيماني

فانْقَرَضَ العُمْرُ وما في يَدِي ... من كلِّ هذا غَيْرُ خُسْرانِ

وكلُّ شيءٍ غَيْرَ ما كان للَّـ ... ـهِ منَ الدُّنْيَا لِبُطلانِ

لي جَسَدٌ بالٍ ولكنَّما ... رُكِّبَ فيه رُوحُ شَيْطَانِ

ذُو أَمَلٍ غَضٍّ جديدٍ كما ... أَعْرِفُهُ أَوَّلَ أَزْماني

كأنَّ إيقَانيَ فيما مضى ... باللهِ رَبِّي غَيْرُ إيقانِ

يامُعْجَبًا بالمالِ أَضْحَى بِهِ ... في الناسِ ذا زَهْوٍ وطُغْيانِ

هيــهــاتَ إنَّ المــالَ يَفْنَى وَمَنْ ... يَجْــمَــعُــه عَنْ قَـدَرٍ فــانِي
قُلْ أَيُّهـا البـاني : أمـا تَرْعَـوي ... وأنْتَ في سـجْنِ الرَّدَى عـانِي؟
هل لَكَ في خُـبْرٍ بمـا أَفْنَت الْـ ... أيَّـام من مُلْك سُلَيْــمـان
لو عَلِمَ البــانونَ مــا أتْعَـبُوا ... أَنْفُــسَــهُـمْ يَوْمًا بِبُنْيـان
وقــد رَأَوْا مــا فَـعَلَ الدهر بالـ ... ـبُنيـان والمــسْكَنِ والْبَــانِي
كلُّ امْـرئٍ يسـعى إلى شـأنه ... ومــا أرَى البنيــانَ من شــانِي
عَـجِبْتُ من صِـحَّـةِ أبْصـارِنـا ... والْخَـبْطُ مِنَّا خَـبْطُ عُـمْـيانِ

قافية الهاء

[٢٧]

وقال يخاطب حسَّاده ومغتابيه عند الأمير عندما كلِّف بالسفارة إلى بلاد الروم :

{ الخفيف }

قــال قــومٌ إن الغـــزالَ نبــيــهٌ ... وأشاروا –وما استـشيروا– إليـه
لم يكُنْ ذا لذاك بل وجـــدوني ... أيسـر العــالمـين فـقـدًا عليـه
ابْنَ سبعينَ قد نَضَتْ حِقَبُ الأيَّـ ... ـام ثوب الشبـاب عن منكبـيـه
أغـــفلوني عند الرَّخــاء فلمــا ... نزل الكرهُ قـــدّمــوني إليـــه
سوف أمضي ومن تعمد ضري ... فـصــروف الزمــان بين يديه
ولئن أن يكــون في قـــدَرِ اللّـ ... ـه إيابي فــالأمــر ليس إليـــه

[٢٨]

ومن جيّد مديح الغَزَّال للأمير عبد الرحمن قوله في قصيدة طويلة فيها :

{البسيط}

إن القـصـائدَ لم يجزئك مُجْريها ... إلا وقـد عُـقِـدَتْ منها نَوَاصِـيـهَا
وسـرِّحـوهنَّ مـمـدودًا أعنَّتُـهـا ... تبـارزُ الريحَ كلُّ القـوم يرجـوهَا
بكريَّةَ النَّجْـرِ لا ممَّـا يلفِّقُـه الـ ... ـملفـقـون طريفـات معـانيـهَا
فـيـهـا نتـائجُ لم آخـذْ برائعـهـا ... من شِعْرِ آخرَ قبلي قد كفانيهَا
لم أُجْرِ فيها من الأعرابِ وصفهمُ ... تلك المـهـامـهَ مُغْبَرًا فيافـيـهَا
ولا بكـيتُ علـى أطلالِ منـزلة ... قـفـر تُواردُ فـيـهـا العينُ صَبِّيـهَا
ولا رمــيتُ بطَرفي إثرَها جَــزَعًا ... قد شفَّ نفسِيَ في زعمي تصابيهَا
أبو المطرف بادي كُلِّ مكرُمـــة ... نعـدهـا لكريمٍ أو نسـمِّـيـهَـا

لكن قصدتُ إلى مدح امرئ قصُرَتْ عنه الصفاتُ فلم تبلُغْهُ تشبيهَا
قَرْمٌ إذا رُفعَتْ عنه الستورُ لنا لاحتْ له سُنَّة يُغشى تلاليهَا
كالشمس ترجعُ عنها العينُ حاسرةً يكاد ما جشمت من ذاك يغشيهَا
وما تكلفَ منه الفكرُ منزلةً إلا تحيَّر في أدنى الذي فيهَا
هو الهمامُ الذي ما مثلُه بشرٌ من نسل آدم ماضيها وباقيهَا
يا خير من حملته الأرض مُذْ سطحَتْ حاشا الذين أحاشى من نَبيِّيهَا
هذى منابرُ أرض الشرقِ قد جَنَحَتْ شوقًا إليك وهزتها خوافيهَا
شُزْرُ العيونِ إلى رُكابها أُنُفٌ لحظ الفوارك ما تخفي تقاليهَا

والله المستعان .

المصاحف المملوكية
بدار الكتب المصرية

د. أيمن فؤاد سيد*

يُمَثِّلُ العَصْرُ المملوكي مَرْحَلَةً مهمة في مجال الكتابة الزُّخْرفية الإسلامية عُمُومًا، التي تَظْهَرُ بوضُوح على واجهات المَدارس والخَوانِق والقُصُور المملوكية المنتشرة بمصر والشام، وكذلك في تَطَوُّر كتابة المُصْحَف الشَّريف، أدَّت إلى بداية مَرْحَلة جَديدَة في كتابة المُصْحَف ظَهرت معها سلسلة من المصاحف الضخْمة التي تَتَمَيَّز بجحمها الضَّخْم، وشَكْلها المُتفرِّد وفخامتها، وربما تأثَّر المماليك في ذلك بالمصاحف الضَّخمة التي أمَرَ بكتابتها في شرق العالم الإسلامي السلاطين الإيلخانيون المُتفَرِّد اعتبارًا من عَهْد السُّلْطان غازان خان (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م)، الذي أصبح الإسلام في عَهْده الدين الرَّسمي للدَّولة الإيلخانية. وتزامن ذلك مع وجود الأساتذة السِّتَّة، تلاميذ - قبلة الخطاطين - ياقوت المُسْتَعْصمي، والتي وَصَلَ إلينا العديد من المصاحف والرَّبعات التي تحمل أسماءهم.

ووقف أغلب سلاطين المماليك وكبارُ أمرائهم، على المدارس والخوانق والتُّرب التي أنشأوها في القاهرة وظواهرها - مَصَاحف ضخمة كَتَبها وزَمَّكَها وذَهَّبها كبار الخَطَّاطين والمُزمِّكين المعروفين في هذا العصر، أمثال: شَرَف الدين محمد بن شريف الذَّرْعي، المعروف بابن الوحيد الكاتب، المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣٦١م، والذي كتب «مُصْحَف السُّلْطان بيبرس الجاشَنْكير» المحفوظ الآن بالمكتبة البريطانية بلندن، وزَين الدِّين عبدالرَّحمن بن يُوسف بن الصَّائغ القاهري، المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، الذي كتب سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م مصحف «السلطان الناصر فرج بن برقوق» المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١١ مصاحف، وهو الذي كَتَبَ - أيضًا - في سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م مصحف «السُّلْطان المُؤَيَّد شَيْخ» المحفوظ بدار الكتب برقم ١٦ مصاحف.

وشهدت فترة حُكْم النَّاصر محمد بن قلاوون إنجاز العديد من المصاحف الضَّخْمَة، سواء التي أمر بكتابتها هو مثل: «المُصحف الموقوف على مسجد القَلْعة» في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، والمحفوظ الآن في دار الكتب المصرية برقم ٤ مصاحف، أو المصاحف التي أمر بكتابتها أبناؤه، مثل: السُّلْطان النَّاصر حسن رقم ٨ مصاحف، والسلطان الأشْرَف شَعْبان أرقام ٧، ٩، ١٠ مصاحف، وكذلك الأمير صَرْغَتمُش رقم ١٥ مصاحف، وأم السُّلْطان شَعْبان رقم ٦ مصاحف، إضافة إلى مصحف السُّلْطان أُلجايتو الذي وَقَفَه الأمير بُكْتَمُر

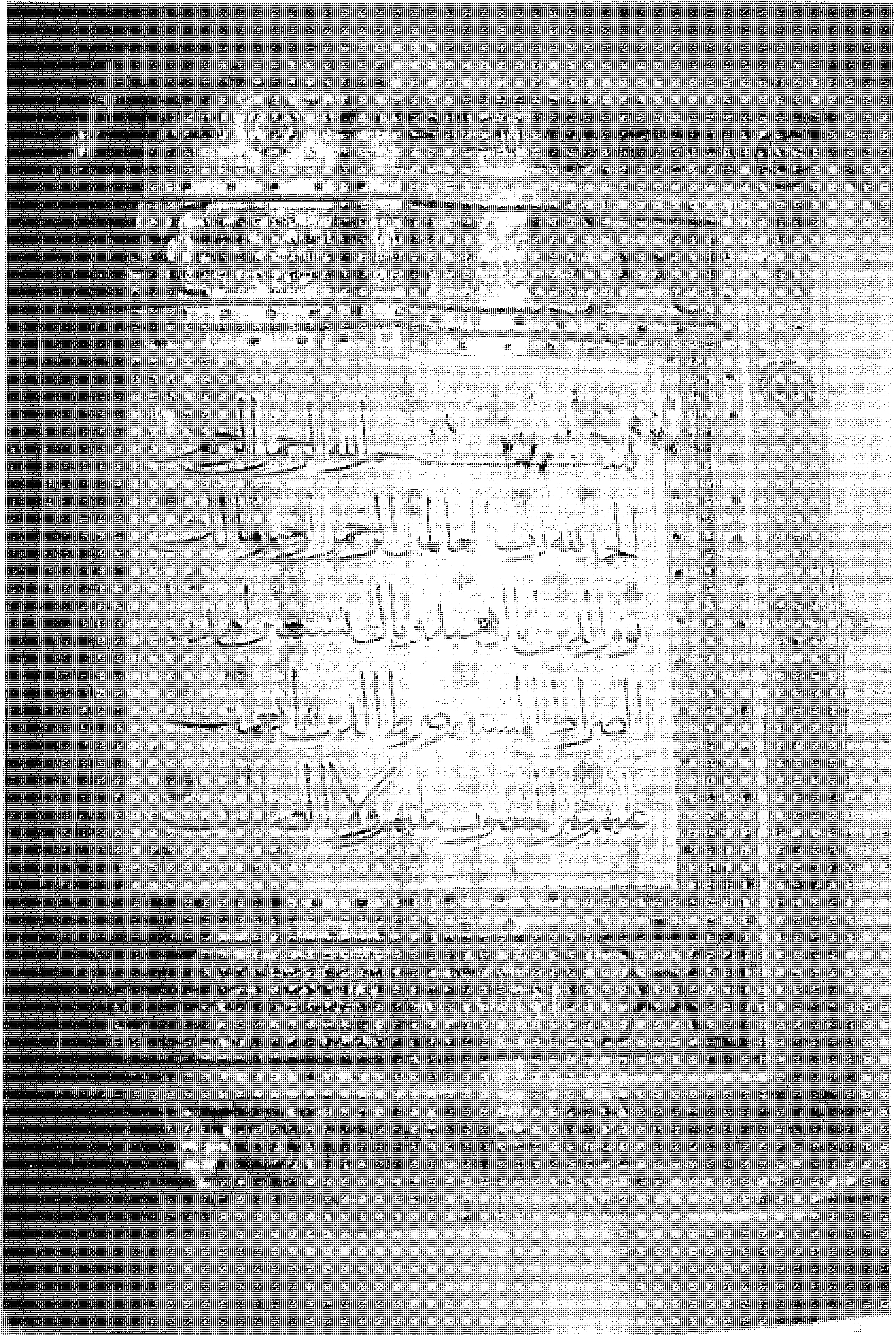
* خبير مخطوطات.

السَّاقى على تربته فى سفح المقطَّم سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ، والمحفوظة الآن بدار الكتب المصرية برقم ٧٢ مصاحف .

وكُتبت هذه المصاحف بالخَط الثُلُث ، والخَط الرِّيحانى ، والخَطّ المُحقَّق ، وتتميز كُلُّها بِتَذْهِيبها الكامل ، والزَّخْرَفة الكاملة لفاتحة الكتاب وخاتمته ، وكذلك نَماذج الأرابيسك الموجودة فى أوَّل المُصْحَف قبل فاتحة الكتاب Frontispice .

ولا توجد المَصَاحف المملوكية الآن فى دار الكتب المصرية فقط ، بل تُوجد كذلك فى مكتبات : شيستربتى بدبلن بإيرلندا ، والمتحف البريطانى بلندن ، والمكتبة الوطنية بباريس ، ومتحف طوبقبوسراى ، ومتحف الأوقاف بإستانبول ، حيث خرجت من مصر فى فترات مختلفة قبل إنشاء الكُتُبْخَانَة الخديوية سنة ١٨٧٠م ، وجَمع المصاحف والمخطوطات الموجودة فى المدارس والمساجد والزَّوايا .

* * *

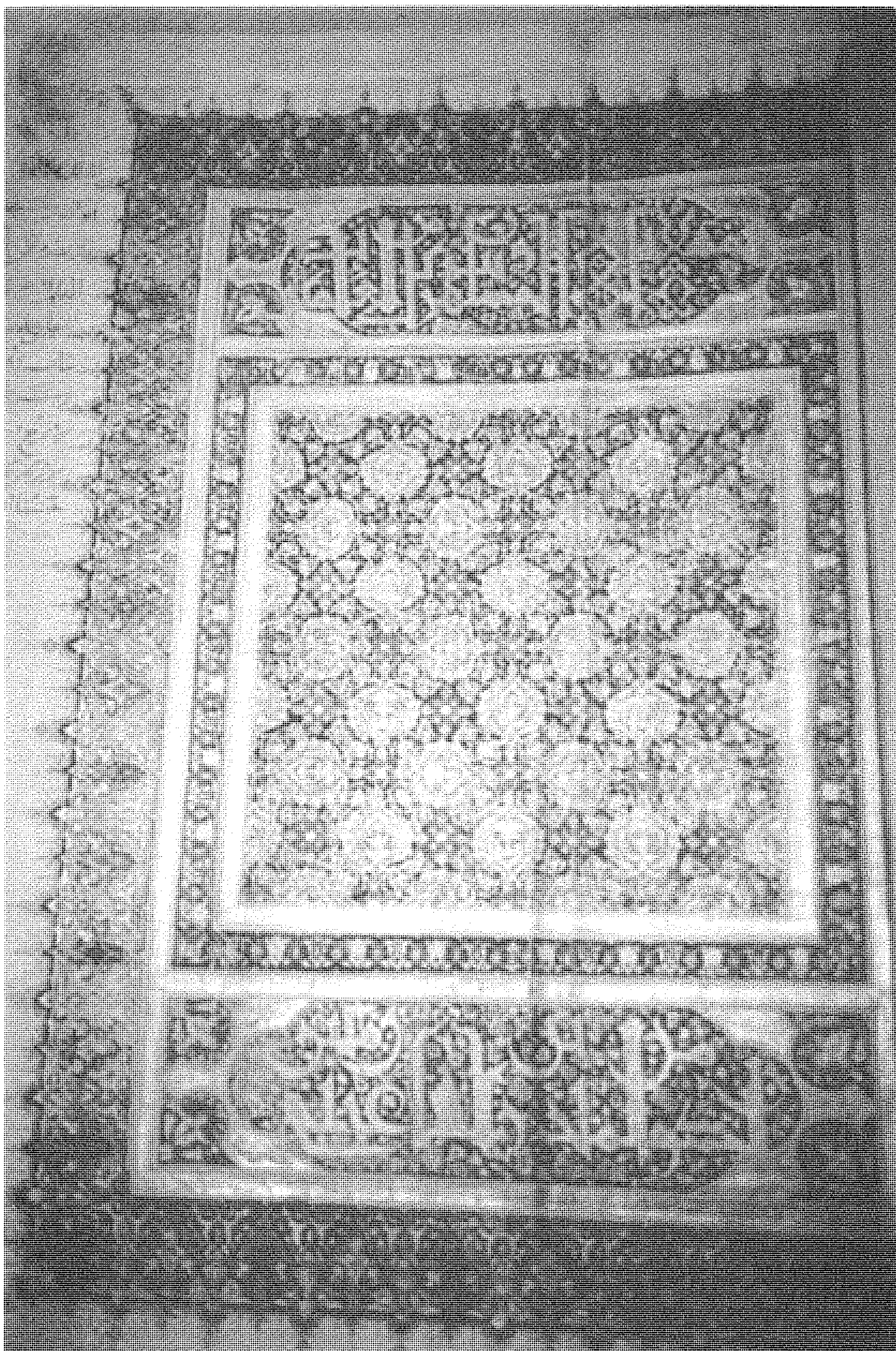


١٩ مصاحف (السلطان قايتباى)

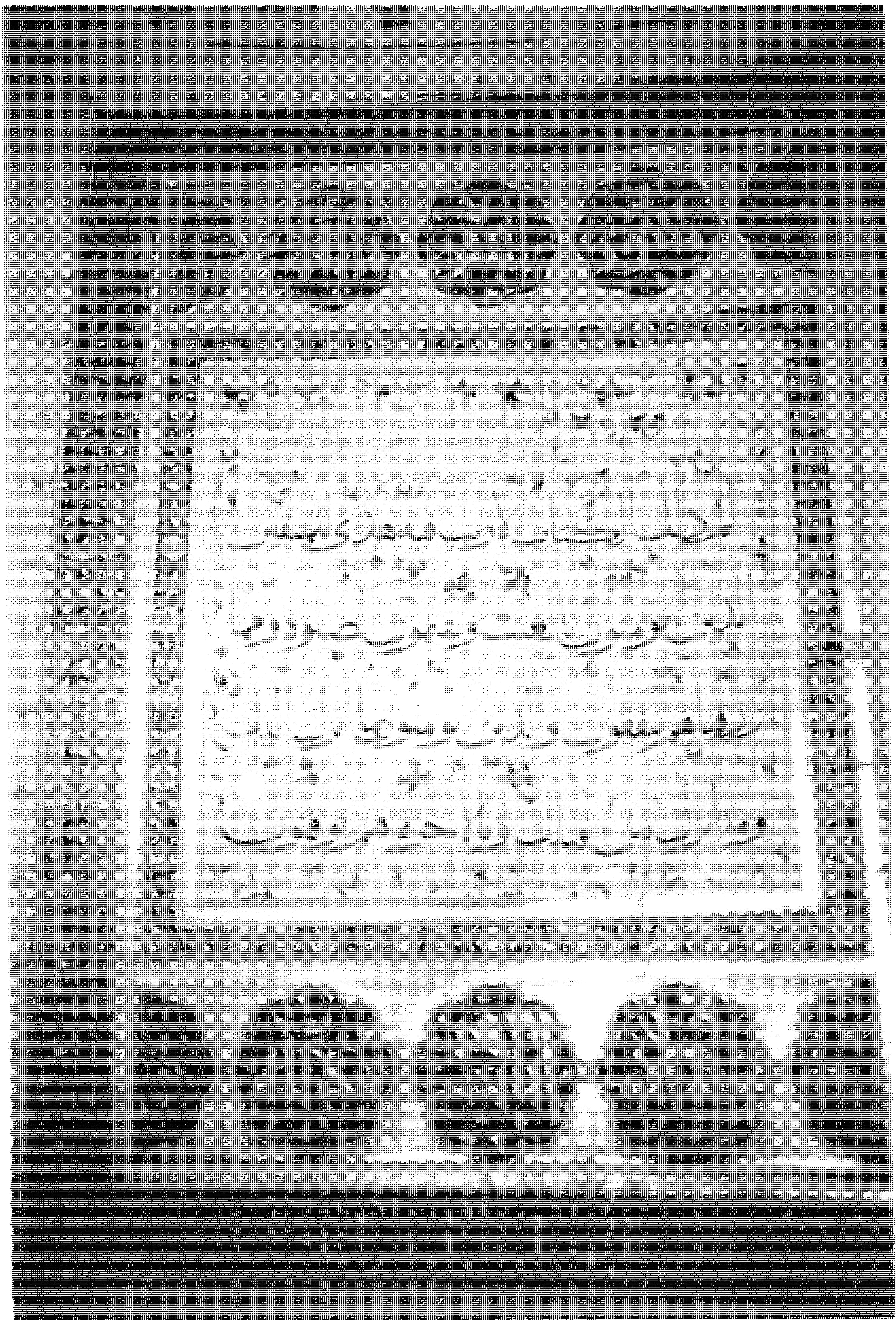
(فاتحة الكتاب)

٧٢ مصاحف (ربعة ألجايتو)

(الصفحة الأولى فاتحة الكتاب Frontispiece ، وبأسفلها نص الوقفية)

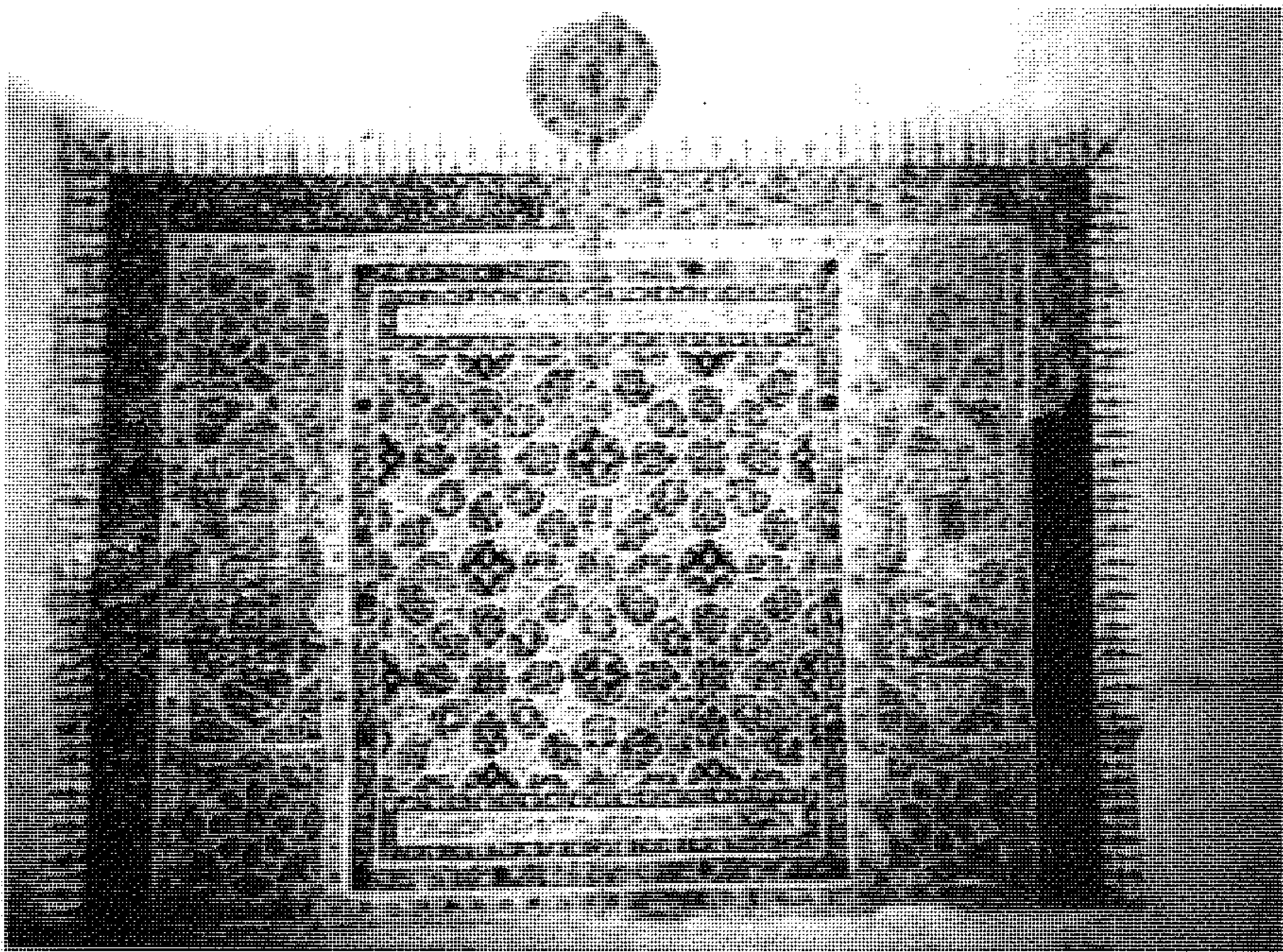


١٧ مصاحف (أبو النصر شيخ)

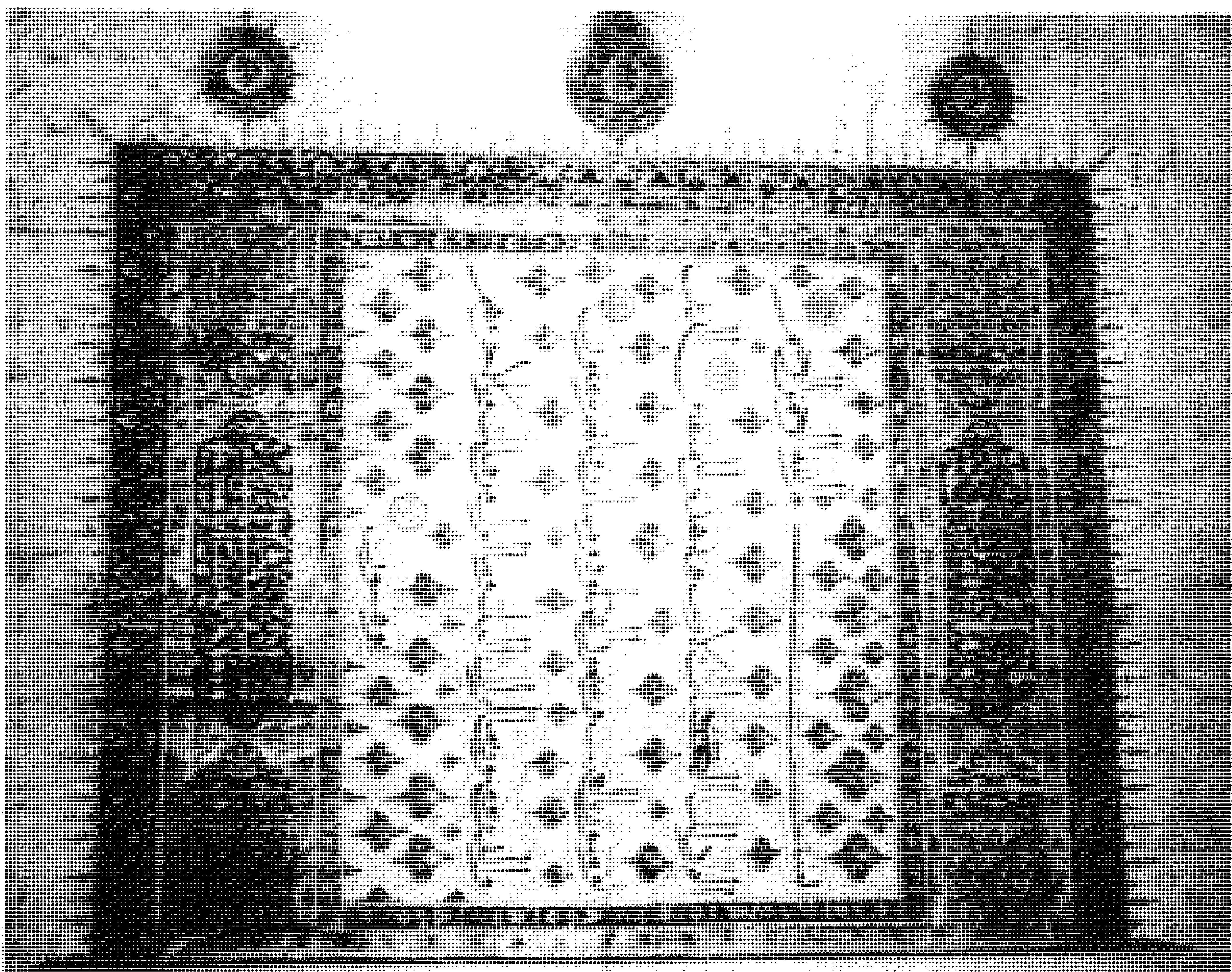


١٧ مصاحف (السلطان أبو النصر شيخ)

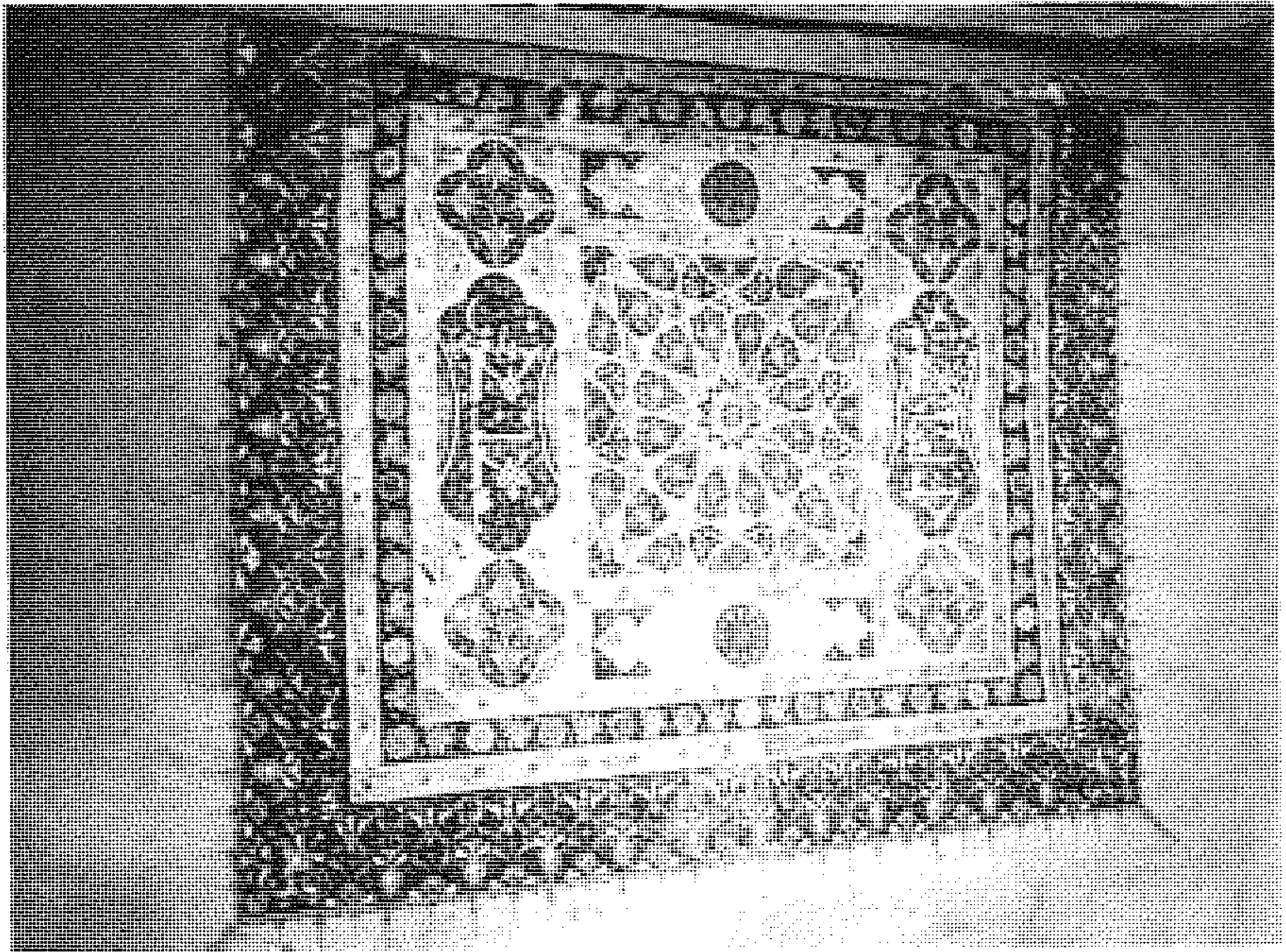
(أوائل سورة البقرة)



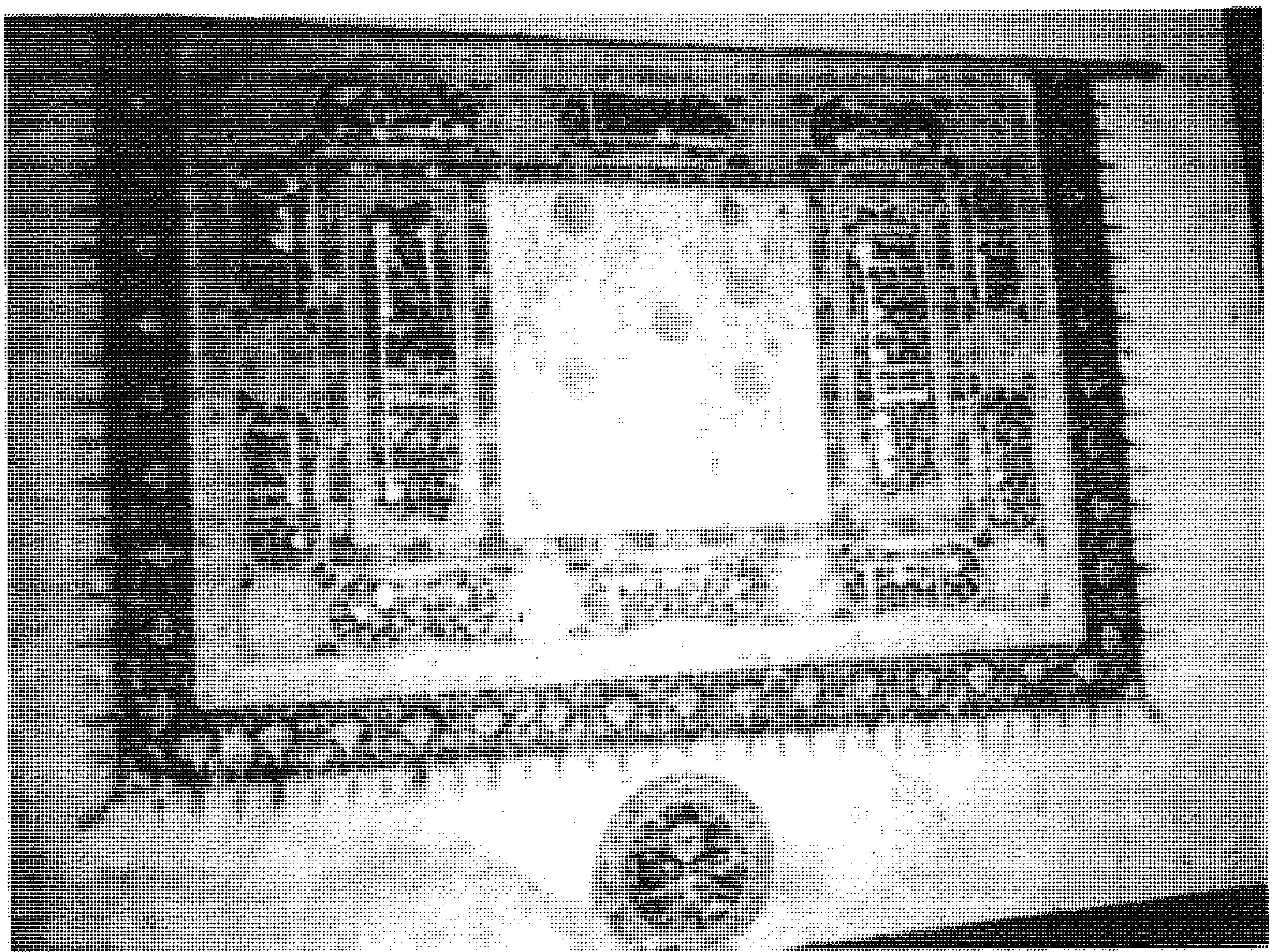
١١ مصاحف (السلطان برقوق)



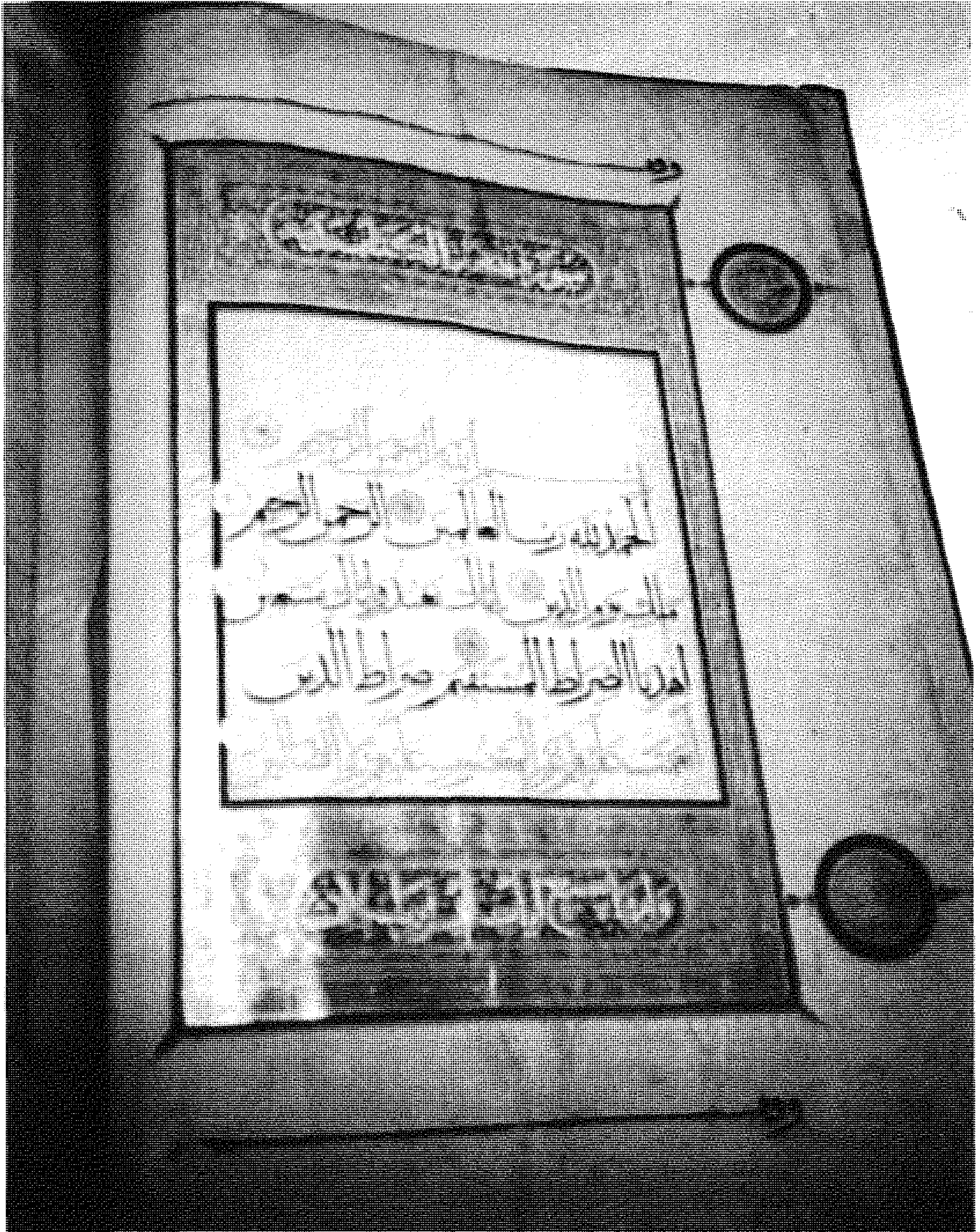
١١ مصاحف (السلطان برقوق)



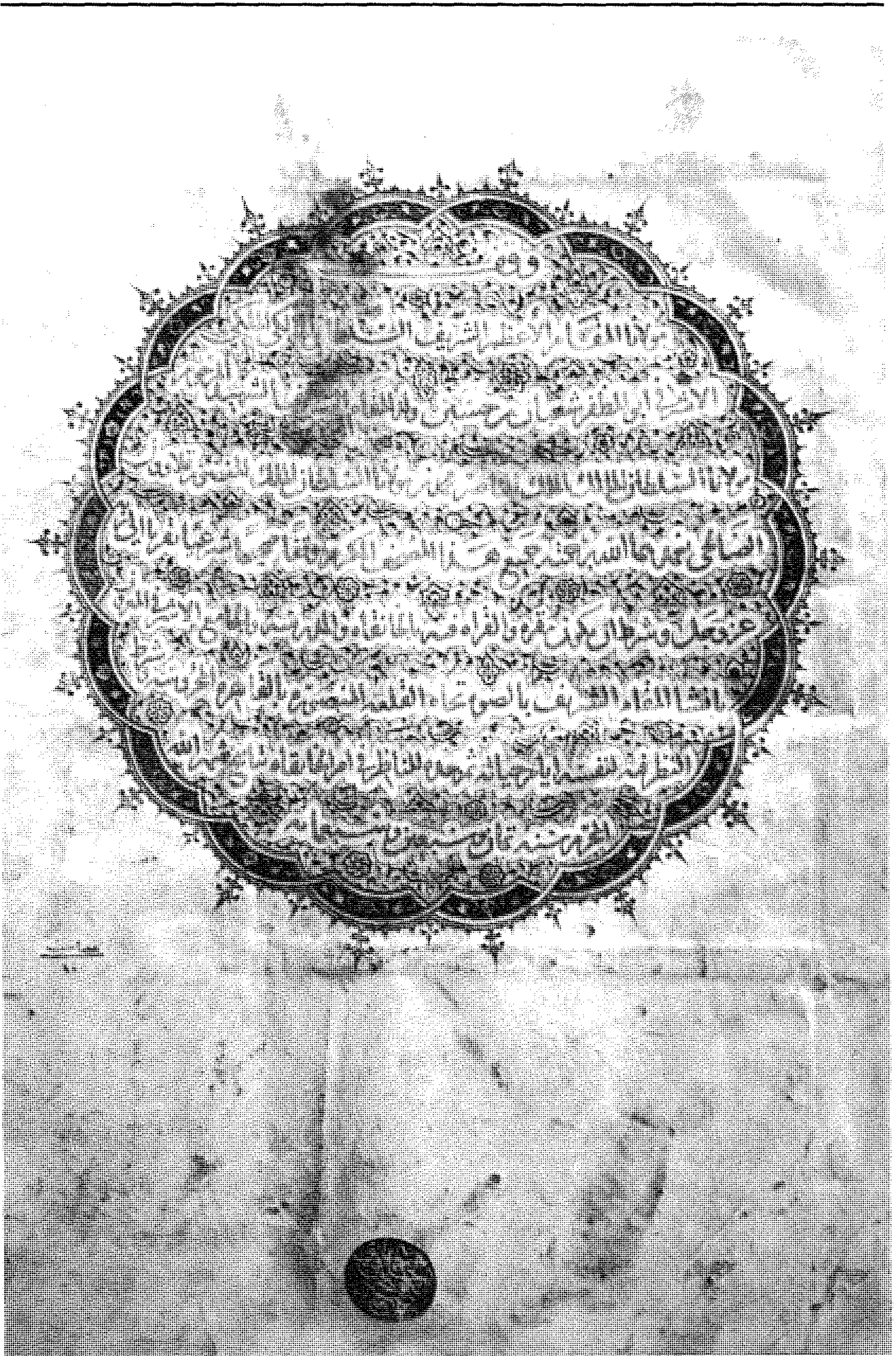
١٦ مصاحف (السلطان برقوق)



١٢ مصاحف (السلطان برقوق)



٨ مصاحف (السلطان شعبان)



١٠ مصاحف (السلطان شعبان)

(نص الوقفية)

مؤسسات تراثية

مؤسسات تراثية:

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
المؤسس والمؤسسة

أ. د. عبد الستار الحلوجى*

كثيرون فى الوطن العربى أنعم الله عليهم بثراء عريض، وقليلون منهم جعلوا من هذا الثراء نصيبًا لأعمال الخير، وأقلّ منهم مَنْ وجَّهوا بعض أموالهم لمشروعات ثقافية تثرى عقل الأمة ووجدانها، أو تتتبع تراثها فى مشارق الأرض ومغاربها؛ ترصده وتعرِّف به، أو تجمعه وتحافظ عليه، وتيسر للباحثين سبل الحصول عليه والإفادة منه.

والذين يوجِّهون حظًّا من أموالهم لأعمال الخير والبرّ، أو لنشر العلم والوعى الدينى وإتاحتهما لغير القادرين، أو لجمع تراث الأمة والحفاظ عليه والتعريف به باعتباره زادها المعرفى ومرجعيتها الثقافية، وعنصرًا من أهم العناصر التى تصوغ فكرها، وتشكِّل وجدانها وتجمع شعوبها على كلمةٍ سواء، الذين يفعلون ذلك لايعلنون عن أنفسهم؛ لأنهم لو كانوا من هواة الإعلام لسلكوا سبلاً أخرى تتيح لهم أن يكونوا ملء السمع والبصر، ولكنهم يعملون فى صمت ووقار، لايعنيهم أن يطلع الناس على أعمالهم، أو أن تتحدث عنها وتمجّدها أبواق الإعلام وما أكثرها وما أشدّ تأثيرها فى هذه الأيام؛ لأنهم يعرفون أن الله الذى قصدوه بهذه الأعمال مطلع عليهم، وهذا حسبهم.

وإذا كانت وسائل الإعلام المسموع والمرئى - بفعلها الساحر - قادرة على أن تجعل من الأقزام عمالقة، ومن العبيد سادة، فينبغى ألا نترك الحقائق والقيم تضيع وسط الجلبة الإعلامية الطاغية، وينبغى أن ينطلق صوت الحق مهما يكن خافتاً؛ ليذكِّر الناس بالمثُل العليا والقيم النبيلة، ويعرفهم بالنماذج المشرِّفة من أبناء الأمة؛ ليتمثلوا بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وليعلموا أن الدنيا مازالت بخير، وأنه فى وسط الظلام الحالك يبزغ قبس من النور هنا أو هناك، فتهتدى به خطى الحائرين.

تلك مقدمة أراها ضرورية بين يدى الحديث عن مؤسسة خيرية أنشأها صاحبها فى دبى؛ لنشر العلم والثقافة بين أبناء وطنه، ثم اتسع نشاطها ليشمل أبناء الأمة الإسلامية كلها.

---

* أستاذ المكتبات بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

أما المؤسس فهو رجل الأعمال الفذّ السيد جمعة الماجد ، الذى ولد فى عام ١٩٣٠ بمنطقة الشندغة من أعمال مدينة دبى ، وتلقى تعليمه الأولى فى الكتاتيب ، ثم اتجه إلى التجارة ، فوفق فيها توفيقا شديدًا ، وأسهم بدور بارز فى دفع مسيرة التنمية الاقتصادية فى وطنه من خلال تأسيسه عدة شركات ناجحة ، ومساهمته فى إنشاء البنوك الوطنية ، ورئاسته لمجلس الشئون الاقتصادية فى دبى .

ورغم أن رحلته كرجل أعمال شريف ناجح تحتاج إلى تسجيل وتقدير معًا ، إلا أن الذى يعنينا هنا هو دوره البارز ، وأكاد أقول : المتفرد فى مجال العلم والثقافة وخدمة التراث العربى والإسلامى . فكثير من رجال الأعمال شرفاء وناجحون ، ولكنهم فى الغالب الأعم يستثمرون نجاحاتهم فى توسيع نطاق أعمالهم ، وزيادة حجم ثرواتهم . وذلك حقهم الذى لاينكره عليهم أحد .

أما صاحبنا فقد كان قلبه متعلقًا بالعلم ، وكان فكره مشغولا بالثقافة ، وكانت عينه على الطبقات المعسرة من المجتمع ، وكانت متعته فى مساعدة تلك الطبقات وتقديم ما يعينها على مواجهة أعباء الحياة ، وإتاحة فرص التعليم لأبنائها ؛ حتى لايكون ضيق ذات اليد سببًا فى حرمانهم من التعليم ، فنراه منذ صدر شبابه يشارك فى تأسيس أول جمعية خيرية لمساعدة المحتاجين ، ويسعى مع زملاء له فى إنشاء أول مدرستين ثانويتين فى دبي ؛ إحداهما للبنين والأخرى للبنات . وعندما حالت الظروف الاقتصادية والاجتماعية دون قبول أبناء الوافدين من الدول العربية والإسلامية فى المدارس الرسمية بدبى ـ أنشأ فى عام ١٩٨٣ مدارس أهلية مجانية وشبه مجانية لتعليم غير القادرين . وإدراكًا منه لأهمية دور المرأة فى المجتمع ، وحرصًا منه على إتاحة فرص التعليم للبنات فى وطنه ، وانطلاقًا من شعوره بصعوبة وصول الفتيات من مختلف مناطق دولة الإمارات إلى الجامعة الحكومية فى مدينة «العين» ، وتعذر سفرهن إلى الخارج لتلقى العلم ، أنشأ فى عام ١٩٨٧ كلية للدراسات العربية والإسلامية يدرس بها الطالبات فى الفترة الصباحية ، ويلتحق بها الطلاب فى الفترة المسائية ، ووفر لها كافة الوسائل لنقل الطالبات من ديارهن مهما تباعدت . وفى عام ١٩٩٠ أسيس «جمعية بيت الخير» لتقديم المساعدات المالية والعينية للمحتاجين والفقراء من الطلاب ، والمتضررين من الكوارث والنكبات . وبعد ذلك بعام واحد أنشأ مكتبة للعلوم الإسلامية والعربية ، تطورت فيما بعد لتصبح «مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» .

وتقديرًا لهذه الجهود الخيِّرة استحق الرجل عددا من الجوائز المحلية والعالمية التى

نالها بجدارة ، نذكر منها جائزة سلطان العويس عام ١٩٩٢ ، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٩ .

تلك نبذة سريعة عن المؤسس العظيم الذى لايحب الثناء ولاينتظره من أحد من البشر ، وإنما ينتظر الجزاء من خالق البشر الذى يعلم خائنه الأعين وماتخفى الصدور ، والذى لايضيع أجر المحسنين . أما المؤسسة بأجنحتها الأربعة (المركز والمدارس والكلية وبيت الخير) فتحتاج إلى وقفة متأنية .

فالبدايات الأولى للمركز ترجع إلى عام ١٩٨٨ ، عندما شرع مؤسسه فى اقتناء مصادر المعلومات وحفظها وفهرستها وتصنيفها ؛ تمهيدًا لإتاحتها للباحثين . وبعد ذلك بأربع سنوات بدأ المركز فى عام ١٩٩٢ فى تقديم خدماته للباحثين وطلاب الجامعات .

وتتلخص رسالة المركز فى جمع التراث العربى والإسلامى مطبوعًا ومخطوطًا ، سواء أكانت تلك المخطوطات أصلية أو مصورة ، وفى إجراء البحوث والدراسات التى تخدم الثقافة العربية والإسلامية ، ونشر المؤلفات العلمية ، والتعاون مع الهيئات الثقافية داخل الدولة وخارجها ، وإقامة المعارض ، وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية والدورات التدريبية ، حتى لقد بلغ عدد اتفاقيات التعاون أكثر من ستين اتفاقية ، عقدها المركز مع مؤسسات ومراكز ثقافية عربية فى دبى والقاهرة ودمشق وتونس والرباط والكويت وصنعاء ، ومع دول إسلامية مثل : تركيا وإيران وأوزبكستان وطاجكستان ، ودول غربية وشرقية مثل : المملكة المتحدة وروسيا [١] . وبلغت المطبوعات التى أصدرها أكثر من ستين مطبوعاً مابين كتب مؤلفة ومحققه ودوريات وببليوجرافيات [٢] .

وبالمركز قسم للتراث الوطنى ، مهمته جمع وفهرسة وتكشيف كل ماله علاقة بتراث دولة الإمارات العربية ومنطقة الخليج العربى من كتب ودوريات ووثائق وخرائط ، وحفظها وترجمتها ودراستها وإتاحتها للباحثين . ويركز القسم على الوثائق البريطانية والأمريكية والعثمانية والروسية غير المنشورة ، باعتبارها مصدرًا لكثير من المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية الهامة عن تاريخ دولة الإمارات العربية ومنطقة الخليج بعامة ، وإمارة دبى بصفة خاصة [٣] .

---

(١) مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث : النشأة والمسيرة . دبى ، ٢٠٠٢ ، ص ٤ - ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ - ١٦ . ويصدر المركز دوريتين إحداهما فصلية وهى «آفاق الثقافة والتراث» ، والأخرى «أخبار المركز» وتصدر كل شهرين .

(٣) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثانى ، أبريل ٢٠٠٣ ، ص ٢٤ - ٢٦ .

كما يضم المركز مكتبة بها أكثر من ثلاثمائة وعشرين ألف مادة ؛ مابين كتاب مطبوع ودورية ورسالة جامعية ، فى شتى فروع المعرفة البشرية ، معظمها باللغة العربية ، وبعضها بالإنجليزية أو الفارسية ، وقليل منها بالفرنسية أو الألمانية أو الروسية [1] . ومن بين تلك المقتنيات أكثر من خمسين مكتبة خاصة آلت إليه بطريق الشراء أو الوقف أو الإهداء ، منها ـ على سبيل المثال ـ مكتبات الشيخ سيد صقر ، والشيخ عبد الغنى عبدالخالق ، والدكتور شكرى فيصل [2] . وقد احتفظت تلك المكتبات بشخصيتها الاعتبارية ، وبأسماء أصحابها تكريمًا لهم ، واعترافًا بفضلهم ، وتخليدًا لدورهم فى خدمة الثقافة العربية وإثراء الفكر العربى فى العصر الحديث .

ولعل أهم أقسام المركز قسم المخطوطات الذى يعنى باقتناء المخطوطات وصيانتها وترميمها وتجليدها وفهرستها ، والذى استطاع أن يحصل على عدد كبير من المخطوطات المصورة من أكثر من عشرين مكتبة من مكتبات الشرق والغرب . وهو لايكتفى بتوفير مقتنياته للباحثين ، وإنما يسمح بتصويرها لهم ، بل إنه ينوب عنهم فى مراسلة المكتبات العالمية ؛ للحصول على ما يحتاجونه من مخطوطات مصورة [3] .

وخلال زياراته للمكتبات العالمية ، واطلاعه على أحوال المخطوطات ونوادر المطبوعات العربية بها ، أدرك جمعة الماجد حجم ما أصاب هذا التراث من تلف ودمار ، وفكّر فيما يمكن أن يفعله لصيانة ما بقى منه والحفاظ عليه للأجيال القادمة ، فاستقدم متخصصين فى أعمال الصيانة والتعقيم والترميم ، ووفر لهم إمكانية الاطلاع على جهود الغربيين فى هذا المجال ، وأتاح لهم فرص البحث والابتكار والإبداع ، فتمخضت جهودهم عن تطوير وتصنيع أربعة أجهزة ؛ أولها للتدعيم الحرارى ، ووظيفته تقوية نسيج الورق التالف بإضافة شرائح مصنوعة من ألياف طبيعية وصناعية على وجهى الورقة باستخدام الضغط والحرارة ، وثانيها لتعقيم الكتب والمخطوطات والقضاء على الكائنات الحية الدقيقة الضارة بكافة أشكالها ؛ من حشرات وفطريات وبكتريا ، وثالثها للمعالجات الأولية ، ويقصد بها تخليص الأوراق والرقوق من العوالق الضارة بها كالأتربة ، ومعالجة جفافها ، ورابعها للترميم الآلى ، وهو أهمها جميعا ، وقد بدأ العمل فيه منذ عام ١٩٩٦ ، واعتمدته منظمة

---

(١) منها حوالى ٢٧٥٠٠٠ باللغة العربية ، و ٢٥٠٠٠ بالإنجليزية ، و ١٥٠٠٠ بالفارسية .

(٢) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، يونيو ٢٠٠٣ ، ص ٢١ ـ ٢٢ ؛ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث . . . ، ص٢٠ .

(٣) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الأول ، فبراير ٢٠٠٣ ، ص١٢ .

الإيسيسكو فى عمليات ترميم المخطوطات ، ووضعته ضمن برامجها ووسائلها لحفظ التراث وصيانته ، وذلك بإهدائه للدول التى تحتاج مخطوطاتها إلى صيانة وترميم .

وقد قام المركز مشكورا بإهداء الجهاز وكل مستلزماته من ألياف سليولوزية نقية إلى أكثر من عشرين من المكتبات والمراكز العربية والإسلامية ؛ فى فلسطين واليمن والسودان وسوريا والسعودية والكويت وليبيا والجزائر وإيران وكازاخستان وجيبوتى والنيجر ، ولم يكتف بذلك وإنما قدم معه الخامات اللازمة لتشغيله ، والتدريب اللازم للمتعاملين معه [١] .

فإذا تركنا الجانب الثقافى والتراثى الذى يمثله المركز بمختلف أقسامه ، وانتقلنا إلى الجانب التعليمى المتمثل فى المدارس الأهلية الخيرية ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية التى أنشأها جمعة الماجد ، وجدناه لايقل إشراقا وتألقا عن سابقه . فقد أسس الرجل فى دبي وعجمان مدارس أهلية للبنين والبنات بمختلف مراحل التعليم ، وأنشأ فى الشارقة مدارس للتعليم الأساسى للبنات .

وهذه المدارس تعمل فترتين ؛ إحداهما صباحية والأخرى مسائية ، وتقدم التعليم مجاناً لغير القادرين ، وبأجر رمزى لذوى الدخل المحدود . وقد بلغ عدد من التحق بها من الجنسين فى الإمارات الثلاث قرابة سبعة آلاف ، منهم ٢٧٦٢ من البنين و ٢٤٦٩ من البنات فى دبى ، و ٧١٥ من البنين و ٦٥٨ من البنات فى عجمان ، و ٣٧٢ طالبة فى الشارقة . ومجموع ما خرَّجته تلك المدارس فى الفترة من ١٩٩٠ / ١٩٩١ حتى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ بلغ ١٥٤٥ طالبا و ١٤٢٥ طالبة [٢] .

ولكى تكتمل المنظومة التعليمية التى أسسها ورعاها الماجد ، أنشأ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، وهى كلية خيرية وقفية أنشئت سنة ١٩٨٦ / ١٩٨٧ ؛ لتخريج الدعاة والفقهاء والخطباء والمدرسين وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا ، وقد بدأت بثمانين طالبًا فى العام الأول لإنشائها ، ثم فتح الباب لقبول الطالبات فى العام التالى ، فقُبل منهن ثلاث وثمانون طالبة . وبلغ عدد طلابها فى العام الدراسى الحالى ٩١٠ طالبا و ٢٢٠٦ طالبة .

أما أعضاء هيئة التدريس فقد بدأت الكلية بستة منهم عند افتتاحها ، وظلوا يتزايدون

(١) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، يونيو ٢٠٠٣ ، ص٢٠ .
(٢) المدارس الأهلية الخيرية فى العام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ ، ص ٣ - ٤ .

حتى بلغوا ستين غير المنتدبين .

ومدة الدراسة بالكلية أربع سنوات كانت تسبقها سنة تأهلية ألغيت فى عام ١٩٩٦ ، وكانت الدراسة فيها مقصورة على تخصص واحد هو الدراسات الإسلامية ، ثم أنشئ قسم للدراسات العربية للطالبات فى عام ١٩٩٥ ، وبدأ قبول الطلاب به منذ ثلاث سنوات .

وقد تخرج فى هذه الكلية حتى العام الدراسى الحالى (٢٠٠٣ / ٢٠٠٤) ٥٣٦ طالبا و١٨١٦ طالبة من قسم الدراسات الإسلامية ، و ٦٧٠ طالبة من قسم الدراسات العربية .

وإلى جانب درجة الليسانس (أو الإجازة) التى تمنحها الكلية فى الشريعة الإسلامية (الفقه وأصوله) أو فى اللغة العربية ، أنشئ قسم للدراسات العليا فى تخصص الشريعة الإسلامية للطالبات سنة ١٩٩٥ ، وبدأ بدبلوم فى الفقه الإسلامى مدته سنتان ، يليه إعداد رسالة ماجستير فى مدة لاتقل عن سنة ولاتزيد على ثلاث سنوات . ومنذ عام ١٩٩٩ حتى الآن حصلت اثنتا عشرة طالبة على درجة الماجستير . وفى العام الماضى (٢٠٠٢ / ٢٠٠٣) بدأت الكلية برنامج الماجستير فى اللغة العربية للطالبات ـ أيضًا ـ بسنة تمهيدية فى مجالين ؛ هما : الأدب والنقد ، أو اللغة والنحو[1] .

وهكذا نرى أن تلك الكلية قد أتاحت للمرأة فى دبى والخليج العربى فرصة التعليم العالى والدراسات العليا ، بعد أن كانت محرومة منها لأسباب اجتماعية أحيانًا ، واقتصادية أحيانا أخرى .

وإذا كان المركز والمدارس والكلية بمثابة أجنحة ثلاثة لمؤسسة الماجد ، تمثل وجهها الثقافى والتربوى ، فقد كان لها جناح رابع يمثل وجهها الإنسانى فى أجلى صوره وأرفع درجاته ، ونعنى به جمعية «بيت الخير» التى أسسها الماجد فى عام ١٩٩٠ ؛ ليتوَّج بها جهوده الخيِّرة ، وليثبت أن له من اسمه نصيبا ، ونصيبا كبيرا .

(١) كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبى : النشأة والتكوين والأهداف والتطور ، ص ١ ـ ٢ .

شخصيات تراثية

شخصيات تراثية :

محمد فؤاد عبد الباقي

أ. مصطفى موسى(*)

شغلت تراجم الرجال فى تراثنا العربى مكانًا ظاهرًا استوقف الأنظار ، واستحوذ على الألباب . وكان الدافع الدينى وراء هذه العناية بتراجم الرجال ، فقد اهتم المسلمون ـ منذ البدء ـ بحياة النبى ﷺ ، بصفته أعظم شخصية عرفتها بيئة العرب ، وأثناء جمع أحاديثه الشريفة أدركوا أن كثيرًا منها يتعلق بحياته وغزواته ﷺ .

ثم أيقنوا أن (أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب) لهما نصيب مؤثر وفعّال فى منظومة دولة الإسلام الفتية ، بالإضافة إلى آخرين من صحابته ﷺ ، لم يزل تأثيرهم حيًا بيننا يملأ الأسماع والأبصار ، الأمر الذى أدى إلى الاتجاه نحو تدوين سير العظماء ، وأعظمهم ـ بالطبع ـ رسول الله ﷺ .

وتخبرنا أسفار التاريخ أن أول من ألّف فى سيرة النبى ﷺ :

«عروة بن الزبير بن العوام» (٢٣ ـ ٩٤ هـ) ، و«أبان بن عثمان بن عفان» (٢٢ ـ ١٠٥هـ) .

ثم ظهر الاهتمام بسير أعلام الصحابة . وقد ألجأهم البحث عن الصحيح من الأحاديث إلى نقد هؤلاء الصحابة ، وتعديلهم وتجريحهم ، فتجمعت مجموعات من تراجم الرجال وسيرهم ، حتى أصبح ذلك منهجًا سار عليه المؤلفون فيما بعد ، واتسعت الدائرة لتشمل أعلام الأدب ، واللغة ، والفقه ، وغيرها من العلوم .

واستكمالاً لمسيرة العظماء نقف فى هذه الدراسة عند واحدٍ من عظماء عصرنا الحديث ، أسهم فى إنارة دروب البحث ، وتذليل ما يعترض الدارسين من مشقة وعناء ، فاستمر حيًا ينعم بالرحمات كلما تصفحت الأفهام صفحات صنعته الدقيقة لفهارس الكتاب الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، فانهمرت رحمات السماء عليه كلما هبت نسائم الفتح على الباحثين الذين أخلصوا وبذلوا موفور العطاء من أجل خير العباد .

ولد «محمد فؤاد عبد الباقى» فى شهر مارس عام ١٨٨٢م الموافق ١٢٩٩هـ ، حيث كانت أسرته ـ آنذاك ـ تقطن بلدة « ميت حلفا» ، من أعمال القليوبية بمصر .

(*) باحث أول بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

وكان أبوه من بلدة «قمن العروس» من أعمال الواسطى ، بمحافظة بنى سويف بالصعيد الأوسط . أما الأم فمن بلدة «برنبال» التابعة لمركز دكرنس ، من أعمال الدقهلية ، وهى بلدة « على باشا مبارك» وزير المعارف ، ومُنشئ دار الكتب المصرية ، ومدرسة دار العلوم .

وكان « محمد فؤاد» الابن البكر لأبويه ، وقد تحولت أسرته عن «ميت حلفا» مسقط رأسه ، وأخذت تضرب فى الأرض حتى استقرت فى الأحياء الشعبية القاهرية ، فعاشت فى : الماوردى ، والبغالة ، وشبرا ، وهى أحياء تمثل المجتمع المصرى بكل أصالته ، وتقاليده ، وجذوره العريقة .

ولم ينتظم «محمد فؤاد عبد الباقى» فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يتلقى دراسات حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ؛ فى بواكير طفولته سافرت أسرته إلى السودان ، حيث كان والده« عبد الباقى (بك) صالح» وكيلاً للإدارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الأسرة فى (وادى حلفا) ، ثم حدثت معركة (ود النجوم) ـ و(ود النجوم) اسم القائد السودانى الذى كان يحارب مصر فى هذه المعركة ، وقد قتل فيها ــ فانتقلت الأسرة إلى(أسوان) ، وبقيت هناك سنة ونصفًا ، وفى هذه الأثناء التحق الابن «محمد» بمدرسة أسوان الابتدائية ، ثم عادت الأسرة إلى القاهرة ، فالتحق «محمد» بمدرسة عباس الابتدائية ، وعندما بلغ امتحان الابتدائية عام ١٨٩٤م ، رسب القسم الفرنسى بأجمعه بالمدرسة ، فتركها والتحق بالمدرسة الأمريكية American Mission فى حى الأزبكية ، حيث استمر بها لمدة عامين ، ثم تركها .

وفى سنة ١٨٩٩م أنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعلم ، فاتجه إلى العمل ، حيث عمل مدرسًا للغة العربية بمدرسة (المساعى المشكورة) ، فى مركز «تلا» من أعمال المنوفية ، ثم تركها ليعمل ناظرًا لمدرسة (الجمعية الخيرية الإسلامية) ، بالمحلة الكبرى فى الوجه البحرى ، ولكنه تركها ـ أيضًا ـ بعد عامين ونصف العام ؛ إذ كانت طبيعته تأبى القيود ![1] .

وقد تعترى القارىء بعض الدهشة من سيرة الرجل العلمية ؛ فبعد أن كان ناظرًا اشتغل مدرسًا لمادة الرياضة ، ثم ما لبث أن ضاق بالرياضة بعد عام من اشتغاله بها ؛ ليختار العمل مع صديقيه الأديب «صادق عنبر» ، و«عبد الله أمين» اللغوى الضليع ، فى المدرسة التحضيرية الكبرى بـ (درب الجماميز) . ومن الطريف أن ناظر المدرسة قد اشترط لقبولهم

---

(١) من ترجمة حياة المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ، للأستاذ/ بدوى طه علام ، السكرتير الخاص . غير منشور .

فى المدرسة أن يقوموا بإنشاء القصائد والخطب ؛ ليقدمها باسمه إلى الخديوى والسلطان عبد الحميد !!

وفى مقامنا هذا يطيب لنا أن نذكر بعضًا من طرائف حياة هذا العملاق الشامخ ، الذى كان هائمًا بحب الخلافة التى كانت قائمة حينئذٍ ، وبالتمدح فى شخص الخليفة الذى يراه رمزًا لدولة الإسلام وأمة المسلمين .

ففى عام ١٩٠٥م ألقى قصيدة فى جمعية النشأة الحديثة التى كانت فى درب الجماميز بالقاهرة ، موطن عمله بالمدرسة التحضيرية آنذاك ، استهلها بقوله :

صحا القلب من ذكرى حبيب ومنزل
وبات على وعد من السعد مقبل
فلم يتطربنى غزال مريّب
ولم يُشجنى قدّ ولا طرف أكحل
فقِدْمًا تولّى القلب وانفكّ هازئا
بما بُثّ فيه من جوى وتململ

ومنها قوله :

وإن لم يزن عبد الحميد قصائدى
فلا كنت فى هذا المقام بأول
وكم لك فى إغفاءة الفجر يقظة
لترتيل آيات الكتاب المُنَزَّل
تمخَّض عن فكر يذب عن الحمى
ويحمى حماه عن عداة وعُذَّل

وله قصيدة أخرى تغنى فيها بمقام الخليفة ، وفيها يقول :

صاحب العرش والخلافة والتا
ج ، وليث الوغاى ، ورب الممالك
إن عيد الجلوس عيد البرايا
واقتبال الزمان فى إقبالك
وهدى العالمين ما دمت فيهم
تجمع الكل تحت ظل هلالك

وجـــمـــال الدنيـــا بقـــاؤك فـــيـــهـــا
تهـــتـــدى فى كـــمـــالهـــا بكمـــالك
لك عـــيـــدان فى الســـمـــاء وفى الأر
ض ، فـــعـــيـــدٌ هنا وعـــيـــد هنالك

وهذه القصيدة التى نظمها فى عام ١٩٠٥ منشورة فى كراسة صغيرة ، باسم الأستاذ «سيد محمد» ناظر المدرسة التحضيرية بدرب الجماميز [١] .

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفة مترجم ، فتقدم إليها واجتاز الامتحان بامتياز ، فعين فى يوم ٢٠ ديسمبر من عام ١٩٠٥م ، وقد عمر بهذه الوظيفة إذا قيست بمثيلاتها مما شغله من وظائف من قبل ، فقد ظل بها حتى يوم ٣ أكتوبر عام ١٩٣٣م ، عندما صفى البنك أعماله ، وأحيل إلى بنك التسليف ، فأخذ «محمد فؤاد عبد الباقى» مكافأته من البنك ، وترك الوظيفة .

وقد كانت المدة التى قضاها فى البنك الزراعى فترة استقرار فى حياته ؛ إذ هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى ـ وخاصة (ڤيكتور هوجو ، ولامارتين) ـ كما أقبل على أمهات كتب التراث العربى ، فقرأ أغلبها ، وحفظ الكثير من عيون الشعر العربى ، مثل ديوان الحماسة . كما أتاحت له فترة الاستقرار العملى بالبنك أن يتعرف إلى رجال كان لهم عظيم الأثر فى حياته ، نذكر منهم بعد والده :

الشيخ مصطفى عبدالرازق ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، والشيخ رشيد رضا ، الذى يمثل ـ الأخير ـ منعطفًا مهمًا فى حياة «محمد فؤاد عبدالباقى» ، وتحولاً خطيرًا فى مساراتها بعد ذلك .

وقد تحدث الدكتور «أحمد الشرباصى» فى حوار له مع الأستاذ «محمد فؤاد عبدالباقى» عن صلته بالعالم الجليل الشيخ «رشيد رضا» ، حيث يقول :

« . . . وحدثنى ــ عليه رحمة الله ــ بأنه تلميذ للمرحوم السيد « محمد رشيد رضا» ، صاحب مجلة المنار ، وصاحب (تفسير المنار) ، والذى يعد خليفة للأستاذ الإمام الشيخ «محمد عبده» ، وبأنه تلميذ للمرحوم العلامة فى الحديث علومه الشيخ «أحمد محمد شاكر» .

(١) من مقال أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .

وذكر لى الفقيد : أن صلته بالسيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بدأت عام ١٩٢٢م ، وظلت حتى مات السيد (رشيد) فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥م ، رحمه الله . والسبب فى نشأة الصلة بينهما أن مطبعة (المنار) أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبده) ، فذهب الأستاذ (محمد فؤاد) لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار ، ولم تكن له ـ حينئذٍ ـ صلة وثيقة بالشئون الدينية ؛ لأنه كان مشغولاً بوظيفته فى البنك الزراعى .

وفى مكتبة المنار تعرف الأستاذ (محمد فؤاد) إلى الأستاذ (عبد الرحمن عاصم) ـ ابن عم السيد رشيد رضا ـ ثم التقى الأستاذ (محمد فؤاد) بالسيد (رشيد رضا) فى المكتبة ذات زيارة ، فأعجب (محمد فؤاد) بروح (رشيد رضا) القوية وعلمه الغزير ، وأرشده (رشيد رضا) إلى طائفة من الكتب ليطالعها ، ثم توثقت الصلة العلمية بينهما . وكان البنك الزراعى يغلق أبوابه يوم الأحد من كل أسبوع ، فكان (محمد فؤاد) يجعل يوم الأحد شبه خالص للقاء السيد (رشيد) ، والاستمداد من علمه ، وإرشاده وتوجيهه .

وظل الأستاذ (محمد فؤاد) يثنى على السيد (رشيد رضا) حتى آخر حياته ، وكنت كلما لقيته يحلو لى أن أسمعه يعود إلى الحديث عن (رشيد رضا) وقد قال لى عنه :

إنه لا جدال فى أن السيد (رشيد رضا) هو التلميذ الأول للشيخ (محمد عبده) ، وهو امتداد لحياته ، ولولا (رشيد) لما عرفنا الشيخ (محمد عبده) ، ولا نال هذه الشهرة ؛ لأن مجلة المنار نشرت تفسير الأستاذ الإمام وعرَّفت به . والواقع أن السيد (رشيد رضا) كان خليفة للشيخ (محمد عبده) ، مع ملاحظة الفرق بين الشخصيتين .

وكان الأستاذ (محمد فؤاد) يتدفق فى الحديث حول هذا المعنى ، فسألته :

إذا كان الشيخ (رشيد رضا) هو الذى خلف الشيخ (محمد عبده) ، فمن تراه أشبه الناس اليوم بالسيد (رشيد رضا)؟

فأجاب :

ـ لعله الأستاذ (محمد بهجت البيطار) عالم الشام .

وعدت فسألته :

ـ إن للسيد (رشيد رضا) كتابًا عن (الربا) فيه أجزاء لم تعجب كثيرًا من العلماء ؛ لأنه أباح بعض صور الربا كما يقولون ، فما رأيك فى الكتاب؟

فأجاب :

ـ لقد كتب السيد (رشيد رضا) كثيرًا ، ولكنه لم ينته إلى الرأى الفصل ، وهو نفسه كان لا يرى أنه وصل إلى النتيجة الحاسمة فى هذا البحث .

وسألته أيضًا :

ـ مارأيكم فى موقف السيد (رشيد رضا) من السياسة؟

فأجاب :

ـ إن (رشيد) قد اشتغل أولاً بالقضية العربية ، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تمزق العالم العربى ، وانصرف (رشيد) عن السياسة إلى الكتابة الدينية ، ولعل السبب فى ذلك هو أنه وجد الجهود ستذهب هباءً .

وسألته كذلك :

ـ يقول بعض الناس : إن السيد (رشيد رضا) كانت له صلة بالإنجليز؟

ـ فغضب الأستاذ (محمد فؤاد) ، ورفع صوته يردد قوله : لا . . . لا . . . هذا غير ممكن بالمرة ، هذا بعيد عن الحقيقة ، ومن يقول هذا فهو مخطئ ، نعم كانت لـ (رشيد) صلة بالوهابيين والحجازيين ، وكانوا يعاونونه عن طريق أمير البيان (شكيب أرسلان) ، وهو قد أيدهم» [(١)] .

***

لقد كانت علاقة الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) بالشيخ (رشيد رضا) نقطة تنبّه حقيقية فى حياته ، أيقظت فيه قدراته العلمية ، ودفعته دفعًا واثقًا إلى العمل والانتاج العلمى .

ففى عام ١٩٢٨م ، علم السيد (رشيد رضا) أن الشيخ (أحمد محمد شاكر) عنده الأصل الإنجليزى لكتاب «مفتاح كنوز السنة» ، فأرسل الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) مع ابن عمه إلى الشيخ (أحمد شاكر) فى بيته بالحلمية بالقاهرة ، فاستعار له الكتاب ، ولم تكن زيارته هذه للشيخ (شاكر) سوى بداية لعلاقة توطدت بينهما فيما بعد ، وكان فيها الأستاذ

---

(١) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .

(عبد الباقى) بمثابة التلميذ الذى ينهل من شيخه ، حتى صار بعد وفاته محدث مصر بلا منازع [١] .

والجدير بالذكر أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) بعد أن انتهت خدمته بالبنك الزراعى ، افتتح دارًا لنشر الكتب الدينية بجوار المدرسة السنية بالقاهرة ، واتصل ببعض العلماء فى : الملايو ، والهند ، والصين ، واليابان ، والحجاز عن طريق الرسائل ، حتى أن بعض المجلات اليابانية قد نشرت صورته ، مثنية على خدماته فى حقل العلم الدينى [٢] .

وفى الخمسينيات من القرن الماضى عُيِّن - رحمه الله - محققًا ومراجعًا بمجمع اللغة العربية ، بالإضافة إلى عضويته فى اللجنة الاستشارية للمجامع العلمية للمستشرقين ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة .

مؤلفاته وبصماته على جدار الفكر والبحث :

لاشك أن التراث الإسلامى كان بحاجة ضرورية وعاجلة إلى نوع من الفهارس ؛ تخدم - فى المقام الأول - علوم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وتجعلها أقرب وأيسر إلى من يريدون البحث والتأليف فيها ، ولئن كانت صفحات التاريخ قد سجلت السبق فى هذا الميدان للمستشرقين ، إلا أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) استطاع أن يسابق هؤلاء ، وأن يضيف ويبتكر من الأعمال ما جعل المستشرقين أنفسهم يثنون عليه الثناء الجميل .

لقد يسر الأستاذ (عبد الباقى) السبيل لكل من وطئت قدماه درب البحث فى تراث الإسلام الثرى الفياض ، وأصبحت مؤلفاته ضرورية لكل باحث فى هذا المجال ، يستدعيها ويستنبئها كلما خانته ذاكرته ، أو أحوجه البحث إلى البرهان والدليل .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه :

(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) الذى استغرق وضعه خمس سنوات من العمل الدءوب ، والذى وصفه بعض المستشرقين بأنه : بمثابة (باسبورت) من الله يدخل به صاحبه الجنة [٣] .

(١) شخصية لا تنسى . أ . د . نعمات أحمد فؤاد - مجلة العربى - ١٩٦٨ ، وكتاب خادم القرآن والسنة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٢٠٠١م .

(٢) نبذة من ترجمة حياة المؤلف المرحوم العلامة «محمد فؤاد عبد الباقى» - أ . بدوى طه علام ، السكرتير الخاص للفقيد .

(٣) من مقالة أ . بدوى طه علام ، سكرتيره الخاص .

يقول الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) :

« . . . وإذا كان خير ما ألف وأكثره استيعابًا فى هذا الفن ، دون منازع ولا معارض ، هو كتاب (نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) ، لمؤلفه المستشرق (فلوجل) الألمانى ، الذى طبع لأول مرة عام ١٨٤٢ ميلادية ، فقد اعتضدت به وجعلته أساسًا لمعجمى»[١] .

ويقول :

« . . . وأما الطريقة التى اتبعتها فى مشتقات الكلمة (المادة) فهى الابتداء بالفعل المجرد المبنى للمعلوم ، ماضيه ، فمضارعه ، فأمره ، ثم المبنى للمجهول من الماضى والمضارع ، ثم المزيد بالتضعيف ، فالمزيد بحرف . . . . . إلخ ، ثم باقى المشتقات من المصدر ، واسم الفاعل ، والمفعول ، فباقى الأسماء . متبعًا فى ترتيب كلمات كل باب من هذه الفروع نفس الطريقة التى اتبعت فى ترتيب المواد الأصلية ، وهى ترتيبها ـ أيضًا ـ على حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها ، وهكذا [٢] .

وقد وضع (عبد الباقى) معجمه هذا بعد أن راجع ما ألفه السابقون فى هذا المجال .

وبعد أن انتهى الكتاب (المعجم) ، رجع إلى المصحف وعرضه لفظة لفظة ، فوجد أنه لم يسقط من جميع ألفاظ المصحف فى المعجم إلا خمس عشرة لفظة ، قيدها فى أول الكتاب ليستدركها كل قارئ له[٣] .

وقد افتتح ـ رحمه الله ـ معجمه بمادة : (أ . ب . ب) ، وختمه بمادة : (ى . و . م) ، وطُبع المعجم لأول مرة عام ١٣٦٤هـ ، بمطبعة دار الكتب المصرية ، بالقاهرة .

تفصيل آيات القرآن الحكيم :

وقد وضعه باللغة الفرنسية المستشرق الفرنسى (جول لابوم) ، وقسمه إلى ثمانية عشر بابًا ، هى :

التاريخ ، محمد ﷺ ، التبليغ ، بنو إسرائيل ، التوراة ، النصارى ، ما بعد الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العبادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعى ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الأخلاق ، والنجاح .

---

(١) مقدمة المعجم المفهرس .
(٢) خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .
(٣) مقال أ .د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م ، وكتاب خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

وتحت كل باب منها فروع ، تبلغ عدتها ثلاث مائة وخمسين فرعًا ، وتحت كل فرع جميع ماورد فيه من آيات القرآن الكريم ، مما لم يسبق جمعه وتنسيقه فى كتاب قبل هذا الكتاب .

وقد كان السبب فى ترجمة هذا الكتاب ، أن الأستاذ (عبد الباقى) وجه سؤالاً لأستاذه الشيخ (رشيد رضا) عن السبب فى تمكن الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبده) فى استحضار الشواهد من كتاب الله ، إذا أراد الاستدلال على صحة ما يقول بقراءة النص القرآنى الذى يؤيد ذلك ، فى أى الموضوعات العقلية ، أو النواحى الاجتماعية .

فأخبره :

« . . . أن ذلك راجع لقراءة الإمام الشيخ (محمد عبده) كتابًا فرنسيًا عنى مؤلفه العالم الكبير (جول لابوم) بوضع أبواب شتى فى أمور الحياة مفصلة من آيات كتاب الله » (١) .

وعن هذا الكتاب يقول الأستاذ الكبير (محمد فريد وجدى) :

«جاء هذا العمل من خير الأعمال وأجداها على الكُتَّاب والمؤلفين والباحثين ؛ فإن الذى يحاول أن يكتب عن الزكاة ، أو الأديان ، أو بعض الأنبياء ، أو مبدأ المساواة ، أو النظر إلى مخلوقات الله . . . إلخ ، مما يجب على الكاتب أن يقتبس فيه من الكتاب الكريم ، يعجز عن استيعاب الآيات الواردة فى هذه الموضوعات ، فأصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع أن يلم فى مجال واحد بكل مايود أن يقرأه عنه من الآيات ، لا بالهداية إلى أرقامها من المصحف فحسب ، ولكن بإثبات تلك الآيات نفسها فى صلب الصفحات ، هذا عمل جدير بالإعجاب ، فإنى كثيرًا ما كنت أتطلب تلك الآيات ، فأتعب فى استجماعها ، ولا أكاد أوفق لاستيعابها . أما اليوم فقد زالت هذه العقبة من طريقى بسبب هذا الكتاب ، فأشكر لحضرة الأستاذ المحترم محمد أفندى فؤاد عبد الباقى عمله المتواصل فى إبراز هذه الذخائر العلمية» (٢) .

ومن الطريف أن الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) ترجم كتاب (تفصيل آيات القرآن الكريم) ، وأهداه إلى الأديب المصرى الساخر الأستاذ (إبراهيم المازنى)!

(١) المرحوم السيد محمد فؤاد عبدالباقى . أ . بدوى طه علام ، السكرتير الخاص ، مجلة العشيرة - ١٩٦٨م .

(٢) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى - ١٩٦٨م .

فابتسم ابتسامته الساخرة ، وقال له :

- ما شأنى به يا صاحبى؟

قل لى :

فى أى موضوع هو؟

ماذا تريدنى أن أكتب عنه؟

فقال له :

- إنه يتحدث فى كذا وكذا . . .

ثم قال له (المازنى) :

- التقينا !

ثم كتب عنه (المازنى) فى البلاغ مقالة شافية[١] .

مفتاح كنوز السُّنة :

معجم مفهرس عام تفصيلى ، موضوع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة ، وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى ، وسنن أبى داود والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والدارمى ببيان رقم الباب ، وفى صحيح مسلم ، وموطأ مالك ، ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث ، وفى مسند أحمد بن حنبل ، وطبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة .

وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء .

وكان هذا المعجم فى الأصل موضوعًا باللغة الانجليزية ، وضعه المستشرق الهولندى (أ . ى ڤنسنك) ، وحاول الشيخ (أحمد شاكر) أن يترجمه مع عدم معرفته اللغة الإنجليزية ، وبعد أن ترجم نحو ثلثه - بمعونة بعض أصدقائه الذين يعرفون الإنجليزية - لم يستطع المضى فى العمل لكثرة الشواغل .

وكان المرحوم السيد (رشيد رضا) قد اطلع - أيضًا - على هذا الكتاب فى لغته الأولى فأعجب به ، واستأذن مؤلفه فى ترجمته ، فأذن له ، واتفق السيد (رشيد) مع الأستاذ (محمد

(١) خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٢٠٠١م .

فؤاد عبد الباقى) على اقتسام العمل بينهما ، ولكن الشواغل صرفت السيد (رشيد رضا) عن العمل ، فمضى الأستاذ (عبد الباقى) فيه ـ وحده ـ بجد ومثابرة ، حتى أتم ترجمة الكتاب . وقد أثنى السيد (رشيد رضا) كثيرًا على الكتاب ، وعدّه أحد نفائس الكتب الإسلامية التى لا يستغنى عنها أعلم علماء الحديث ، يقول :

«إنه يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما فى معناها ؛ كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها ، فلو كان بيدى ـ هو أو مثله ـ من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة ، لوفر علىَّ ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ، ولمكّننى من الاستجابة لمن اقترحوا علىَّ أن أضع كتابًا جامعًا للمعتمد فيها ، وكتابًا آخر للمشكل منها فى نظر علوم هذا العصر وفلسفته ، والجواب المقنع عنه» (١) .

ويقول عن الكتاب ـ أيضًا ـ الأستاذ (محمد فريد وجدى) :

«قد كان هذا الفهرست حاجة ماسة لكل مشتغل بالأحاديث النبوية ؛ فإن أحدنا كان يرى الحديث فلا يعرف له تخريجًا ، ويحار فى البحث عنه ، فأصبح يجده على طرف الثمام منه»(٢) .

هذا وقد أتم الأستاذ (عبد الباقى) عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر عام ١٣٥٣هـ ، الموافق ٢٧ يولية عام ١٩٣٤م ، ثم أعقبه بكتاب آخر فى عدة أجزاء بعنوان :

تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى :

ويراد من هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من كتاب «مفتاح كنوز السنة» ، بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الأصول .

والكتاب الذى ذكره فى عنوان كتابه ـ وهو« المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى» ـ كتاب ضخم جدًا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، وقد نشره فى (ليدن) بهولندا ـ الاتحاد الدولى للمجامع العلمية سنة ١٩٣٣م ، وطلب الأستاذ (محمد فؤاد عبدالباقى) إلى الأستاذ الدكتور (ونسنك) تصريحًا بالترجمة باعتباره مؤلف كتاب «مفتاح كنوز السنة» ، فبلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب ، بل أرسل إليه الفصل الأول من «المعجم المفهرس للحديث النبوى» ، ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة

(١) من مقالة أ . د . أحمد الشرباصى ـ ١٩٦٨م .
(٢) المصدر السابق .

فضمنها كشفًا أرسله إلى الدكتور (ونسنك) ، فسُرَّ الأخير لذلك كثيرًا ، وكتب إليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم ، ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

وإذا علمنا أن المعجم المفهرس هذا يقوم به أكثر من أربعين مستشرقًا فى أنحاء العالم ، ثم يصحح عملهم مجتمعين الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) ، أدركنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقدر الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبله قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل .

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان :

وهو أصح كتاب فى الحديث ؛ نظرًا لأنه جمع ما اتفق عليه مسلم والبخارى ، وقد أراد (عبد الباقى) بهذا الكتاب أن يصور لنا الحياة اليومية التى كان يحياها رسول الله ﷺ من شروق الشمس إلى وقت العتمة ، بل إلى الهزيع الأخير من الليل ، فتظهر لنا كمال النفسية المحمدية ، وعظمتها فى مثاليتها ، مما يجعلنا نلمس العظمة فى ذات الرسول الكريم وأفعاله وأقواله .

وقد سلك (عبد الباقى) فى تأليفه منهجًا جامعًا للفوائد ، وتوخى من ترتيبه ترتيب صحيح مسلم ، وأخذ أسماء كتبه وأبوابه مع أرقامها ، وأخذ من صحيح البخارى نفس الحديث الذى وافقه مسلم عليه ، ووضع عليه شرحًا لطيفًا يحل ألفاظ الحديث ، ويبين ما فيه من فوائد بعبارة سهلة خالية من التعقيد .

إنه كتاب يعفيك من البحث فى بطون الكتب المطولة ، ومراجعة الشروح الواسعة الكبيرة ، ويقع فى ثلاثة أجزاء من القطع الكبير ، وعدد صفحاته (١٠٨١) صفحة .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه : زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، للشيخ حبيب الله الشنقيطى ، ولكن الأستاذ (عبد الباقى) زاد عليه خمسمائة حديث فاتت الشنقيطى .

معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخارى :

وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو شرح الألفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه ، والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الألفاظ من كتاب «مجاز القرآن» لأبى عبيدة .

ويضاف إلى ما سبق أن (محمد فؤاد عبد الباقى) نشر الكتب التالية نشرًا علميًا

محققًا :

- **الموطأ للإمام مالك .** في جزءين .
- **سنن ابن ماجة .** في جزءين .
- **صحيح مسلم .** في خمسة أجزاء .
- **شواهد التوضيح والتصريح لمشكلات الجامع الصحيح .**
- **الأدب المفرد ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري :** حقق نصوصه ، ورقَّم أبوابه وأحاديثه ، وعدد أبوابه (٦٤٤) بابًا ، وعدد أحاديثه (١٣٢٢) حديثًا .
- **محاسن التأويل ،** للقاسمي : صححه وحققه في سبعة عشر جزءاً .
- **ترجمة حياة الإمام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه :**

«عن علم التقوى والفصاحة والفتوة والشجاعة والمروءة ، وهو كتاب يعتريك منه الدهشة ؛ إعجابًا بما اخطته من طريق جديد في تأليفه ، وابتكار حديث في وضعه ، حيث صاغ من النصوص الموثوق بها أبواب الكتاب فصلاً فصلاً : طفولته - شبابه - رجولته - المعارك والغزوات التي اشترك فيها والتي قادها . وقد استطاع الأستاذ (محمد فؤاد عبدالباقي) أن يجعل من هذه النصوص المبعثرة في مئات الكتب - لُحمة متماسكة ، ومن المؤسف أن المرض كان قد قعد بالأستاذ عن إتمام هذا الكتاب الفريد»[1] .

- **قرة العينين في أطراف الصحيحين :**

وهو في خمسة أجزاء من القطع الكبير ، وفيه اضطلع بتجميع ولمّ شتات مواضع أحاديث البخاري ، فقد كان البخاري يورد الحديث الواحد في مواضع عدة حسب المعاني الواردة به .

- **كتاب دستور المسلمات المؤمنات : ما لهن وما عليهن من كتاب الله والحكمة .**
- **جامع مسانيد صحيح البخاري :**

وفيه يورد النصوص المتعددة للحديث الواحد ، حسب مواضعها في صحيح البخاري ، كما يجمع أحاديث كل صحابي على حدة ، مرتبًا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية ، وذلك بعد أن قسمهم إلى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيات .

---

(١) نبذة من ترجمة حياة المؤلف المرحوم العلامة «محمد فؤاد عبد الباقي» ، بقلم أ . بدوي طه علام ، السكرتير الخاص للفقيد .

وعدتهم جميعًا (١٩٦) صحابيًا .

وقد استغرق هذا الجهد الصابر ما يربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولهذا الكتاب قصة ترويها محاضر المجمع اللغوى عام ١٩٤٣م ، بما تضمنته من مكاتبات دارت حوله بين المستشار الفنى لوزارة المعارف يومئذٍ الدكتور طه حسين ، وبين المجمع .

وقد تضمن التقرير الذى وضعته اللجنة المكونة من الأساتذة :

أحمد بك إبراهيم .

الشيخ إبراهيم حمروش .

الشيخ محمد الخضر حسين .

تقديرًا وإشادة بالجهد السخى الذى بذل فى الكتاب ، وانتهى الأمر باعتذار المجمع عن النشر ؛ لأن الكتاب أدْخل فى باب السنة منه فى باب اللغة !![١] .

ـ جامع الصحيحين :

وهو من الكتب التى واكبت حرص الحكومة المصرية فى خدمة السنة ، إذ حدث أن وجه فضيلة شيخ الأزهر المرحوم الشيخ مأمون الشناوى ـ الدعوة إلى الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ؛ لحضور اجتماع اللجنة المنعقدة فى ٢٨ فبراير عام ١٩٥٠من المشتغلين بعلم الحديث . وكان الاجتماع مؤلفًا من :

شيخ الأزهر ؛ رئيسًا ، ومعه كل من السادة :

أحمد محمد شاكر ، والشيخ عبد العزيز المراغى (وكيل الأزهر) ، والشيخ عبدالرحمن حسن ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، والشيخ محمد زاهد الكوثرى (وكيل المشيخة الإسلامية فى الأستانة) ، والشيخ رضوان محمد رضوان ، والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وبحث المجتمعون موضوع جمع كتبَ السنة الستة فى كتاب واحد ، واتفقوا على أن يكون ترتيب الكتاب على حسب ترتيب صحيح مسلم .

وفى ١٥ أبريل أسند إلى الأستاذ محمد فؤاد العمل على جمع أحاديث صحيحى

---

(١) شخصية لاتُنسى ، أ . د نعمات أحمد فؤاد ، مجلة العربى ـ ١٩٦٨م .

البخارى ومسلم ، وانتهى العمل عام ١٩٥٢ .

ثم تألفت لجنة من ثلاثة علماء لمراجعته ، منهم الشيخ عبد الفتاح العنانى (شيخ المالكية) وكان ذلك فى عهد الشيخ عبد الرحمن تاج (شيخ الأزهر) .

ومما يذكر أن :

هذا الجامع بلغت جملة ما أُنفق عليه تأليفًا ومراجعة من غير أن يطبع ـ ألفان ومائتا جنية ، وكان ديوان المحاسبة يتابع هذا الإنفاق ويكاتب المجلس الأعلى بشأنه ، ومايزال العمل فى محفوظات الأزهر وسجلاته !!

إن من ينظر إلى أعمال محمد فؤاد عبد الباقى ، يجدها سبحًا طويلاً تثبت ما يعتمل فى طوايا الرجل من حب الرجوع بالبيئة الإسلامية الحقة إلى حقيقة قيام الوجود الفعلى للشريعة الإسلامية .

لقد كان الرجل يتعامل فى نتاجه العلمى مع دور النشر تعامل العلماء الزاهدين الذين يقدرون أن العمل العلمى لاتكافئه أموال الدنيا ، وكان يقول لأولاده :

«لا أريد أن يكون ميراثكم منى أموالاً وقصورًا ، وإنما هى الكتب : خزائن العلم ومفاتيحه»[1] .

وليس بعجيب أن تكون الأمانة فى نشر العلم هى أول ما يختاره للكتابة فى مجلة الأزهر ، فتكون أول مقالاته فيها بعنوان : «الأمانة العامة أيها المعرّبون !» .

وهى صرخة يصحح فيها لأحد المعربين ترجمته ؛ حتى يكون أمينًا فى نقل العلم .

* * *

وقد تنقل الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) فى سكنه ؛ فعاش طرفًا من حياته فى الروضة بالقاهرة ، وكان يجاوره فيها الأستاذ خير الدين الزركلى ، حيث كان من زمرة أصدقائه المقربين التى تضم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور محمد كامل حسين ، حيث كان يقضى معهم الأوقات يتدارسون العلم حينًا ، ويتحادثون فى أمور السياسة حينًا آخر ؛ إذ كانت تلك الفترة مشحونة بالأحداث السياسية والتحولات التاريخية ، سواء قبل الثورة أو بعدها ، فقد

---

(١) خادم القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

كان محبًا للرئيس محمد نجيب لما يتمتع به من دماثة الخلق ، والفكر القويم ، وكان كارهًا للظلم والديكتاتورية ، فلم يستطع استساغة التغيير الذى حدث بعده .

ثم انتقل من سكنه بالروضة إلى شاطئ الجيزة ، حيث أقام بشقة فى عمارة ضخمة على النيل ، يكتب ويؤلف ويترجم ، وهو فى كل ذلك يقدم ما يفيد الناس ابتغاء وجه الله .

وقد حصل الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى على نوط الامتياز من الطبقة الأولى من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى ليلة القدر من عام ١٩٩٠م .

وتم إطلاق اسمه على شارع (قرة بن شريك) المتفرع من شارع النيل بالجيزة عام ١٩٩٨م .

صائم الدهر!!

إن حياته الخاصة تدخل فى باب الغرائب ، فقد كان نباتيًا ، وكان يعرف فى مصر باسم : (صائم الدهر) ؛ لأنه كان يصوم العام كله ، لايفطر فيه إلا يومين اثنين هما :

أول أيام عيد الفطر ، وأول أيام عيد الأضحى .

وكان يصوم بغير سحور ، أى أنه يتناول وجبة واحدة كل ٢٤ ساعة !

ويبدأ فطوره بملعقتين من العسل الأبيض ، ثم طعامه ، ثم الزبادى والفاكهة وفنجان قهوة .

وفى تمام العاشرة مساءً يشرب كوبًا من الماء ، وبهذا تنتهى صلته بالطعام والشراب حتى مغرب اليوم التالى .

وحجرته الخاصة التى تضم مكتبته الكبيرة بها عدة مناضد ، فهى حجرة أشبه بالإقامة الكاملة :

الكتب ، المناضد ، الصور ، الأدوية ، الأقلام ، الساعات .

وكان محافظًا فى كل شىء ؛ فزيه يتكون من البدلة الكاملة صيفًا وشتاءً ، لايستطيع حر الصيف أن ينحى الكرافت أو الدبوس الألماس ، كما لا ينسى المنديل الأبيض فى جيبه ، والعصا الأنيقة فى يده ، والطربوش القانى على رأسه ، وقد أحضر له قالبًا من الفضة ؛ حتى يبقى على استوائه .

لقد كان عاشقًا للتأنق وراغبًا للكمال فى كل شىء ، وكان زاهدًا فى الاجتماعات والتعارف ، يفسر هذا وكأنه يعتذر :

«إن التعرف إلى الناس تقوم ـ تبعًا له على الأثر ـ حقوق لهم ، والتزامات واجبة الرعاية والوفاء ، وليس عندى وقت لهذا ، ولا أنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى !»[١] .

كان ـ رحمه الله ـ له عالمه السمعى ، فقد كان يعشق الاستماع إلى القرآن الكريم من كبار المقرئين . وكان أكثر ما يثير غضبه الخطأ فى الدين وعدم الأمانة فى العلم ، وكانت سيرة الرسول ﷺ هى أكثر ما يهز وجدانه ، ويثير مشاعره رقة وحنانًا .

وفى سنة ١٩٦٧م وقعت النكسة ، فكانت غصة فى حلقه ، ولكنه كان واثقا من نصر الله ، ويردد :

«إنها محنة لاتعبرعن واقع الإرادة المصرية والعربية والإسلامية ، وإن لها ما بعدها»[٢] .

وفى أوائل سنة ١٣٨٨هـ وافته المنية يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٨م ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، مخلّفًا تراثًا عظيمًا يشار إليه بالبنان فى كل حين وآن .

تلك كانت لمحة عن سيرة هذا العالم الجليل الذى قضى حياته ، وأفنى بصره فى خدمة المعاجم الخادمة للقرآن والحديث ، فرحمة الله عليه ورضوانه له .

ويبقى بعد ذلك واجب الأمة نحو علمائها الأفاضل ، ولعل فى طليعة هذا الواجب نحو محمد فؤاد عبد الباقى ، نراه فيما يلى :

أولاً :

ترجمة مفصلة عن حياة هذا العالم الجليل وآثاره .

ثانيًا :

طبع ما لم يطبع من كتبه وبحوثه ومقالاته .

---

(١) شخصية لاتُنسى ، أ . د . نعمات أحمد فؤاد ، مجلة العربى ـ ١٩٦٨ ، والعالم الإسلامى محمد فؤاد عبد الباقى ، بقلم كريمته عفاف محمد فؤاد ، مجلة الأزهر ، ١٩٨٥ ، خادم القرآن والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

(٢) خادم القرآن والسنة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٢٠٠١م .

ثالثًا :

إعادة طبع ما نفد من كتبه المطبوعة ، أو التى قلت نسخه .

رابعًا :

جمع مقالاته وبحوثه المتناثرة فى كتاب مطبوع .

خامسًا :

أن يكون له مكانًا معلومًا على صفحات «الإنترنت» .

سادسًا :

حرص الدولة على تعريف طلاب العلم بمثل هذه الشخصيات .

والله نسأل أن يوفق أمته للوفاء لذكراه .

متابعات نقدية

متابعات نقدية

مواد البيان لعلي بن خلف (٤١٤هـ)

أ. د. محمد زغلول سلام*

كان تعرفنا على كتاب «مواد البيان» لعلى بن خلف عن طريق كتاب **«صبح الأعشى»** للقلقشندى، فقد نقل معظم الكتاب مفرقًا فى فصوله المختلفة، وصدَّر ما نقل بقوله : «جاء فى مواد البيان لعلى بن خلف»، أو «قال على بن خلف فى مواد البيان»، أو ما شابه هذه العبارات، ثم يأتى بكلامه، نصًا من الكتاب، وقد ينقل دون إشارة .

وبعد ذلك وبالرجوع إلى كشف الظنون تبين ذكر حاجى خليفة للكتاب باسم **«موارد البيان»** .

والعجيب أن أيًا من الكتب السابقة على القلقشندى مما يهتم بكتابة الإنشاء، وفن الرسائل فى مصر منذ العصر الفاطمى ـ لم تذكر اسم الكتاب ولاصاحبه، على كثرة تلك الكتب واختلاف درجات أصحابها ومكانتهم، واختلاف أقدار كتبهم وأحجامها . ونذكر من بينها كتاب **«قانون ديوان الرسائل»** لابن الصيرفى، و**«معالم الكتابة»** لعبدالرحيم بن على ابن شيت، وهما أقرب عهدًا بعلى بن خلف وكتابه، ثم جاء من بعدهما ابن مماتى فى **«قوانين الدواوين»**، وضياء الدين بن الأثير فى كتبه : **«المثل السائر»**، و**«الجامع الكبير»**، و**«المنشا فى صناعة الإنشا»**، و**«الوشى المرقوم فى حل المنظوم ونظم المنثور»**، وشهاب الدين محمود فى كتابه **«حُسن التوسل إلى صناعة الترسل»**، وعماد الدين بن الأثير فى **«جوهر كنز البلاغة»** .

وظل اعتمادنا متصلاً على كتاب القلقشندى فى التعرف على «مواد البيان» وموضوعاته، حتى ظهرت طبعة محققة للكتاب من منشورات جامعة الفاتح بليبيا سنة ١٩٨٢، بعنوان «مواد البيان» لعلى بن خلف الكاتب، تحقيق الدكتور/ حسين عبداللطيف .

وقد اعترف المحقق فى مقدمته بما لقيه من صعاب فى سبيل الحصول على ترجمة شافية لمؤلف الكتاب، على بن خلف، على كثرة بحثه وتنقيبه كما يقول .

والغموض يعترى ترجمة ابن خلف ـ صاحب الكتاب ـ من ناحيتين : **الأولى** تناقض تاريخ وفاة على بن خلف ـ وزير بهاء الدولة البويهى ـ الذى انتقل إلى مصر من بغداد فى سنة ٤٠٦هـ أو بعدها بقليل، وظل فى مصر حتى توفى بها سنة ٤١٤هـ .

(*) أستاذ الأدب العربى والمتفرغ بكلية آداب بنها .

واختلفت الروايات حول من كان من سلاطين البويهيين على خلاف مع ابن خلف ، وكان وزيرًا يلقب بفخر الدين الملك أبى غالب ، أهو بهاء الدولة أم ابنه سلطان الدولة؟![1] .

وعلى أية حال فالمتفق عليه أن عليًا بن خلف غادر بغداد إلى القاهرة هو وابنه أبوشجاع ، وكان دخولهما مصر فى زمن الظاهر ابن الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٦هـ .

قال الصفدى[2] : على بن محمد بن خلف ، أبو سعد الكاتب النيرمانى من إحدى قرى الجبل بالقرب من همدان . كان من جلة الكتاب الفضلاء ، والرؤساء النبلاء ، كان يخدم فى ديوان بنى بويه ببغداد ، وكان قد اتصل ببهاء الدولة ابن عضد الدولة ، فصنف له « **المنثور البهائى** » ، وهو نثر كتاب الحماسة وغيرها ، وتوفى سنة أربع عشرة وأربعمائة (٤١٤هـ) . وهذا الخبر يقطع بسنة وفاته ، وبأنه ألف لبهاء الدولة كتابًا ينثر فيه شعر الحماسة وغيره من الشعر ، وقد نقل بعضًا منه القلقشندى عن «**مواد البيان**» .

وهذا الخبر يتعلق شقه الأول باسم الكتاب الذى ألفه على بن خلف لبهاء الدولة ، وعلاقته بمواد البيان ، والآخر يتعلق بسنة الوفاة وتضاربها مع خبر جاء فى «**مواد البيان**» ، كذلك يشير إلى أن صاحب الكتاب توفى فى عام ٤٣٧ أو بعده .

ويقول خبر آخر : إن أبا شجاع محمد بن على بن خلف ولى الوزارة للمستنصر ابن الظاهر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وظل بها حتى سنة ست وستين وأربعمائة ؛ حيث عزل عنها مغضوبًا عليه ، ففر إلى الشام عن طريق البحر ولقيه بدر الجمالى - الذى استدعى لتولى الوزارة بعد الفوضى التى عمت البلاد - فقبض الجمالى على محمد بن على بن خلف وقتله .

وهذه الأحداث تطرح تساؤلاً : عمَّن ألف كتاب «**مواد البيان**» إذا صح تاريخ وفاة الأب «على» سنة ٤١٤هـ ؟! فإذا كان الأب قد بدأ تأليف الكتاب وتوفى دون إتمامه ، وقام الابن بإتمامه حلَّ هذا الطرح الإشكال . ولنا أسوة فى تاريخ التأليف العربى والإسلامى ، فقد تعاقب على تأليف كتاب « **المغْرب** » لابن سعيد غير واحد على سبيل المثال ، كما شارك بعد ذلك الابن أباه فى كتاب واحد ، وهما : علاء الدين بن الأثير وعماد الدين[3] .

فإذا قبلنا هذا الطرح واسترحنا له ، قلنا : إن علىّ بن خلف بدأ تأليف «**مواد البيان**» ، لكنه مات قبل تمامه ، فأتمه ابنه محمد الذى تولى الوزارة للمستنصر .

---

(١) راجع ترجمته فى «يتيمة الدهر» و«تتمة اليتيمة» للثعالبى ، و«فوات الوفيات» لابن شاكر .

(٢) الوافى بالوفيات جـ ٢١/ ص ٤٥٤ .

(٣) إذ ألف الأب كتابًا بعنوان «كنز البراعة فى أدوات ذوى اليراعة» ، واختصر الابن الكتاب وسماه «جوهر كنز البراعة» ، وقد قمت بتحقيقه ، ونشرته منشأة المعارف بالأسكندرية .

أما التعرف على ما بدأ الأب به ، وما أتمه الابن فهذا إشكال آخر . قد يظهر حقيقته مزيد من الدرس المتأنى لمادة الكتاب .

وهناك احتمال وارد عن خطأ فى تاريخ وفاة على بن خلف .

ونبدأ الآن فى عرض أصول الكتاب وموضوعاته ، وآثاره فى الكتابة ، والكتاب فى مصر منذ القرن الخامس وحتى القلقشندى فى القرن التاسع الهجرى .

ذكر محقق النسخة أنه لم يعثر للكتاب إلا على نسخة واحدة بمكتبة السليمانية باستانبول ورقمها ٤١٢٨ ، وعدد أوراقها ٢٠٢ ورقة ، وعدد الأسطر فى الصفحات ١٥ سطرًا .

وجاء اسم المؤلِّف تحت العنوان «مواد البيان» ، تصنيف الشيخ الإمام العلامة أبى الحسن على بن خلف بن على بن عبدالوهاب الكاتب بحمد الله تعالى .

ونلاحظ على اسم المؤلِّف خلافًا لما جاء فى كتب التراجم ، فقد جاء فى ترجمة الصفدى ـ كما ذكرنا ـ «على بن محمد بن خلف ، وكنى بأبى سعد وليس بأبى الحسن» .

ويبدو أن هذا التحريف فى اسم المؤلف راجع إلى رداءة النسخة الوحيدة المعتمدة ؛ لجهل الناسخ الذى ظهر فى كثير من المواضع ، والذى أشار المحقق إلى كثير من مظاهره ، كالأخطاء اللغوية والإملائية ، فضلا عن تصحيفه لبعض أسماء الأعلام والأماكن ، ذلك كله إلى كثرة السقط فى النسخة ؛ من كلمات مفردة إلى عبارات ، إلى أشطر من الشعر كاملة ، كما أن الناسخ ـ لجهله بالعروض ـ أضاف بعض الألفاظ وأسقط أخرى فاختل الوزن فى كثير مما جاء بالنسخة من أبيات الشعر[١] .

ومع أنه ـ أى الناسخ ـ يتبع بعض أصول النسخ وقواعده إلا أنه لا يطبقها دائما ؛ لقلة خبرته فيما يبدو .

ويشير المحقق إلى أنه لاقى صعوبة فى تقويم النص لاعتماده على هذه النسخة المفردة ، وإن جعل مما نقله القلقشندى فى صبح الأعشى مرجعًا له[٢] .

ومع هذا الجهد الذى بذله المحقق فقد ندَّت منه أشياء يضيق المجال عن تعقبها .

ويكفى أن المحقق قد بعث هذا النصَّ من مرقده ، وأوقفنا عليه بعد طول غياب ، مع أهميته فى التعرف على هذا التراث من سلسلة الكتب التى تتصدى لصناعة الكتابة عامة ،

(١) مواد البيان ، ص ١٤ .
(٢) مواد البيان ، ص ٥ وما بعدها .

والديوانية على الأخص ، والتى يعد «مواد البيان» من حلقاتها المفقودة التى تعرف بالتراث المصرى .

ويقوم الكتاب على مقدمة وعشرة أبواب :

أما المقدمة فيتحدث فيها المؤلف عن صنعة البيان ، وأن فضل القُدماء فيه راجع إلى اختراع المعانى ، وفضل المحدثين فى أنهم أبدعوا وجددوا ، وليست المعانى قاصرة على القدماء وحدهم ؛ إذ المعانى قائمة فى نفوس المميزين ، وهو يرى أنه بعمله هذا إنما يأتى بفضيلة فى استدراك ما أغفلوه ، وتجلية ما أغمضوه ، يقول : «وأقدرنا الله على ما حملوه عنا من مؤونة الابتداع ، وألقوه على قرائحنا من فضل الاتباع على تفصيل ما أجملوه ، وتلخيص ما أسهبوه ، فلهم حق التشكيل والتركيب ، ولنا حق التكميل والترتيب»[١] .

هذا فيما يتصل بالبيان عامة ، وأما ما يتصل بالكتابة الديوانية فيقول مشيرًا إلى من سبق إلى التأليف فيه : «إلا أننا لما طالعنا الكتب الموضوعة فيها وجدنا أكثرها معدولا به عن طريق القصد إليها ؛ لأن من الواضعين من اختصر وقصَّر ، ومنهم من أسهب وكثَّر ، ومنهم من شغل كتابه بأجزاء من العلوم القائمة بأنفسها ، الموجودة فى مظَانّها لما للصناعة من شركة فيها ، وأخلَّ بما هو فى نفسها وهو أخصّ بها ، ومنهم من اقتصر على إيداع كتابه رسومًا لا تستعمل إلا فى دولة بذاتها ، وبلاد بعينها ، فلا ينتفع بكتابه فى غيرها ، ومنهم من نصَّ على طريقة قد صار عرفها وأمرها إمرًا ؛ لوقوع الاصطلاح على هجرها وإلغائها ، والاستبدال منها بما هو أليق بالزمان والمكان وأهليهما ، ومنهم من استوفى الفن الذى مهر فيه وتدرب به ، وقصَّر فى غيره من الفنون الأُخر ، وهى من أجزاء الصناعة وأقسامها . فرأينا لذلك ـ وبالله التوفيق ـ أن نصنف كتابًا جامعًا لأصولها وفروعها ، ورسومها المستعملة وأوضاعها ، وأقسام البلاغة وأنواعها ؛ ليكون علمًا يهتدى بناره ، ودليلا يسعى على آثاره»[٢] .

وبناء على ما جاء فى المقدمة قسّم أبوابه العشرة على جانبى صنعة البيان عامة أو البلاغة وخصائصها ، والكتابة الديوانية ورسومها ، فجاءت كما يلى :

الباب الأول : فى حد صناعة الكتابة ، وفضيلتها ، ومنفعتها وقيمتها ، ورسم الكتاب ، وعلة وضعه .

---

(١) مواد البيان ، ص ٢٦ .
(٢) مواد البيان ، ص ٢٧ .

الباب الثانى : فى البلاغة وأقسامها الأصلية .

الباب الثالث : فى أقسام البلاغة الفرعية .

الباب الرابع : فى صناعة البديع وأبوابها .

الباب الخامس : فى ما يخرج الكلام عن أحكام البلاغة .

الباب السادس : فى أن الطبع هو قوام الصناعة ونظامها ، واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها .

الباب السابع : فى أوضاع الخط وقوانينه ، وترتيب الصدور والأدعية ، والعنوانات ، والتاريخ ، والختم .

الباب الثامن : فى رسوم المكاتبات .

الباب التاسع : فى آداب الصناعة .

الباب العاشر : فى آداب السياسة .

ومن تقسيم موضوعات الكتاب على أبوابه نلاحظ أن الحديث عن صنعة البيان أو البلاغة وأقسامها وخصائصها يتفرق على الأبواب الستة الأولى ، وتختص الأبواب من السابع إلى العاشر برسوم الكتابة الديوانية .

وقد كان لعلى بن خلف وكتابه أثر واضح فى الكتّاب الفاطميين ومن جاء بعدهم ، كما أشرنا من قبل ، ولعل منهجه فى نثر النظم ونظم النثر كان من أهم تقنيات فن الرسائل فى عصر الفاطميين ، خلافا لطريقة كتاب العباسيين ، أمثال ابن العميد والصاحب ابن عباد ، حتى إن طريقة القاضى الفاضل الذى تأثر كثيرا بكُتّاب الفاطميين قد نسخت طريقة ابن العميد ، كما ذكر فى كثير من المصادر . وتبعه من سار على الدرب الفاضلى من كتاب العصور التالية ، أمثال محيى الدين عبدالظاهر ، وابن سناء الملك .

أما من تأثروا بمنهجه فى كتاب «مواد البيان» فجماعة من الكُتّاب والمؤلفين ؛ بعضهم من العصر الفاطمى وأوائل العصر الأيوبى ، وكثير منهم بعد ذلك حتى العصر المملوكى ، والقلقشندى فى القرن التاسع الهجرى .

وأول من اقتصر فى مؤلفه على جانب الرسائل الديوانية ورسومها : على بن أنجب الصيرفى فى كتابه «قانون ديوان الرسائل»[١] ، وعلى الرغم من وضوح اعتماده فى كثير من

(١) طبع هذا الكتاب بعناية على بهجت سنة ١٩٠٥م .

مادة كتابه على كتاب «مواد البيان» فإنه لم يورد له ذكرًا ، ومعروف أن ابن الصيرفى من كتّاب أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، وهو كاتب الأفضل بن بدر الجمالى الذى قتل ابن على بن خلف ، فلعل هذا كان من الأسباب التى منعته من أن يذكر الكتاب وصاحبه .

وثانى هؤلاء الكتاب هو : عبدالرحيم بن على بن شيث صاحب كتاب **«معالم الكتابة ومغانم الإصابة»**[1] ، وهو مؤلف مختصر يكاد يختصر فيه أكثر ما جاء فى **«مواد البيان»** من موضوعه العام المتعلق بالحديث عن البلاغة والكتاب ، والخاص المتعلق بكتابة الرسائل الديوانية ورسومها ، ويقسمه ثمانية أبواب يختلط فيها الخاص بالعام . ويأتى بعده كتاب **«قوانين الدواوين»** لابن مماتى ، وهو خاص برسوم دواوين الدولة ، ويخص الموضوع الثانى فى كتاب **«مواد البيان»** ، ثم يأتى بعده كتاب شهاب الدين محمود **«حسن التوسل»** .

ويؤلف ضياء الدين بن الأثير كتابيه : **«المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر»** و**«الجامع الكبير»** ، متبعًا نهج أبى هلال فى **« الصناعتين»** ، وكتابيه الصغيرين : **«الوشى المرقوم»** و**«مفتاح المنشا فى صناعة الإنشا»** فى صنعة الكتابة . ويتبعه عماد الدين بن الأثير فى **«جوهر الكنز»** ؛ لينهج النهج نفسه مع التأثر بـ **«العمدة»** لابن رشيق .

ثم يختتم هذه السلسلة القلقشندى بكتابه الموسوعة **«صبح الأعشى فى صناعة الإنشا»** ، فيعود مرة أخرى إلى ما اختطه صاحب **«مواد البيان»** ليُوقف كتابه على صناعة الإنشاء فى ديوان الإنشاء أو الرسائل ، وما ينبغى على كتاب ذلك الديوان اتباعه ؛ من التعرف على أصول صناعة الكتابة أو الإنشاء ، ووجوب الدراية بفنون البلاغة ورسوم الكتابة ، والخطوط والمعارف الخاصة بالدواوين المختلفة ، ورسوم المملكة وأعمالها . . إلى غير ذلك .

ولعلى لا أكون مغاليًا فى القول بأنه أكثر من جاء بعد على بن خلف تأثرًا بمنهجه ، وإن توسع وأطال حتى بلغ مُصنَّفُه أضعاف **«مواد البيان»** ، إلا أن النهج قريب ، واستعانته به فى كثير من مادة الكتاب أوضح من أن ينبه عليها . وقد وقف على نسخة كاملة منه وضعها أمامه حين صنف موسوعته . فمن حيث الشكل جارى ابن خلف فى بناء الكتاب على مقدمة وعشر مقالات ، مغيرًا بذلك أبواب ابن خلف إلى مقالات . إلا أنه خالف ابن خلف

---

(١) طبع .

فى تكثيف القول فى رسوم الكتابة ومعارف كُتّاب الدواوين وثقافتهم ، كما أطال فى حديث الخطوط وأنواعها إلى غير ذلك ، وهو ما أوجزه ابن خلف فى أبوابه من السادس إلى السابع . وجرى الحديث عند القلقشندى فى أمور من ثقافة الكاتب التاريخية والسياسية والجغرافية ، مما جعل الكتاب موسوعة علمية جامعة لعلوم العصر ، وليس مجرد كتاب عن فنون الكتابة والإنشاء .

* * *

ديوان المسيب بن علس
في طبعته الأخيرة
قراءة نقدية

أحمد سليم غانم *

إن الإيجابيات فى عمل كثير من المحققين لاتخفى عنا بعض السلبيات التى ترافق العمل ، والإشارة إليها ليس من باب التهويل والتشنيع ، وإنما الغاية منها التنبيه إليها ؛ لتتجنبها الأجيال من الشباب الجامعى فى مراحلهم الأولى من ممارسة تحقيق النصوص .

ومن هذا الباب عرضنا لديوان المسيب بن علس ، جمع وتحقيق ودراسة د .عبدالرحمن محمد الوصيفى ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٣م ، ويقع الكتاب فى ١٤٧ صفحة .

وقد اعتمد المحقق نشرة جاير لشعر المسيب بن علس ضمن «كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير» ، إضافة إلى ٤٢ مصدرًا ومرجعًا مطبوعًا [١] ، جمع منها ١٩٠ بيتًا فى قسمين ، أولهما : الشعر الثابت له [٢] وثانيهما : الشعر المشكوك فيه[٣] ، واشتمل الديوان على أربعة أقسام ، الأول : التقديم ، والثانى : الدراسة ، والثالث : الديوان ، والرابع : الفهارس الفنية ، إضافةً إلى الإهداء .

وعند اطلاعى على[الديوان] ودراسته من الداخل ، عَنَّت لى بعض النظرات النقدية التحقيقية ، أحببتُ إيرادها هنا ؛ خدمة لتراثنا العربى الجليل . وأوردها هنا مرتبةً على أقسامه :

أولاً : مقدمة الديوان :

(١) ذكر المحقق على الغلاف الخارجى ما قام به من جمع لشعر المسيب بن علس بقوله : «ديوان المسيب بن علس ـ جمع وتحقيق ودراسة» ، وعلى الغلاف الداخلى ذكر أيضًا «ديوان المسيب بن علس ـ جمع وتحقيق ودراسة» ، وعلى الغلاف الداخلى ذكر ـ

(*) باحث فى التراث .

(١)ديوان المسيب بن علس ، ص ١٤٠ ـ ١٤٥ .

(٢) الديوان ، ص ٦١ ـ ١٣٠ .

(٣) الديوان ، ص ١٣١ ـ ١٣٤ .

أيضًا ـ «ديوان المسيب بن علس» (١) ، ثم على غلاف داخلى آخر نجد «شعر المسيب بن علس . . .»(٢) ، وفى أثناء المقدمة يصف المحقق عمله حينًا بأنه « ديوان المسيب بن علس» (٣) ، وحينًا آخر بأنه « شعر المسيب» (٤) .

والصواب أن يذكر على الغلاف الخارجى كلمة (مجموع شعر أو شعر) وليس (ديوان) ؛ لأن ديوان المسيب بن علس المخطوط لم يصل إلينا ، وإنما نتلقّط شعره من المصادر والمراجع ، كما صنع جاير أول جامع لشعره .

(٢) تعرض المحقق لطبعة جاير السابقة لعمله ، فوصفها وقيّمها ، وبيّن الأسباب التى جعلته يعيد تحقيق[الديوان] ، مشيرًا إلى أهم ما قام به من إضافات ، وذكر أن «هذه النشرة تعد الآن المصدر الأساسى والأول لشعر المسيب بن علس ؛ إذ لا يوجد بين أيدينا أى مجموع آخر لشعره»(٥) .

وفات المحقق أن شعر المُسَيِّب بن عَلَس جُمع مرتين ، لم يعلم عنهما شيئًا ، ولم يفد منهما على الأرجح ، أولاهما : المسيب بن علس حياته وشعره ، تحقيق أيهم عباس حمودى (كلية الآداب/ جامعة بغداد) ، مجلة المورد ، مج ٢٠/ع١ ، ١٩٩٢م ، والثانية : شعر المُسَيَّب بن عَلَس ، تحقيق أنور عليان أبو سويلم ، ط١ ، الأردن ، جامعة مؤتة ، ١٩٩٤م(٦) .

وأدعو المعنيين بالتراث العربى والإسلامى إلى تضافر الجهود لعمل ببليوجرافى موحّد يجمع ما نُشر من دواوين الشعر ومجاميعه ، إضافة إلى المستدركات والزيادات والمقالات النقدية التى تناولت الأشعار المجموعة والمحققة(٧) ؛ حتى يعود إليه الباحثون المعنيون بتحقيق دواوين الشعر ، وجمع الأشعار ؛ للوقوف على جهود السابقين وتجنب التكرار .

---

(١) ديوان المسيب ، ص١ .
(٢) الديوان ، ص ٣ .
(٣) الديوان ، ص٨ .
(٤) الديوان ، ص٨ .
(٥) الديوان ، ص ٥٠ ، ٥١ .
(٦) ذُكِرَت النشرتان فى معجم الشعراء الجاهلين ٣٣٦ .
(٧) قام الدكتور محمد جبار المعيبد بشئ من هذا الذى أدعو إليه ضمن سلسلة فهارس مساعدة لـ « المعجم الشامل» تحت عنوان فهرس «دواوين الشعر والمستدركات فى الدوريات والمجاميع» ، كما نجد شيئًا من هذا على ـ غير اطراد ـ فى «معجم الشعراء الجاهلين» ، و«معجم الشعراء المخضرمين والأمويين» لعزيزة فوّال بابتى ، فهى تذيل ترجمة الشاعر ، ومصادرها بديوانه ، وبعض ما قام حوله من دراسات فى أحيان غير قليلة .

(٣) ذكر المحقق فى تقديمه للديوان الدافع الأساسى وراء عمله ، قائلاً : « ولما كان الشعراء المقلون فى الجاهلية هم الذين تجنبهم جهد الباحثين فى العصر الحديث ، لاسيما إذا كان شعرهم لايوجد فى ديوان مخطوط ، فقد وَلّيْتُ وجهى شطرهم . . .»[١]

وأقول : إن غير واحد من الباحثين والعلماء والمحققين انصبّ جهدهم التحقيقى ـ فى شطر منه ـ تجاه الشعراء الجاهليين المقلين ، ومن هؤلاء : د . حاتم صالح الضامن فى كتابه «شعراء مقلون» ، حيث تضمن خمسة من الشعراء المقلين[٢] ، ومنهم ـ أيضًا ـ د .عادل الفريجات فى كتابه «الشعراء الجاهليون الأوائل» ، واشتمل كتابه على دراسة علمية رصينة لقضايا توثيق الشعر الجاهلى ، كما اشتمل على مجموع أشعار أربعين شاعرًا جاهليًا مقلاً ، ومنهم أيضا د . أحمد محمد عبيد فى كتابه «شعراء جاهليون» [٣] ، إذ قام فيه بجمع أشعار ثلاثة شعراء من المقلين[٤] .

بالإضافة إلى الجهد التحقيقى المبذول تجاه أقران المسيب بن علس الثلاثة المقلين عند ابن سلام [٥] . وهم : سلامة بن جندل[٦] ، وحصين بن الحمام المرى [٧] ، والمتلمس الضبعى[٨] . وقد استشهد المحقق بنص ابن سلام مستنتجًا تأخر طبقتهم عنده بناءً على قلة شعرهم [٩] .

ثانيا : الدراسة :

(١) قام المحقق بوضع دراسة بين يدى [الديوان] استغرقت ٤٥ صفحة من صفحاته ، تناول فيها نسب الشاعر وأهم الملامح فى شعره ، ووصف نشرة جاير التى لا يوجد بين يديه غيرها ، موضحًا عمله فى شعر المسيب وإضافاته الجديدة للديوان .

---

(١) ديوان المسيب ، ص٧ .

(٢) الشعراء الخمسة هم : سويد بن قراع العكلى ، وقيس بن الحدادية ، والكمتب بن معروف الأسدى ، والمخبّل السعدى ، ونهشل بن حرى .

(٣) صدر الكتاب عن المجمع الثقافى فى أبى ظبى ، ودار الانتشار العربى فى بيروت .

(٤) والشعراء الثلاثة هم : زهير بن جناب الكلبى ، وعبد المطلب بن هاشم القرشى ، وحاجز بن عوف الأزدى ، وقام د .عادل الفريجات بجمع شعر زهير بن جناب الكلبى قبل ذلك فى كتابه «الشعراء الجاهليون الأوائل» ، كما قام د .يحيى الجبورى بجمع شعر حاجز بن عوف الأزدى فى مجلة البلاغ ، بغداد ، ع٦ ، ١٩٧٦م ، وأعاد نشره فى مجلة المورد ، بغداد ، مج ٩/ع٢ ، ١٩٨٠م ، كما نشر قصيدتان له وبقية شعره أيضا فى كتابه «قصائد جاهلية نادرة» .

(٥) طبقات فحول الشعراء ج١ ، ص١٥٥ ، وانظر أيضا العمدة ، ص٢١٩ ، والمزهر ، ص٤٨٦ .

(٦) ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخر الدين قبارة .

(٧) جمع شعره مهدى عبيد جاسم فى مجلة المورد ، بغداد ، مج ١٧/ ع٣ ، ١٩٨٨م .

(٨) ديوان شعر المتلمس الضبعى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، ط٢ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧م

(٩) ديوان المسيب ، ص٢٠ ، ٢١ ، ولايخفى أن ما توصل إليه المحقق معروف متداول عند نقادنا المحدثين والمعاصرين .

وأقول : إن الناقد للنص الأدبى ليس بالضرورة محققًا له ، والمحقق ليس بالضرورة ناقداً ، وقد جمع بعض الباحثين البارزين بين الفنين ، ويكون عملهم فيهما مقنعًا ، على أن الالتزام المتخصص أصبح متحتمًا ؛ حتى يستطيع الباحث أن يقوم بعمله مستوفيًا فيه الشروط والضوابط التى أصبحت محددة ، وعليه فليس من الضرورى - فى رأيى - أن يقوم المحقق بدراسة فنية للشعر المجموع ، فهذا أمر آخر مغاير لعمل المحقق يقوم به أناس مختصون ، بعد حصولهم على نص محقق مضبوط .

وربما كانت العناية بعمل إحصائيات تعنى بعدد القصائد وعدد المقطوعات وعدد أبياتها ، وذكر أطول قصيدة ، ونسبة القصائد الطويلة إلى المقطوعات القصيرة ، ورصد تكرار البحور الطويلة والقصيرة لدى الشاعر ، ونسبة هذا التكرار ، بالإضافة لرصد أنواع القوافى وتكرارها ونسبة استخدام القوافى الذلل والنفر والحوش ، وكذا رصد الأغراض الشعرية والظواهر المصاحبة لها - ربما كان ذلك كله يمثل مهاداً رئيسًا يستطيع المحقق توفيره للدراسين المتخصصين فى رصد الظواهر الأدبية ، وربطها بالحركة النقدية القديمة والحديثة على السواء ، لاسيما وأن الدراسة الفنية التى قام بها المحقق اعتمدت أساسًا رئيسًا واحدًا ، هو نثر أبيات للمسيب بن علس بشكل مبسط ؛ حتى يتسنى للمثقف العادى التعرف على شعره ، على الرغم من أنه حاول أن يضع ذلك فى قوالب موضوعية من مثل : قبيلته ، والمديح فى شعر المسيب ، وصورة الفارس المقاتل ، والفارس الكريم ، والحلم والفصاحة والعقل[1] .

(٢) اشتملت الدراسة على عرض المحقق لاسم الشاعر ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته وقبيلته[2] . وقد بذل جهدًا طيبًا ، إلا أنه قد فاته عدد من المصادر والمراجع التى كان يجب أن يستأنس بها[3] فيما قام به من جهد ؛ ليتلافى تكرار جهود سابقة ، من مثل ما توصل إليه من تصحيح نسب المسيب بن علس إلى ضبيعة بن ربيعة بن نزار[4] ، بعدما اتفق عدد

---

(١) ديوان المسيب ، ص٢١ ـ ٤١ .

(٢) ديوان المسيَّب ، ص ١٣ - ٣٠ .

(٣) أدب الكاتب ٧٢ ، والمزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، ط٣ ، القاهرة ، دار التراث ، د . ت ، ج٢ ، ص٤٧٧ ، ٤٨٦ ، وشرح اختيارات المفضل ، ج١ ، ص٣٠٢ ، والأعلام ، إعداد بسّام عبد الوهاب الجابى ، ط٢ ، قبرص ، الجفان والجابى ، ١٩٨٧م ، ص٨٣٩ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، تحقيق كرنكو ، ط١ ، بيروت ، داخل الجيل ، ١٩٩١م ، ص٢٦٩ ، ومعجم الشعراء الجاهليين ، ص٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ومعجم الشعراء من العصر الجاهلى حتى نهاية العصر الأموى ، عفيف عبد الرحمن ، ط ١ ، بيروت ، دار المناهل ، ١٩٩٦م ، ص٢٥٢ .

(٤) ديوان المسيب ، ص١٥ .

من القدماء والمحدثين على خطأ شائع فى نسبته إلى بنى بكر بن وائل ، واستغرق هذا الأمر أربع صفحات من الدراسة [١] .

وقد جاء فى شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزى أنه «شاعر جاهلى معدود من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار . . . وقد وهم ابن قتيبة ، فجعل المسيب من شعراء بكر بن وائل»[٢] .

(٣) استشهد المحقق بشعر المسيب فى أثناء حديثه عن نسبه ، ولكنه نقل الشعر فى الدراسة كما جاء فى متن الديوان بهوامشه كاملة . وكان يكفيه الاستشهاد بالشعر فقط ، أما اختلاف الروايات والشرح والتعليق . . إلخ فلامكان له فى الدراسة ، خاصة أنه أعاده مرة أخرى بتمامه فى متن الديوان [٣] ، إضافة إلى أنه شغل ثلاث صفحات من الدراسة [٤] كان عليه أن يجتزئ عنها بعشرة أسطر فقط .

(٤) تحدث المحقق فى الدراسة عن ديوان المسيب ، ووصف نشرة جاير [٥] ، ووثق الشعر ، مصححًا ماورد خطأ فى نشرة جاير ، ثم قال : «وقد قسمنا شعر المسيب بعد التحقيق الدقيق إلى قسمين ؛ الأول : مايثبت له ؛ والآخر : شعره المشكوك فيه . فكان القسم الأول كل شعر الشاعر عدا المقطوعتين (١٨ ، ٢٥) [أى فى نشرة جاير] [٦] .

وقد وهم المحقق فى ترجيحه نسبة المقطوعة (١١) إلى المسيب ، وتضمينها شعره الثابت له ، على النحو التالى : «الأبيات فى نشرة جاير[؟؟] ، والأول والثانى فى معجم ما استعجم [؟؟] لزهير بن جزيمة [كذا] فى رثاء ابنه شأس ، ونرجح عزوها إلى المسيب بن علس ؛ لأن فارس الجرادة ليس شأس بن زهير»[٧]

وقد نسبت الأبيات للمتلمس الضبعى فى ديوانه ٢٣٦ - ٢٤٤ ، وهى فيه(١ ، ٢ ، ٤) ، واللسان (دوم) ، وللمسيب وللمتلمس بترجيح نسبتها للمسيب فى معجم البلدان(منابض) ، والأول للمتلمس فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنبارى١٢٣ ، وروايته :

---

(١) ديوان المسيب ، ص١٥ - ١٨ .
(٢) ج١ ، ص ٣٠٢ .
(٣) ديوان المسيب ، ص٦٩ - ٧٣ .
(٤) ديوان المسيب ، ص٢٧ - ٢٩ .
(٥) ديوان المسيب ، ص٥٠ - ٥٢ .
(٦) ديوان المسيب ، ص٥٣ ، ٥٤ .
(٧) ديوان المسيب ، ص١٠٣ .

ومبايض ، والثانى للمتلمس فى اللسان (نبق) وروايته :

والبيت ذو الشرفات من   سنداد والنخل المنبق

وعليه فالأوفق أن تحذف المقطوعة من الثابت النسبة للمسيب ، وتضاف إلى شعره المشكوك فى صحته ، أو بالأحرى ما نُسب له ولغيره .

كما وهم المحقق فى إدراج أبيات المقطوعة (٢٤) ضمن الشعر الثابت له ؛ إذ وردت ضمن المنسوب للمتلمس الضبعى فى ديوانه ، ص٣١٨ - ٣٢٠ ، والأول فى المعانى الكبير ١/ ٥٧٥ ، والشعر والشعراء ١/١٨٩ ، والمسيب فى سر الفصاحة ، ص٢٤٨ فضلاً عن اضطراب نسبة البيت الثالث بين ثلاثة شعراء ، هم : المسيب بن علس ، والمتلمس - كما سلف - وبشر بن أبى خازم الأسدى ، ديوانه ٢٠٢ ، واللسان (حصب) ، ورواية الديون : (كأن على أنسائها) .

ولمحقق ديوان المتلمس الضبعى - رحمه الله رحمة واسعة - تحقيق واسع حول اضطراب نسبة الأبيات بين أربعة شعراء ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، وعليه فالأوفق إدراج الأبيات ضمن شعره المشكوك فيه ، وبالأحرى فيما نسب له ولغيره .

(٥) فات المحقق أن يراجع تجارب الطباعة قبل طبع الديوان ، ونشأ عن ذلك العديد من الأخطاء الإملائية ، التى أحسب أن السبب الوحيد لورودها هو التعجل وعدم المراجعة ، وتنحصر الأخطاء الإملائية فى قسمين : الأول يتعلق برسم الياء ؛ حيث جمع بين طريقتين فى كتابتها ، إحداهما الياء الشامية - كما يطلقون عليها - والأخرى الياء المصرية ، ولا أدرى أيهما أراد ، كما وردت كلمة (ابن) أحياناً بهذا الرسم بين اسمين .

أما القسم الثانى فقد جاء على النحو التالى : كثيرًا : كثيرًا[١] / الأدب : الأب/ الأدب : الآداب[٢] / رواية : راوية [٣] / الاطلاق : الإطلاق/ الأخر : الآخر[٤] / دائما : دائمًا [٥] / وكثيراً : وكثيرًا [٦] / الأخر : الآخر [٧] / أحدبوا : أجدبوا [٨] .

(١) ديوان المسيب ، ص ١٣ .
(٢) الديوان ، ص ١٥ .
(٣) الديوان ، ص ١٧ .
(٤) الديوان ، ص ١٨ .
(٥) الديوان ، ص ٣٦ .
(٦) الديوان ، ص ٣٧ .
(٧) الديوان ، ص ٥٥ .
(٨) الديوان ، ص ٦٣ .

(٦) جاء فى حديث المحقق عن المديح فى شعر المسيب مانصه : « . . . إذ عدوا ابن أخته وراويته الأعشى بأنه أول من تكسب بالشعر»[١] .

وكلمة «بأنه» لامحل لها فى تركيب الجملة ؛ إذ الفعل «عد» يتعدى بدون واسطة إلى معموله .

(٧) يورد المحقق كلمة (زوج) المراد بها الحليلة بقوله (زوجة)[٢] ولا بأس فيما صنع ، ولكن الأفصح أن تطلق كلمة (زوج) على الرجل والمرأة على السواء ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[٣] وقال أيضًا : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾[٤] وكما ذهب لذلك الأصمعى أيضًا [٥] .

ثالثا : الديوان :

(١) بذل المحقق جهدًا طيبًا فى ضبط الشعر ، وشرحه شرحًا جامعًا ، معلقًا على ماتخلله من أسماء الأماكن والبلدان والأعلام وغيرها تعليقًا مطولاً .

(٢) كما عُنى بتخريج الشعر المجموع على عدد من المصادر والمراجع ، إلا إنه قد فاته غير قليل منها . ورغبة منا فى خدمة مجموع شعر المسيب وتوثيق نصوصه ـ قمنا بإثبات هذه التخريجات ، ورتبناها على قوافى المجموع ، وتسلسل المقطوعات والأبيات ، ورعاية للاختصار أثبتنا بعضًا من اختلاف الروايات .

(١) ١/٣ ، ٢ فى شرح نهج البلاغة ٢٤٧/٣ ، ورواية الأول : ففيها لذى قوة مغضب ، ورواية الثانى : وقد يقعد القوم فى دارهم ، و٣/١ ـ ١٥ فى الاختيارين ٤٢٥ -٤٣١ ، و ٣/١ ، ٢ ، ٤ ، ١٠ ـ ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ فى الحماسة للبحترى ٧٠/١ ، ٧١ ، و٣/٣ فى أساس البلاغة ٢٦٨ (ضرب) ، و٣/٣ ، ٣٥ فى المعانى الكبير ٩٣٦/٢ ، ١١١١ ، و٣/٧ فى التاج (هلب) ، و٣/١١ فى الفاخر ٢٤٠ ، و٣/١٧ ـ ١٩ فى زهر الآداب ، ١٠٢٨ ، و٣/١٨ فى شرح نهج

---

(١) الديوان ، ص ٣١ .
(٢) الديوان ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .
(٣) البقرة ، آية ٣٥ ، والأعراف ، آية ١٩ .
(٤) النساء ، آية ٢٠ .
(٥) اللسان (زوج) ، وذكر الفرزدق الكلمة بالهاء فى قوله :

وإن الذى يسعى يحرش زوجتى كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقد احتجوا به على رأي الأصمعى ، ولكنه احتج بما ورد فى القرآن الكريم ، اللسان (زوج) .

البلاغة ١٩/ ٣٤٨ ، ٣٤٩ وروايته : وأخلاقهم ، و ٢٠/٣ ، ٢١ فى شرح نهج البلاغة ٢٤٧/٣ ، ورواية الأول : له مطعم ، ورواية الثانى : ضيمهم مهرب ، و ٣٧/٣ فى العمدة ٥٣٠ .

(٢) ١/٤ فى الحيوان ٤٨٧/٣ .

(٣) ١/٥ فى المعانى الكبير ٧١٩/٢ .

(٤) ١/٦ فى المعانى الكبير ٨٠١ ، وجمهرة اللغة ١٢٢٨ ، وللمتلمس فى ديوانه ٢٢٨ .

(٥) ١/٧ فى التاج (فتر) ، ٣/٧ عجزه فى اللسان والتاج (فرد) ، وبلا نسبة فى جمهوه اللغة ٦٣٥ ، ومجالس العلماء ٨١ ، وروايته : فى ظل فاردة ، ونضرة الإغريض فى نصرة القريض للمسيب ٢١٣ ، و٥/٧ ـ ١٦ فى شعراء البحرين فى العصر الجاهلى ٢٠١ ، و ١٣/٧ فى أدب الكاتب ٣٥٩ ، وانظر تخريجه هناك ، وشرح الرضى على الكافية ٤٢/٢ ، وشرح شواهد المغنى ٨٧٨/٢ ، وهمع الهوامع ٢٥١/٢ ، والتاج (نصف) ، و ١٨/٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ فى الشعر والشعراء ١٧٥/١ ـ ١٧٧ ، و ١٩/٧ التاج (شرق) ، و٢٠/٧ أساس البلاغة (سرب) ، و ٢٠/٧ ـ ٢٦ المعانى الكبير ٦٢٥ ، و ٢٤/٧ التاج (عسب) ، و ٣١/٧ ـ ٣٤ فى الحماسة البصرية ٤٤٤/١ ، ورواية الأخير : راث الصريخ ، و ٣٤/٧ فى شرح الرضى على الكافيه ٢٤٩/٣ ، وروايته : دعيت نزال ، و ٣٦/٧ فى أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ٢٧١ .

(٦) ١/٩ ـ ٢٦ فى شرح اختيارات المفضل ٣٠٣/١ ـ ٣٢٠ ، وكتاب الاختيارين ٣١٧ ـ ٣٢٨ ، والمفضليات ٦٠ ـ ٦٣ ، ٢/٩ فى مجاز القرآن ١/ ٣٦٧ ، وروايته : ليست بأنكاف ، و ٩ / ٤٢٣ فى سمط اللآلى ١٧٨ ، و٣/٩ ـ ٥ فى شعراء البحرين فى العصر الجاهلى ١٨٣ ، و٩/ ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ فى المعانى الكبير ٤١٥، ٣٣٨ ، ٨٠٣ ، ٤٠٨ ، ٢٧٨ ، و٩/ ٧ – ١٤ فى شعراء البحرين فى العصر الجاهلى ١٦٢ ، و ٧/٩ ، ٩ ، ١٢ فى الموشح ١١٧ ، و٨/٩ فى الحيوان ٤/ ٣٩٩ و ١١/٩ فى الوساطة ١٢ و١٣/٩ فى شعراء البحرين فى العصر الجاهلى ٢٤٨ ، وكتاب التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء ٧٢٤/٢ و ١٥/٩ ، ١٦ فى نضرة الإغريض فى نصرة القريض ٩ ، و١٩/٩ فى اشتقاق الأسماء للأصمعى ١٠٥ ، وشرح نهج البلاغة ١٥٩/١٢ (الهامش) ، وروايته : فى الأوزاع ، وشعراء البحرين فى العصر الجاهلى ٢٣٧ ، و٢٤/٩ فى أساس البلاغة (ذمم) .

(٧) ٦/١٢ فى الحيوان ٤٨٨/٣ ، والمحب والمحبوب ١٨٢/١ ، وروايته :

تاقتْ فؤادَكَ إذ عَرَضْتَ لها   حَسَنٌ برأى الحُبٌ ما تمقُ

و٦/١٢ ، ٧ فى الشعر والشعراء ١٧٧/١ و٢٢/١٢ فى المعانى الكبير ٩٧٦ وبلانسبة فى جمهرة اللغة ٢١٧ .

(٨) ٥/١٥ ـ ٧ فى الحيوان ٣٣٥/٦ ، ونسبت أيضا لغيلان بن سلمة ، ورواية السادس : عقلاً بدلاً من عقمًا ، وألوانها بدلاً من أطرافها ، و٧/١٥ فى جمهرة النسب للكلبى ٣٤٣ ، وروايته : فلذى ، و٧/١٥ ، ٨ دون عزو فى الكامل ٧٧/٢ ، والبرصان والعرجان ٦١ والسابع فقط ٢٦٢ و١٢/١٥ ، ١٣ فى شعراء البحرين ١٤٠ ، و١٤/١٥ ـ ١٦ فى شعراء البحرين ١٧٥ .

(٩) ٢/١٧ ، ٣ فى التذكرة الفخرية ٢٠٤ ، ولابن مقبل فى ديوانه ٢٠٧ ، والمعانى الكبير ٤٤٧/١ ، وللمسيب فى فصول التماثيل فى تباشير السرور ١٢٣ .

(١٠) ١/٢١ ـ٥ فى شرح شواهد المغنى ١٥٦/١ ، وخزانة الأدب ٢٢٤/٤ ، والثانى فى خزانة الأدب ١٤٥/٤ ، ٥٨٠/١٠ وشرح الرضى على الكافية ٣١٣/٤ ، والخامس فى مجاز القرآن ٧١/١ وسمط اللآلى ٩٥٩ ، و٦/٢١ فى التاج (ولث) .

(١١) ١/٢٢ فى الوساطة ٣٠٠ .

(١٢) الشعر المشكوك فيه : ١/١ ، ٢ البيتان للفند الزمانى فى شعره ٣٠٩ (حاتم صالح الضامن)[1] ، وفيما ينسب إلى الفند وإلى غيره من الشعراء فى شعره ٣٦٦ ، ٣٦٧ وتخريجهما ٣٧١ (عادل الفريجات)[2] ومنتهى الطلب ٤٠/٩ ، والأول للفند فى سمط اللآلى٥٠٥ ، وروايته : وقد أختلس الضربة ، والثانى فى ديوان امرئ القيس ٤٧٥ (محمد أبو الفضل إبراهيم) ، وديوان امرئ القيس وملحقاته ٧٧٣/٢ ، وتخريجه ١٠٤١/٣(أنور عليان أبو سويلم ، ومحمد على الشوابكة)والوساطة ١٨٣ ، ومحاضرات الأدباء ١٦١/٣ .

(١٣) ١/٢ للمثقب العبدى فى ديوانه ١٤٤ ، وروايته : مررن على شَرافَ فذات هِجْل وشرح اختيارات المفضل ١٢٤٨/٣ ، والمفضليات ٢٨٨ ، ومع آخر فى شعراء الأمكنة وأشعارهم فى معجم البلدان لياقوت الحموى ٣٣٥/٢ .

(٣) سقط البيت رقم (٨) من المقطوعة رقم (١٢) ، على الرغم من عناية المحقق بتخريجه والتعليق عليه[3] والبيت :

(١) الإحالة هنا على مجلة المجمع العلمى العراقى ، وليست على كتاب عشرة شعراء مقلون .

(٢) جُمع شعر الفند الزمانى من قِبَل عمران بن محمد بن عمران ، ونشر فى مجلة العرب بالرياض سنة ١٩٦٧م ، وأعتذر عن تضمينه التخريج ؛ لأننى لم أستطع الحصول عليه حتى الآن .

(٣) ديوان المسيب ، ص١٠٧ ، ١١١

وكأنَّ غِزْلان الصَّرِيمةِ إذ مَتَعَ النّهارُ وأَرْشَقَ الحَدَقْ

(٤) رتب المحقق شعر المسيب حسب ترتيب القوافى ، وجعله فى مقطوعات بأرقام متسلسلة ، وعلى الرغم من أن المقطوعه (٢٣) ، والمقطوعة (٢٤) على نفس البحر والقافية ، وحركة الروى ـ لم يلتفت المحقق إلى الوهم الذى وقع فيه ؛ بسبب عدم وقوفه على رواية الشعر فى الموشح للمرزبانى ، ومفادها أن المسيب مر بمجلس بنى قيس بن ثعلبة ، فأنشدهم :

ألا أنعم صباحًا أيها الربع واسلم نحييك عن شحطٍ وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله : وقد أتناسى الهم . . . ، فقال طرفة ، وهو صبى يلعب مع الصبيان : استنوق الجمل ، فقال المسيب : ياغلام ، اذ هب إلى أمك بمؤيدة ، أى داهية»[١] .

مما سبق يتبين أن الأبيات من قصيدة واحدة للمسيب اختصرها المزربانى ، وليس الأمر كما وهم المحقق .

(٥) استدركْتُ بيتًا فات المحقق ، وأرجح أن ترتيبه الثالث ضمن المقطوعة (٣) على النحو التالى :

أبلغ ضَبَيْعَةَ أنَّ البلاَ د فيها لِذى حَسَبٍ مَهْرَبُ
فقد يجلس القوم فى أَصْلِهِمْ إذا لم يُضَامُوا وإن أَجْدبُوا
ويرتحل القوم عند الهوا ن عن دارهم بعدما أخصبوا[٢]
فإنَّ الذى كُنْتُم تحذرو نَ جَاءَت عُيُونٌ بِه تضْرِبُ

رابعًا : الفهارس الفنية :

اقتصر المحقق على وضع ثلاثة فهارس فنية لمجموع شعر المسيب ؛ الأول للقوافى ، والثانى للبلدان والأماكن والأنهار ، والثالث للمصادر والمراجع .

ويلاحظ عليها مايلى :

(١) عدم وجود الأنهار فى شعر المسيب بن علس .

(١) الموشح ، ص٩٣ .
(٢) شرح نهج البلاغة ، جـ ٣/ ص ٢٤٧ .

(٢) جاء فهرس القوافى فى ثلاثة حقول ، القافية والبحر والصفحة ، وكان الأفضل أن يكون فى خمسة حقول على النحو التالى :

صدر البيت ـ القافية ـ عدد الأبيات ـ البحر ـ رقم المقطوعة والصفحات .

(٣) جاء الفهرس الثانى على النحو التالى : «الأقرمان ـ ١٠٥/ جوقو ـ ٦٢/ حربة ـ ١٠٥/ الريان ـ ٨٧ / عادية ـ ٦٢/ العالج ـ ١٠٦/ العراق ـ ٨٦ / عرعر ـ ٩٠ ، ١٢١/ العيانة ـ ٦٦/ المزاهر ـ ١٠٥» .

والمطالع لمجموع شعر المسيب يدرك أن الفهرس يعتوره ـ بل يلفه ـ الخلل والسقط ، وقد وضعت الفهرس على النحو التالى : «الأخرمان ـ ١٠٥ / أيمن ـ ٨٥/ الثعلبية ـ ١٠٣ /جو ـ ٦٢/ حربة ـ ١٠٥/ حمير ـ ١٢٩/حومل ـ ١٠٥/ ذات رجل ـ ١٣٤/ الذرانح ـ ١٣٤/ ذات الضال ـ ١٣٤/ السدير ـ ١٠٣ / سنداد ـ ١٠٣/ شراف ـ ١٣٤/ الريان ٨٧/ عادية ـ ٦٢/ عالج ـ ١٠٥/ العراق ـ ٨٦ /عرعر ـ ٩٠ ، ١٢١/ عروى ـ ٧٣/ العيانة ـ ٦٦/فو ـ ٦٢/ الكتيب ـ٦٦/ كراع ـ ١٠٢/ لعلع ـ ١٠٥/ المزاهر ـ ١٠٥/ ملاع ـ ٩٩/ نخلة ـ ٦٩» .

(٤) خصص المحقق الفهرس الثالث للمصادر والمراجع التى اعتمدها فى جمعه لشعر المسيب . ولم يذكر كتاب الصبح الميز فى شعر أبى بصير ، وقد أعتمده أساسًا لنشرته لشعر المسيب بن علس .

ـ اعتمد فى الدراسة عددًا من المصادر والمراجع ، أسقط ثلاثة منها من الفهرس ، وهى : ديوان بنى بكر فى الجاهلية [١] ، والكامل للمبرد [٢] ، وشعر الفروسية[٣] .

ـ ضمَّن المحقق مصادره ومراجعه عددًا من المصادر ، معتمدًا نشرات غير علمية ، علمًا بأن هناك نشرات أخرى أكثر منها دقة ، وهى على النحو التالى :

جمهرة أشعار العرب ، تحقيق خليل شرف الدين ، وقد صدر الكتاب فى نشرتين علميتين : نشرة على محمد البجاوى عن دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ، ونشرة محمد على الهاشمى عن دار القلم بدمشق .

(١) ديوان المسيب ١٦ .
(٢) ديوان المسيب ٢٠ .
(٣) ديوان المسيب ٣٤ .

ـ الحماسة البصرية ، تحقيق مختار الدين أحمد ، وقد حقق د . عادل سليمان جمال الكتاب فى نشرة علمية رصينة ، صدرت عن مكتبة الخانجى بالقاهرة .

ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة القسطنطينية ١٢٨٢هـ ، وقد صدر الكتاب بتحقيق أحمد محمد شاكر ، عن دار المعارف بالقاهرة .

ـ العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، وصدر الكتاب فى نشرة علمية موثقة عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى .

ـ عيون الأخبار ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، وقد صدر الكتاب فى نشرة موثقة ومصححة عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

وأشير إلى أن الأثبات الفنية تعد ركنًا رئيسًا من أركان التحقيق العلمى ، فهى توفر للباحثين أداة لاغنى عنها للوقوع على المادة المطلوبة بأيسر سبيل ، وعليه فتعدد الفهارس لايعد من باب الإطالة ، بل هو أساس التحقيق واجتهاد المحقق ، وقد صنعت خمسة أثبات لشعر المسيب ـ بالإضافة لما قام به المحقق ـ أوردها على النحو التالى :

ـ ثبت الأعلام والقبائل والعشائر :

أسامة ـ ٨٧/ تميم ١٠١/ الجرادة ـ ١٠٢ / ابن جلندى ـ ٧٦/ جناب ـ ٦٢/ حمير ـ ١٢٩/ حميس بن بدر ـ ١٢٤/ ذو الرقيبة [مالك] ـ ١١٦/ سامة ـ ٦٨ ـ ٦٩/ شيبان ـ ٦٥ ، ٦٦/ ضبيعة ـ ٦٣/ طئ ـ ١٢٤/ آل عامر ـ ١٢٥/ عدية ـ ٧٣/ عمارة عبس ـ ١٢٤/ عنز ـ ١٢٩ /فتر ـ ٧٧/ القعقاع ـ ٩٧/قبس ـ ٨٦/ لقمان ـ ٨٧/ مالك ـ ١١٨/ المالكية ـ ٨٣/ نزار ـ ٦٦/ اليحموم ـ ٨٨ /بنو يقدم ـ ١٢٦ .

ـ ثبت الحيوان والحشرات :

الأرنب ـ ٦٣ / الأسد ـ ٨٦/ بقر ـ ١١٧/ الثعلب ـ ٧٣ / الثيران ـ ١١٠/الجُندُب ـ ٧٢/ الديك ـ ٧٦ ـ ١٢٢/ الذباب ـ ٦١/ الصقر ـ ٧٥/ الضباب ـ ٧٥/ قلائص ـ ١١٨/ الناج ـ ١٢٧/ النمر ـ ٨٦ .

ـ ثبت الأسلحة وآلات الحرب :

الأسنة ـ ١٢٥/ البرى ـ ١٢٢ / البيض ـ ١١٣/ الرماح/ أرماح ـ ٦٤ ، ١١٣/ الزعف ـ

١١٣/ السيوف ـ ١١٠/ الصوارم ـ ١١٣ / المثقفات ـ ١١٣/ نصل ـ ١٣٣ .

ـ ثبت النبات :

الأثأب ـ ٧٣/ أراك ـ ١٢٢/ بقل ـ ١١٧/ الزنجبيل ـ ٨٣/ السدر ـ ٧٣/ عُسُب ـ ١١٧/ الكافور ـ ١٢٨/ نخل ـ ١١٥ .

ـ ثبت الجبال

الريان ـ ٨٧ / عروى ـ ٦٣/ فسر ـ ٨٥/ كبكب ـ ٦٩ .

* * *

المصادر والمراجع

ـ أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق محمد الدالِى ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦م .

ـ أساس البلاغة ، للزمخشرى ، ط٣ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

ـ أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، للأسود الغندجانى ، تحقيق محمد على سلطانى ، لاط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، لات .

ـ اشتقاق الأسماء ، للأصمعى ، تحقيق رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادى ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٩٤م .

ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م .

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدى ، ط١ ، الكويت ، وزارة الإرشاد والأبناء ، سنوات مختفة .

ـ التذكرة الفخرية ، لبهاء الدين الإربلى ، تحقيق نورى حمودى القيس وحاتم صالح الضامن ، ط١ ، بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٧م .

ـ جمهرة اللغة ، لابن دريد ، لاط ، بيروت ، دار صادر ، لات .

ـ جمهرة النسب ، للكلبى ، رواية السكرى عن ابن حبيب ، تحقيق ناجى حسن ، ط١ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٣م .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٩م .

- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٠م .

- ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبى سعيد السكرى ، تحقيق أنور عليان أبوسويلم ومحمد على الشوابكة ، ط١ ، العين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ٢٠٠٠م .

- ديوان بشر بن أبى خازم الأسدى ، تحقيق عِزة حسن ، لاط ، بيروت ، دار الشرق العربى ، ١٩٩٥م .

- ديوان بنى بكر فى الجاهلية ، تحقيق عبد العزيز نبوى ، ط١ ، القاهرة ، دار الزهراء ، ١٩٨٩م .

- ديوان شعر المتلمس الضبعى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، ط٢ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧م .

- ديوان شعر المثقب العبدى ،تحقيق حسن كامل الصيرفى ، ط٢ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧م .

- ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، لاط ، بيروت ، دار الشرق العربى ، ١٩٩٥م .

- زهر الآداب وثمر الألباب ، للحصرى القيروانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ط٢ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، لات .

- سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجى ، تحقيق على فودة ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٩٤م .

- سمط اللآلى ، للوزير أبى عبيد البكرى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، لاط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، لات (نسخة مصورة) .

- شرح اختيارات المفضل ، للخطيب البتريزى ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

- شرح شواهد المغنى ، لجلال الدين السيوطى ، بتصحيح الشنقيطى ، لاط ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، لات .

- شرح الرضى على الكافية ، تصحيح وتعليق حسن عمر ، ط٢ ، بنغازى ، منشورات جامعة قار يونس ، ١٩٩٦م .

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبى بكر الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٧م .

- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

- شعر الفند الزمانى ، جمع حاتم صالح الضامن ، بغداد ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، مج ٣٧/ج٤ ، ١٩٨٦م ، وجمع عادل عطا الله الفريجات ، ضمن «الشعراء الجاهليون الأوائل» ، ط١ ، بيروت ، دار المشرق ، ١٩٩٤م .

- شعراء الأمكنة وأشعارهم فى معجم البلدان لياقوت الحموى ، لجورج خليل مارون ، راجعه ياسين الأيوبى ، ط١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٧م .

- شعراء البحرين فى العصر الجاهلى ، لإسماعيل أحمد شحادة العالم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، إشراف محمد كامل أحمد جمعة ، ١٩٧٤م .

- شعراء جاهليون ، تحقيق أحمد محمد عبيد ، لاط ، أبوظبى - بيروت ، المجمع الثقافى - دار الانتشار العربى ، ٢٠٠١م

- الشعراء الجاهليون الأوائل ، لعادل الفريجات ، ط١ ، بيروت ، دار المشرق ،١٩٩٤م .

- شعراء مقلون ، صنعة حاتم صالح الضامن ، ط١ ، بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٧م .

- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ، لابن رشيق القيروانى ، تحقيق محمد قرقزان ، ط٢ ، دمشق ، مطبعة الكاتب العربى ، ١٩٩٤م .

- الفاخر ، للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبد العليم الطحاوى ، سلسلة التراث للجميع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م .

- فهرس دواوين الشعراء والمستدركات فى الدوريات والمجاميع ، إعداد محمد جبار المعيبد ، راجعه ووضع أثباته عصام محمد الشنطى ، ط١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٨م .

- الكامل ، للمبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، لاط ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، لات .

- كتاب الاختيارين ، صنعة الأخفش الأصغر ، تحقيق فخر الدين قبادة ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤م .

- كتاب التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء ، لأبى هلال العسكرى ، تحقيق عزة حسن ، ط ٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٣م .

- كتاب الحماسة ، للبحترى ، تحقيق محمد نبيل طريفى ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٢م .

- كتاب الحماسة البصرية ، لصدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى ، تحقيق عادل سليمان جمال ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٩٩م .

كتاب الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، لاط ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، لات .

- كتاب الصبح المنير فى شعر أبى بصير ميمون بن قيس بن جندل (الأعشى والأعشين الآخرين) ، للمستشرق جاير ، طبع فى مطبعة آدلف هُلزهو سن بيانة ، ١٩٢٧م (نسخة مصورة) .

- كتاب فصول التماثيل فى تباشير السرور ، لعبد الله بن المعتز ، تحقيق جورج قنازع وفهد أبو خضرة ، لاط ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٩م .

- كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة ، بعناية عبد الرحمن بن يحيى اليمانى ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤م .

- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين ، القاهرة ، دار المعارف ، لات .

مجاز القرآن ، صنعة أبى عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، لاط ،

القاهرة ، مكتبة الخانجى ، لات .

- مجالس العلماء ، للزجاجى ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣م .

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب الأصبهانى ، لاط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لات .

- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للسرى الرضاء ، تحقيق مصباح غلاونجى ، لاط ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، لات .

- المسيب بن علس حياته وشعره ، تحقيق أيهم عباس حمودى ، بغداد ، مجلة المورد ، مج ٢٠/ع١ ، ١٩٩٢م .

- معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، لاط ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٨٤م .

- معجم الشعراء الجاهليين ، لعزيزة فوال بابتى ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٨م .

- المفضليات ، المفضل الضبى ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط٨ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

- منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون ، تحقيق محمد نبيل طريفى ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٩م .

- الموشح : مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع من صناعة الشعر ، للمزربانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، لاط ، القاهرة ، نهضة مصر ، لات .

- نضرة الإغريض فى نصرة القريض ، للمظفر بن الفضل العلوى ، تحقيق نهى عارف الحسن ، ط٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥م .

- الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى ، لاط ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، لات .

- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م .

ببليوجرافيات

ببليوجرافيات

المخطوطات التي حققت كرسائل جامعية بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر منذ السبعينيات وحتى ٢٠٠٣م

إعداد / أ. أحمد عبدالباسط وأ. أحمد عبدالستار*

بسم الله الرحمن الرحيم

قُم فى فَم الدُنيـــا وحَىّ الأَزهَرا | وَانثُر على سَمع الزَمان الجَوهَرا
وَاجـعَل مَكانَ الدُرّ إن فَـصَّلتَـهُ | فى مَدحِـهِ خَـرَزَ السَمـاءِ النَيِّـرا
وَاذكُرهُ بَعدَ المَسجِدَينِ مُعَظِّمًا | لِمَسـاجِـدِ اللهِ الثـلاثة مُكبِـرا

أحمد شوقى

منذ أن وُضعت أول لبِنة فى بناء الجامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، ومنذ أن أقيمت أول جُمعةٍ به سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٣م ـ كان طموح الفاطميين أن يتخذوه مركزًا لنشر مذهبهم الشيعى ، لكن الأمر تعدى ذلك بكثير : فلم تكن مهمته ـ كسائر المساجد ـ إقامة الشعائر والفرائض به فحسب ، بل اتسع الأمر ليصبح جامعًا وجامعة فى آنٍ واحد . فقد أخذ الأزهر جل طلاب العلم مختلفى اللغات والبلدان ؛ ينهلون من معين علمائه ، ويتفقهون على يد فقهائه .

وتعتبر جامعة الأزهر ـ فى نظرى على الأقل ـ امتدادًا طبيعيًا لما بدأه قديمًا ؛ حيث تستقبل الآلاف من الطلبة ـ العرب وغير العرب ـ كلٌ عام ؛ يتعلمون العلوم الدنيوية جنبًا إلى العلوم الدينية ؛ ومن ثمَّ فإن الأزهر برىء من تلك التهمة الّتى يحاول أن يلصقها به بعضٌ من أعداء الإسلام .

وبعدُ ؛ فها نحن أيها القارئ العزيز نقدم إليك ـ فى عددنا هذا ـ تراث كلية هى من أعرق الكليات التى حملت على عاتقها أمر اللغة العربية ، حتى سُمّيت باسمها **(كلية اللغة العربية)** .

فأظن أن اللغة العربية لم تعد ـ بعد الآن ـ تنعى حظها بين أهلها ، ولا تحتسب حياتها ، ولا تئدُ بعد ذلك مولودها .

أقولُ : نقدم إليك أيها القارئ العزيز قسمًا ـ هو الأكبر من أقسامها ، ألا وهو **(قسم اللغويات)** ، آملين أن نتبعك ببقية الأقسام فى العدد القادم إن شاء الله .

---

* باحثان بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

فالمعذرة كل المعذرة إن قصّرنا فى عملنا هذا ؛ فإنما حالنا كحال القائلِ :

لَو كُنتُ أَملِكُ دَفعَ ذا لَدَفَعتُهُ عَنّى وَلَكِن ما لِهَذا مَدفَعُ

نسأل الله أن يوفّق القائمين على هذه الكلية العريقة لما يحبّه ويرضاه ، وأن يمدوا إلينا يد العون والنصح . آمين .

أولاً : اللغويات

١ - الأبواب الستة المضافة على شرح لمع ابن جنى لابن الدهان : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (ابن الدهان وآراؤه فى النحو) - إبراهيم محمد أحمد ، ١٩٨٣م ، ٩٦٥ صفحة . دكتوراه .

٢ - الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية للراعى الأندلسى : تحقيق ودراسة - محمود رجب موسى ، ١٩٧٨م ، ٣٥٥ صفحة . ماجستير .

٣ - أحاسن المجامل فى شرح العوامل لابن أمير الحاج الحلبى [ت ٨٧٩ هـ] : تحقيق ودراسة - محمد إبراهيم محمد مصطفى ، ١٩٩٠م ، ٥٩٩ صفحة . ماجستير .

٤ - ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى [ت ٧٤٥ هـ] : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (أبو حيان الأندلسى ، وتحقيق كتابه ارتشاف الضرب) - مصطفى أحمد خليل النحاس ، ١٩٧٠م ، ١٣٨٩ صفحة . دكتوراه .

٥ - الإرشاد إلى علم الإعراب لمحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الكيشى : تحقيق - أزمان إسماعيل أحمد الأندونيسى ، ١٩٨٦م ، ٦٧١ صفحة . ماجستير .

٦ - الأزهار الصافية فى شرح المقدمة الكافية للإمام يحيى بن حمزة بن على العلوى [ت ٧٤٩هـ] : تحقيق الجزء الأول - محمد على سالم العطاونة ، ١٩٨٢م ، ٩١٣صفحة . دكتوراه .

٧ - الأزهار الصافية فى شرح المقدمة الكافية للإمام يحيى بن حمزه بن على العلوى[ت ٧٤٩هـ] : تحقيق الجزء الثانى - عبد الحميد مصطفى السيد ، ١٩٧٩م ، ١٢٧٩ صفحة . دكتوراه .

٨ - أسفار كتاب الفصيح لأبى سهل الهروى [ت ٤٣٣ هـ] : تحقيق ودراسة - محمد محمد سليمان ، ١٩٨٧م ، ٦١٦ صفحة . ماجستير .

٩ - الإشارات إلى ما وقع فى المنهاج من الأسماء والأماكن واللغات لابن الملقن [ت ٨٠٤هـ] : تحقيق ودراسة من أول الكتاب ، إلى أخر باب التعزية - كمال حسين أحمد عيد ، ١٩٨٨م ، ٧١٢ صفحة . ماجستير .

١٠ ـ الإشارات إلى ما وقع فى المنهاج من الأسماء والأماكن واللغات لابن الملقن [ت٨٠٤ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الثانى ـ عبد المنعم على نظيف سيف ، ٦٦٧صفحة .

١١ ـ إعراب الحديث النبوى لأبى البقاء العكبرى : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (النحاة والحديث النبوى ، مع تحقيق كتاب إعراب الحديث النبوى للعكبرى) ـ حسن موسى الشاعر ، ١٩٧٨م ، ٥٠٢ صفحة . دكتوراه .

١٢ ـ إعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى : تحقيق ودراسة الجزء الأول ـ محمد عبد الحليم محمد سليمان ، ١٩٨٣م ، ٤٣٩ صفحة . ماجستير .

١٣ ـ إعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى : تحقيق ودراسة الجزء الثانى ضمن دراسة بعنوان (الاحتجاج للقراءات الشواذ) ـ محمد عبد الحليم محمد سليمان ، ١٩٨٩م ، ٩٥٧ صفحة . دكتوراه .

١٤ ـ الإفصاح فى شرح كتاب الإيضاح لابن أبى الربيع : تحقيق ودراسة الجزء الخامس ـ رمضان أحمد السيد ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

١٥ ـ الإقليد شرح المفصل لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندى[ت ٧٠٠ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد أحمد على ، ١٩٨٤م ، ٢١٤٧ صفحة . دكتوراه .

١٦ ـ الأمالى لابن الحاجب[ت٦٤٦ هـ] : تحقيق ـ فخر صالح سليمان ، ١٩٨٣م ، ٧٧٦ صفحة . دكتوراه .

١٧ ـ أوثق الأسباب شرح قواعد الإعراب لمحمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن جماعة [ت ٨١٩ هـ] : تحقيق ودراسة ـ فادى حسين عبد الجواد ، ١٩٨٤م ، ٤٩٧صفحة . ماجستير .

١٨ ـ إيضاح الفارسى لأبى البقاء العكبرى : تحقيق الجزء الثانى ضمن دراسة بعنوان (عرض وتحليل للمسائل النحوية فى الجزء الثانى من إيضاح الفارسى) ـ عادل جمعة عيد عياد ، ١٩٩٥م ، دكتوراه .

١٩ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى[ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الأول ـ محمد أحمد الطهراوى ، ١٩٨٧م ، ٥١٠ صفحة . ماجستير .

٢٠ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى [ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الرابع ـ أبو المجد فتوح فرج ، ٦٩٥ صفحة .

٢١ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى[ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الأول من الجزء السادس ـ إبراهيم حامد عبد السلام ، ١٩٨٧م ، ٣٦٦ صفحة ، ماجستير .

٢٢ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى [ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الثانى والأخير من الجزء السادس ـ إبراهيم محمد عطية حسن ، ١٩٨٩م ، ٤٨٥ صفحة . ماجستير .

٢٣ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى [ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الثامن ـ أزمان إسماعيل أحمد ، ١٩٩١م ، ٧٣٣ صفحة . دكتوراه .

٢٤ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى[ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء التاسع ـ وجيه عبد العزيز يوسف زيادة ، ١٩٨٨م ، ٣٠٥ صفحة . ماجستير .

٢٥ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى [ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الأول من المجلد الحادى عشر ـ يوسف أدم حسن عثمان ، ١٩٨٩م ، ٤٥٤ صفحة . ماجستير .

٢٦ ـ البرهان فى علوم القرآن لأبى الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى المصرى[ت ٤٣٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الخامس والعشرين من النسخة (٥٩) تفسير ـ عمر أحمد محمد شحات ، ١٩٨٨م ، ٥٧٥ صفحة . دكتوراه .

٢٧ ـ البسيط للواحدى النحوى : تحقيق جزء منه يبدأ من سورة يونس إلى آخر سورة الحجر ضمن دراسة بعنوان (الواحدى النحوى من خلال تحقيق جزء من كتاب البسيط) ـ إبراهيم حامد عبد السلام الإسنوى ، ١٩٩٠م ، ٩٦٥ صفحة . دكتوراه .

٢٨ ـ بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام ، لشيخ الإسلام قاضى القضاة أبى يحيى زكريا الأنصارى [ت ٩٢٦ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد أحمد على عبد العاطى ، ١٩٨٣م ، ١١٩٥ صفحة . ماجستير .

٢٩ ـ البهجة المرضية فى شرح الألفية للسيوطى[ت ٩١١ هـ] : تحقيق ودراسة ــ أحمد محمد عبد النعيم ، ١٩٧٨م ، ٧٤٠ صفحة . ماجستير .

٣٠ ـ تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب للإمام أحمد بن يحيى المرتضى [ت ٨٤٠ هـ] : تحقيق ودراسة ــ نورى ياسين حسين ، ١٩٨٦م ، ١٤٦٢صفحة . دكتوراه .

٣١ ـ التاج المكلل بجواهر الآداب على المفصل فى صنعة الإعراب لعلى بن محمد ، المعرف بابن هطيل [ت ٨١٢ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الثانى من القسم الأول ـ عبد الله نجدى عبد العزيز عبد الله ، ١٩٨٦م ، ٤١١ صفحة . ماجستير .

٣٢ ـ التاج المكلل بجواهر الآداب على المفصل فى صفة الإعراب لعلى بن محمد ، المعروف بابن هطيل [ت ٨١٢ هـ] : تحقيق القسم المتمم للأسماء ــ مصطفى إسماعيل عبد العال عثمان ، ١٩٨٦م ، ٦٣٥ صفحة . ماجستير .

٣٣ ـ التاج المكلل بجواهر الآداب على المفصل فى صنعة الإعراب لعلى بن محمد ، المعرف بابن هطيل [ت ٨١٢ هـ] : تحقيق قسم الحروف ـ محمد يحيى إبراهيم ، ١٩٨٦م ، ٦٠٧ صفحة . ماجستير .

٣٤ ـ التاج المكلل بجواهر الآداب على المفصل فى صنعة الإعراب لعلى بن محمد ، المعرف بابن هطيل [ت ٨١٢ هـ] : تحقيق ودراسة قسم الأفعال ـ نبوى عشماوى محمد النمس ، ١٩٨٦م ، ٥٣٠ صفحة . ماجستير .

٣٥ ـ التاج المكلل بجواهر الآداب على المفصل فى صنعة الإعراب لعلى بن محمد ، المعرف بابن هطيل [ت ٨١٢هـ] : تحقيق قسم المشترك ـ أحمد الزين على ، ١٩٨٦م ، ٨٨٧ صفحة . ماجستير .

٣٦ ـ تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى للصميرى : تحقيق ودراسة ـ فتحى أحمد مصطفى على الدين ، ١٩٧٧م ، ١٠٤٢ صفحة . دكتوراه .

٣٧ ـ التحصيل والتمثيل لأحكام كتاب التسهيل لقاضى القضاة سرى الدين بن الوليد اللخمى الغرناطى المالكى ، أحد تلاميذ أبى حيان [ت ٧٧١ هـ] : تحقيق النصف الأول منه مع دراسة المسائل النحوية والصرفية ـ محمد عبد العزيز على مكى ، ١٩٩٢م ، ٩٥٣ صفحة .دكتوراه .

٣٨ ـ التحصيل والتمثيل لأحكام كتاب التسهيل لقاضى القضاة سرى الدين بن إلوليد اللخمى الغرناطى المالكى ، أحد تلاميذ أبى حيان [ت ٧٧١ هـ] : تحقيق النصف الثانى منه مع دراسة المسائل النحوية ـ إبراهيم عطية حسن ، ١٩٤٤م . دكتوراه .

٣٩ ـ التحفة الشافية فى شرح الكافية لتقى الدين الحنبلى البغدادى : تحقيق ودراسة ـ إمام حسن حسن الجبورى ، ١٩٨٣م ، ١٣١٥ صفحة . دكتوراه .

٤٠ ـ تحفة الغريب فى الكلام على مغنى اللبيب للدمامينى : تحقيق الجزء الأول ـ إبراهيم حسن إبراهيم ، ١٩٧٣ ، ٧٩٦ صفحة . دكتوراه .

٤١ ـ تحفة الغريب فى الكلام على مغنى اللبيب للدمامينى : تحقيق الجزء الثانى ـ عبد الجواد حسين عبد الرحمن ، ١٩٨٤م ، ٩٩٢ صفحة . دكتوراه .

٤٢ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الأول ـ مصطفى أحمد أحمد حبالة ، ١٩٨٠م ، ١٠٦٦ صفحة . دكتوراه .

٤٣ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الثانى ـ السيد تقى عبد السيد ، ١٩٨٠م ، ١٥٦٧ صفحة . دكتوراه .

٤٤ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الثالث ـ عماد حمزة أحمد البحيرى ، ١٩٨٠م ، ١١٧٧ صفحة . دكتوراه .

٤٥ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الرابع ـ الشربينى إبراهيم أبو طالب ، ١٩٨٥م ، ١٦٦٠ صفحة . دكتوراه .

٤٦ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الخامس من أول باب القسم إلى آخر باب التحذير والإغراء وما ألحق بهما مع دراسة المسائل النحوية ـ محمد محمد عبد الجواد ، ٩٤١ صفحة . دكتوراه .

٤٧ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء السادس ـ عبد الحميد محمود حسان حسين ، ١٩٨٢م ، ١١٩٥ صفحة . دكتوراه .

٤٨ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء السابع ـ على على حسين علوان ، ١٩٨٧م ، ٧٥٧ صفحة . دكتوراه .

٤٩ ـ التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل لأبى حيان النحوى الأندلسى [ت٧٤٥هـ] : تحقيق الجزء الثامن ـ سليمان محمد سليمان ، ١٩٨٤م ، ١٠١٧ صفحة . دكتوراه .

٥٠ ـ التطريف على شرح التصريف لمحمد بن على بن هلال النحوى [ت٩٣٣ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الأول ـ فتحى محمد محمد يوسف ، ١٩٨٧م ، ٤٥٩صفحة . ماجستير .

٥١ ـ التطريف على شرح التصريف لمحمد بن على بن هلال النحوى [ت٩٣٣ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الثانى ـ شكرى السيد أحمد دياب ، ١٩٨٧م ، ٤٠٦صفحة . ماجستير .

٥٢ ـ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للشيخ محمد بدر الدين بن أبى بكر عمر الدمامينى [ت٨٢٧ هـ] : تحقيق الجزء الأول ـ محمد بن عبد الرحمن ابن محمد ، ١٦٠٥ صفحة . ماجستير .

٥٣ ـ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للشيخ محمد بدر الدين بن أبى بكر عمر الدمامينى [ت٨٢٧ هـ] : تحقيق الجزء الثانى ـ محمد السعيد أحمد عبد الله ، ١٩٨٠م ، ١٥٩١ صفحة . دكتوراه .

٥٤ ـ تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للشيخ محمد بدر الدين بن أبى بكر عمر الدمامينى [ت٨٢٧ هـ] : تحقيق الأجزاء الثالث والرابع والخامس ـ محمد ابن عبد الرحمن بن محمد ، ١٩٧٦م ، ١٣٩٥ صفحة . دكتواره .

٥٥ ـ التعليقة النورانية فى شرح الجرجانى : تحقيق ودراسة ـ على محمود على ، ١٩٩٣م . ماجستير .

٥٦ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى [ت٧٤٥ هـ] : تحقيق شواهد الجزء الخامس والمقارنة بما ورد فى ارتشاف الضرب مع دراسة القضايا النحوية والصرفية فى هذا الجزء ـ محمد على عبد العزيز ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

٥٧ ـ تفسير المسائل المشكلة فى أول المقتضب لأبى القاسم سعيد بن سعيد الفارقى : تحقيق ودراسة ـ محمد محمد فهمى عمر ،١٩٨٠م ، ٤٢٥ صفحة . ماجستير .

٥٨ ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الثانى ـ جابر محمد محمود ، ١٩٨٣م ، ١١٤٦صفحة . دكتوراه .

٥٩ ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد ، المعروف بناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الثالث ـ إبراهيم جمعة العجمى ، ١٩٨٧م ، ١٢٩٣صفحة . دكتوراه .

٦٠ ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد ، المعروف بناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق ودراسة الجزءالرابع ـ جابر السيد مبارك ، ١٩٨٤م ، ٩١٠صفحة . دكتوراه .

٦١ ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد ، المعروف بناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء السادس ـ محمد راغب يوسف ، ١٩٨٦م ، ٨٦٨صفحة . دكتوراه .

٦٢ ـ توجيه اللمع لابن الخباز : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (ابن الخباز مع تحقيق كتابه توجيه اللمع) ـ فايز زكى محمد دياب ، ١٩٧٥م ، ٧٣٩ صفحة . دكتوراه .

٦٣ ـ التوطئة فى النحو لأبى على الشلوبينى [ت٦٤٥ هـ] : تحقيق ـ جمال عبدالعاطى مخيمر ، ١٩٧٨م ، ٦٣٥ صفحة . ماجستير .

٦٤ ـ الجامع الصغير فى علم النحو لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين الكلائى[ت٧٧٧ هـ] : تحقيق ـ محمد هلال ، ١٩٧٩م ، ٥٠٤ صفحة . ماجستير .

٦٥ ـ حاشية الداوودى على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك : تحقيق ودراسة القسم الأول من أول الكتاب إلى آخر باب حروف الجر ـ طلعت عبد العزيز البحيرى ، ١٩٩٩م . دكتواره .

٦٦ ـ حاشية الداوودى على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك : تحقيق ودراسة القسم الثانى ـ أحمد عبد الكريم عبد المعطى ، ١٩٩٩م . دكتواره .

٦٧ ـ حاشية السيوطى على تفسير البيضاوى ، والمسماة بنواهد الأبكار وشوادر الأفكار : تحقيق ودراسة القسم الثانى من الجزء الأول ، ويبدأ بالأية رقم (٦) من سورة البقرة ، وينتهى بالآية رقم (١٤١) منها ضمن دراسة بعنوان (العدد وكناياته فى حاشية السيوطى) ـ أحمد مهدى السيد ، ٨٠٧ صفحة .

٦٨ ـ حاشية السيوطى على تفسير البيضاوى ، والمسماة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار : تحقيق ودراسة فى الجزء الأول يبدأ من قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿لاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ ضمن دراسة بعنوان (صيغ

الزيادة ومعانيها فى حاشية السيوطى) ـ عامر السعيد عبد ربه ، ١٩٩٠م ، ٩٥٣صفحة . ماجستير .

٦٩ ـ حاشية السيوطى على تفسير البيضاوى ، والمسماة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار : تحقيق ودراسة من نهاية الجزء الأول من الأية رقم (١١٤) من سورة النساء وبداية الجزء الثانى ، حتى الآية رقم ٥٤ من سورة يونس ضمن دراسة بعنوان (الحال فى حاشية السيوطى) ـ أحمد بخيت عبد الوهاب ، ٧٥١ صفحة .

٧٠ ـ حاشية السيوطى على تفسير البيضاوى ، والمسماة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار : تحقيق ودراسة فى الجزء الثانى ضمن دراسة بعنوان (التوابع وأحكامها من خلال حاشية السيوطى) ـ عادل جمعة عيد عياد ، ١٠٣٠ صفحة .

٧١ ـ حاشية العليمى على ألفية ابن مالك : تحقيق ودراسة القسم الأول من أوله إلى آخر باب حروف الجر ـ السيد مصطفى حسن شحاته ، ١٩٨٩م ، ١٠٦٥صفحة . دكتوراه .

٧٢ ـ حاشية العليمى على ألفية ابن مالك : تحقيق ودراسة القسم الثانى ، من أول باب حروف الجر ، إلى آخر باب التأنيث ـ محمد بن ناجى بن عبد الكريم ، ١٩٩٩ . دكتوراه .

٧٣ ـ حاشية المدابغى على شرح الأشمونى : تحقيق دراسة الجزء الأول ـ عبدالحافظ عبد الحميد نصار ، ٢٠٠٠م . دكتوراه .

٧٤ ـ حاشية المدابغى على شرح الأشمونى : تحقيق دراسة الجزء الثانى ـ منصور سليمان عبد الشافى ، ١٩٩٢م . دكتوراه .

٧٥ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى : تحقيق ودراسة الجزأين الأول والثانى من أول سورة البقرة ، حتى نهاية الخلاف حول قوله تعالى : ﴿ لَوْلا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ ـ المهدى إبراهيم عبد العال ، ١٩٨٣م ، ١١٤٨صفحة . دكتوراه .

٧٦ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى : تحقيق ودراسة النصف الأول من الجزء الثالث ـ محمد سعد رمضان حسن ، ٤٤٩ صفحة .

٧٧ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى : تحقيق ودراسة النصف الثانى من الجزء الثالث ـ أحمد السيد السيد ، ٦٢٩ صفحة .

٧٨ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى : تحقيق ودراسة النصف الأول من الجزء الرابع ـ محمد حسين الحسين ، ٥٣٠ صفحة .

٧٩ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارس : تحقيق ودراسة النصف الثانى من الجزء الرابع ـ فيصل عبد السلام الحفيان ، ١٩٨٨م ، ٥٨٦ صفحة . ماجستير .

٨٠ ـ الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارس : تحقيق ودراسة الجزء السابع ـ حامد محمد مصطفى الخولى ، ١٩٨٥م ، ٩٥٠ صفحة . دكتوراه .

٨١ ـ حل معاقد القواعد اللاتى ثبتت بالدلائل والشواهد للشمنى : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (الشمنى وكتابه حل معاقد القواعد اللاتى ثبتت بالدلائل والشواهد) ـ محمد زين العابدين حسن سلامة ، ١٩٧٣م ، ٧٥٠ صفحة . دكتوراه .

٨٢ ـ داعى الفلاح لمخبآت الأقتراح شرح ابن علاّن على الاقتراح للسيوطى تحقيق ـ سعد منصور عرفة ، ١٩٧٧م ، ٩٥٢ صفحة . دكتوراه .

٨٣ ـ الدرة الألفية فى علم العربية لابن القواس : تحقيق وشرح ـ عبد الله الحسينى أحمد هلال ، ١٩٧٨م ، ١٤٥٣صفحة . دكتوراه .

٨٤ ـ الدرة المضيئة فى شرح الألفية للأبناسى الشافعى : تحقيق ودراسة الجزء الرابع ـ عبد الهادى أحمد فراج سليمان ، ١٩٨٣م ، ٣٨٦ صفحة . ماجستير .

٨٥ ـ الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد ابن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبى [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الرابع ـ مصطفى خليل محمد خاطر ، ١٩٨٥م ، ١٠٦٤ صفحة . دكتوراه .

٨٦ ـ الدرر المصون فى علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد ابن يوسف المعروف بالسمين الحلبى[ت٧٥٦ هـ] : تحقيق ودراسة من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة التوبة ـ محمد عاشور محمد حسن ، ١٩٨٧م ، ١٢٥١ صفحة . دكتوراه .

٨٧ ـ الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبى[ت٧٥٦ هـ] : تحقيق ودراسة من أول سورة يونس إلى آخر سورة مريم ـ ماهر عبد الغنى كريم ، ١٤٩٩ صفحة .

٨٨ ـ دفع الملم عن قراءة التسهيل بجلب المهم مما يقع به التحصيل للعلامة على باشا بن محمد بن على نزيل مدينة تونس[ت١١٦٩ هـ] : تحقيق الجزء الأول

من الكتاب إلى آخر باب القسم مع دراسة الكتاب ـ يحيى محمد عبد الحميد ، ١٨٢٤صفحة .

٨٩ ـ دفع الملم عن قراءة التسهيل بجلب المهم مما يقع به التحصيل ، للعلامة على باشا بن محمد بن على نزيل مدينة تونس [ت ١١٦٩ هـ] : تحقيق من أول باب الإضافة إلى نهاية الكتاب ، مع دراسة المسائل النحوية والصرفية ـ عبد الفتاح عبد القادر محمد وهدان ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

٩٠ ـ الرشاد فى شرح الإرشاد لابن الشريف الجرجانى[ت٧٣٨ هـ] : تحقيق ـ محمد عبد الغنى أحمد شعلان ، ١٩٧٩م ، ٥٢٥ صفحة . ماجستير .

٩١ ـ رفع الستور والأرائك عن مخبآت أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لعبد القادر ابن أبى القاسم السعدى المالكى المكى[ت٨٨٠ هـ] : تحقيق مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه ـ أحمد محمود عبد الستار ،١٩٩١م ، ٨١٧ صفحة ماجستير .

٩٢ ـ شرح أبيات الجمل للأعلم الشنتمرى : تحقيق ضمن دراسة بعنوان الأعلم الشنتمرى وأثره فى النحو) ـ محمد محمود شعبان ، ١٩٧٢م ، ٨٣١ صفحة ، دكتوراه .

٩٣ ـ شرح أبيات المفصل والمتوسط للعلامة السيد الشريف الجرجانى على بن محمد ابن على : تحقيق ودراسة ـ عبد الحميد جاسم عمر الفياض ، ١٩٨٩م ، ١١٢٤ صفحة . ماجستير .

٩٤ ـ شرح الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام ، تأليف محمد بن سليمان ، الشهير بالكافيجى [ت٧٨٩ هـ] : تحقيق ودراسة ـ فتح الله صالح على المصرى ، ١٩٧٧م ، ٩٣٥ صفحة . دكتوراه .

٩٥ ـ شرح ألفية ابن مالك لأبى إسحاق الشاطبى : تحقيق الجزء الأول ضمن دراسة بعنوان (الإمام أبو إسحاق الشاطبى) ـ طاهر محمود مسعود ، ١٩٧٧م ، ٩٩٠ صفحة . دكتوراه .

٩٦ ـ شرح ألفية ابن مالك لأبى إسحاق الشاطبى : تحقيق ودراسة الجزء الثانى ـ سعد الله على أحمد ، ١٩٩١م . ماجستير .

٩٧ ـ شرح ألفية ابن مالك لأبى إسحاق الشاطبى : تحقيق ودراسة الجزء الرابع ـ بسيونى سعد أحمد ، ١٩٨٥م ، ١٢٣٦صفحة . دكتوراه .

٩٨ ـ شرح ألفية ابن مالك لأبى إسحاق الشاطبى : تحقيق ودراسة الجزء الخامس ـ أحمد السيد السعيد النافع ، ١٩٨٤م ، ٨٨١ صفحة . دكتوراه .

٩٩ ـ شرح ألفية ابن مالك لأبى إسحاق الشاطبى : تحقيق ودراسة الجزء السادس ـ محمد رضا مصطفى ، ١٩٩٠م ، ٨٨١ صفحة . دكتوراه .

١٠٠ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن بدنه : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (الجهود اللغوية والعرفية لابن بدنه) ـ عبد الناصر أحمد فرحات ، ٢٠٠٠م . دكتوراه .

١٠١ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن جابر الأعمى : تحقيق ضن دراسة بعنوان (ابن جابر الأعمى وتحقيق كتابه شرح الألفيه لابن مالك) ـ عبد الحميد السيد محمد عبدالحميد ، ١٩٨٠م ، ١٣٧٠ صفحة . دكتوراه .

١٠٢ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن داود زين الدين أبى يحيى داود بن محمد المالكى [ت٩٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة ـ مهران عبد الله عبد العال ، ١٩٨٠م ، ١٢٦٤ صفحة . دكتوراه .

١٠٣ ـ شرح ألفية ابن مالك للشيخ عبد الله الإدكاوى [ت١٢٨٩ هـ] : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (الجهود النحوية والصرفية للشيخ عبد الله الإدكاوى) ـ عادل محمد على الطنطاوى ، ١٩٩٥م . دكتوراه .

١٠٤ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن طولون أبى عبد الله شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقى الصالحى [ت٩٢٣ هـ] : تحقيق ودراسة ـ عبد الحميد جاسم محمد الفياض ، ١٩٨٨م ، ١٩٨٠ صفحة . دكتوراه .

١٠٥ ـ شرح ألفية ابن مالك للعلامة الشيخ محمد الفارض [ت٩٨٠ هـ] : تحقيق ودراسة ـ مصطفى شحاتة أبو سمرة ، ١٩٨٩م ، ٢٠٣٧ صفحة . دكتوراه .

١٠٦ ـ شرح ألفية ابن مالك للمرادى ، المعروف بابن أم قاسم : تحقيق الجزء الأول ـ عبد الرحمن على سليمان ، ١٩٧٢م ، ٧٩٥ صفحة . دكتوراه .

١٠٧ ـ شرح أنموذج الزمخشرى للشيخ محمد بن عبد العزيز الأردبيلى [ت٦٤٧ هـ] : تحقيق و دراسة ـ يسرى محمد علم الدين بدوى ، ١٩٧٩م ، ١٧٨صفحة . ماجستير .

١٠٨ ـ شرح البركوى على لب الألباب فى علم الإعراب للقاضى البيضاوى : تحقيق ـ السيد عبد العظيم السعيد ، ١٩٨٩م ،٤٨٥صفحة . ماجستير .

١٠٩ ـ شرح البرماوى على لامية الأفعال لابن مالك : تحقيق ودراسة ـ عادل محمود محمد سرور ، ١٩٩٠م ، ٦٤٢صفحة . ماجستير .

١١٠ ـ شرح التحفة الحموية فى علم العربية للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموى الحنفى : تحقيق ودراسة ـ يحيى محمد عبد الحميد ، ١٩٨٨م ، ٦٦٤صفحة . ماجستير .

١١١ ـ شرح التحفة الوردية لزين الدين أبى حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الوردى [ت٧٤٩ هـ] : تحقيق ودراسة ـ عبد الله بن على السلال ، ١٩٨٦م ، ٦٤٣صفحة . ماجستير .

١١٢ ـ شرح التسهيل للشيخ خالد الأزهرى : تحقيق ودراسة ـ خيرى عبد الراضى عبداللطيف ، ١٩٩٦م ، دكتوراه .

١١٣ ـ شرح التسهيل لناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق الجزء الأول (المجلدين الأول والثانى) ضمن دراسة بعنوان (ناظر الجيش وأثره فى الدراسات النحوية) ـ على محمد على فاخر ، ١٠٠٥ صفحة . ماجستير .

١١٤ ـ شرح التسهيل لناظر الجيش [ت٧٧٨ هـ] : تحقيق الجزء الأول (المجلدين الثالث والرابع) ضمن دراسة بعنوان (ناظر الجيش وأثره فى الدراسات النحوية) ـ على محمد على فاخر ، ١٩٨٥م ، ٦٢٩١صفحة . دكتوراه .

١١٥ ـ شرح التصريف العزى (الشرح الصغير) لأحمد بن محمود الجيلى الأصفهيدى : تحقيق ودراسة ـ رمضان أحمد السيد ، ١٩٩٠م ، ٧٠٧ صفحة . ماجستير .

١١٦ ـ شرح الجمل فى النحو لطاهر بن أحمد المعروف بابن باشاذ [ت٤٦٩ هـ] : تحقيق ـ مصطفى أحمد حسن إمام ، ١٩٧٣م ، ٩٩٣ صفحة .دكتوراه .

١١٧ ـ شرح الجمل الكبيرة للزجاجى ، لأبى الحسن على بن محمد الإشبيلى ، المعروف بابن الضائع : تحقيق القسم الأول ضمن دراسة بعنوان (ابن الضائع وأثره فى النحو) ـ يحيى علوان حسن ، ١٩٨٦م ، ١٧٤٤صفحة . دكتوراه .

١١٨ ـ شرح الجمل الكبيرة للزجاجى لأبى الحسن على بن محمد الإشبيلى ، المعروف بابن الضائع : تحقيق ودراسة القسم الثانى ـ نادى حسين عبد الجواد ، ١٩٨٨م ، ١٥٥٦صفحة . دكتوراه .

١١٩ ـ شرح ابن الحاجب على كافيته : تحقيق ودراسة ـ جمال عبد العاطى مخيمر ،

١٩٨١ ، ١٠٨٩ صفحة . دكتوراه .

١٢٠ ـ شرح الحدود اللغوية لعبد الله بن أحمد بن على الفاكهى[ت٩٧٢ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد الطيب محمد إبراهيم ، ١٩٨٤م ، ٥٥٤ صفحة . ماجستير .

١٢١ ـ شرح الزوزنى على لباب الإعراب للإسفرائينى : تحقيق ودراسة ــ فؤاد محمود محمد السندى ، ١٩٨٥م ، ٢٠٦٢ صفحة . دكتوراه .

١٢٢ ـ شرح شافية ابن الحاجب لخضر بن عبد الرحمن اليزدى[ت٧٣١ هـ] : تحقيق ودراسة ـ الطنطاوى الطنطاوى جبريل ، ١٩٨٩م ، ٤٩٧ صفحة . ماجستير .

١٢٣ ـ شرح شافية ابن الحاجب لنقره كار : تحقيق ودراسة ـ يوسف حسن أحمد عمرو ، ١٩٨٩م ، ٧٥٧ صفحة . ماجستير .

١٢٤ ـ شرح شافية ابن الحاجب للنظام النيسابورى [ت٧٢٨ هـ] : تحقيق ودراسة ـ القسم الأول ــ الحسينى محمد الحسينى ، ١٩٨٩م ، ٧٢٨ صفحة . ماجستير .

١٢٥ ـ شرح شواهد التحفة الوردية لعبد القادر البغدادى : تحقيق ودراسة ـ حسن هاشم السيد ، ١٩٩٧م . ماجستير .

١٢٦ ـ شرح شواهد الدرة المضية فى شرح الألفية لابن الناظم ، تأليف محمد بن على الموسوى : تحقيق ودراسة ـ عبد الباسط محمد الطاهر ، ١٩٩٢م ، ١٥٧٥ صفحة . دكتوراه .

١٢٧ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لجمال الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائى الجيانى : تحقيق ودراسة ـ عبد المنعم أحمد هريدى ، ١٩٧٠م ، ٨٠٦ صفحة . دكتوراه .

١٢٨ ـ شرح العوامل المائة لعبد القاهر الجرجانى ، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى الجرجانى : تحقيق ودراسة ـ محمود عيد محمود وهبه ، ١٩٨٤ ، ٦٨٥صفحة . ماجستير .

١٢٩ ـ شرح العوامل المائة لعبد القاهر الجرجانى ، ليحيى بن إسرائيل : تحقيق ودراسة ـ خالد عمر عبد الرحمن الدسوقى ، ٢٠٠٠م . ماجستير .

١٣٠ ـ شرح فصول ابن معط ، للقاضى شهاب الدين محمد بن أحمد النحوى [ت٦٩٣هـ] : تحقيق ـ أحمد مرسى أحمد الجمل ، ١٩٧٨م ، ٩٨٠ صفحة . دكتوراه .

١٣١ ـ شرح قواعد الإعراب ، المسمى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهرى : تحقيق ودراسة ـ أحمد عبد العزيز عبد الله ، ١٩٧٩م ، ٣١٧ صفحة . ماجستير .

١٣٢ ـ شرح كافية ابن الحاجب للأصفهانى : تحقيق ودراسة ـ عبد المعطى جاب الله سالم ، ١٩٨٤م ، ١١٦٣ صفحة . دكتوراه .

١٣٣ ـ شرح كافية ابن الحاجب لجلال الدين الفجدوانى [ت٧٢٠ هـ] : تحقيق ودراسة ــ محمد أحمد حسن رشوان ، ١٩٨٨م ، ٣٦٢ صفحة . دكتوراه .

١٣٤ ـ شرح كافية ابن الحاجب لركن الدين الاسترباذى ، والمسماة البسيط : تحقيق ودراسة ضمن دراسة بعنوان (ابن الحاجب ومنهجه ومؤلفاته) ــ عبد المنعم محمود على سعيد ، ١٩٧٦م ، دكتوراه .

١٣٥ ـ شرح كافية ابن الحاجب لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجى الدولت آبادى [ت٨٤٩ هـ] : تحقيق ودراسة ــ عوض مبروك عبد العزيز شحاتة ، ١٩٨٩م ، ١١٩٧ صفحة . دكتوراه .

١٣٦ ـ شرح كافية ابن الحاجب لعصام الدين الإسفرائينى : تحقيق ودراسة المجلدين الأول والثانى ــ محمد عبد الغنى أحمد شعلان ، ١١٩٦ صفحة .

١٣٧ ـ شرح كافية ابن الحاجب لعصام الدين الإسفرائينى : تحقيق ودراسة المجلدان الثالث والرابع ـ محمد عبد الغنى أحمد شعلان ، ١٩٨٥م ، ١٢١٨صفحة . دكتوراه .

١٣٨ ـ شرح كافية ابن الحاجب لفلك العلا التبريزى : تحقيق ودراسة ــ زكى فهمى أحمد شوقى ، ١٩٧٨م ، ٤٦٦ صفحة . ماجستير .

١٣٩ ـ شرح كافية ابن الحاجب لابن القواس [ت٦٩٦ هـ] : تحقيق ودراسة ـ زيان أحمد الحاج إبراهيم ، ١٩٨٢م ، ١٣١٣ صفحة . دكتوراه .

١٤٠ ـ شرح كافية ابن الحاجب لمنصور بن فلاح بن محمد اليمنى [ت٦٨٠ هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الأول حتى نهاية باب التمييز ـ محمد الطيب محمد إبراهيم ، ١٩٨٨م ، ١٨٢٣ صفحة . دكتوراه .

١٤١ ـ شرح كافية ابن الحاجب لنجم الدين سعيد العجمى : تحقيق ودراسة ــ يسرى محمود علم الدين ، ١٩٨٤م ، ١٢٩٦ صفحة . دكتوراه .

١٤٢ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك[ت٦٧٢ هـ] : تحقيق ـ أحمد عبد المنعم ، ١٩٧٨م ، ١٢٧١ صفحة . دكتوراه .

١٤٣ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : تحقيق الجزء الأول مع دراسة شخصية السيرافى ومنهجه فى النحو ـ السيد سعيد شرف الدين ، ١٩٧١م ، ٥٠٧ صفحة . دكتوراه .

١٤٤ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : تحقيق الجزء الثانى ـ درديرى محمد أبو السعود ، ١٩٧٧م ، ١٢٣٥ صفحة . دكتوراه .

١٤٥ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : تحقيق الجزء الثالث ـ محمد حسن محمد يوسف ، ١٩٧٨م ، ٧٣٨ صفحة . دكتوراه .

١٤٦ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : تحقيق الجزء الرابع ـ سعيد جلال حسنين جوده ، ١٩٨٣م ، ٨٧٦ صفحة . دكتوراه .

١٤٧ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى تحقيق الجزء الخامس ـ أحمد صالح أحمد ، ١٩٨٨م ، ١٢٤١ صفحة . دكتوراه .

١٤٨ ـ شرح كتاب سيبويه لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى : تحقيق الجزء السادس ـ عبد المنعم فايز عبد الكريم ، ١٩٧٧م ، ٧٦٦ صفحة . دكتوراه .

١٤٩ ـ شرح لب الألباب فى علم الإعراب لجمال الدين عبد الله النقرة كار [ت٧٧٦هـ] : تحقيق ودراسة ـ عايد محمد محمود غنيمة ، ١٩٨٤م ، ١١٤٠ صفحة . دكتوراه .

١٥٠ ـ شرح اللمع للثمانينى : تحقيق ودراسة ـ فتحى على حسانين على ، ١٩٨١م ، ١٣٦٨ صفحة . دكتوراة .

١٥١ ـ شرح المصباح للمولى مصطفى بن شعبان ، المعروف بسرورى [ت٩٦٩ هـ] : تحقيق ودراسة ـ عبده على محمد أحمد ، ١٩٨٢م ، ٦١٩ صفحة . ماجستير .

١٥٢ ـ شرح المنحة فى اختصار الملحة لابن جابر الأعمى : تحقيق ودراسة ـ محمد إبراهيم محمد مصطفى ، ١٩٩٥م ، دكتوراه .

١٥٣ ـ شرح الميلانى على مغنى الجاربردى فى علم النحو لبدر الدين محمد بن عبدالرحيم العمرى الميلانى [ت٨١١ هـ] : تحقيق ـ عبد الله محمد الكبشى ، ١٩٧٩م ، ٣١٧ صفحة . ماجستير .

١٥٤ ـ شرح نهاية البهجة لإبراهيم الششترى النقشيندى ، الملقب بسيبويه الثانى : تحقيق ودراسة ـ شهاب النهر إسماعيل أحمد ، ١٩٨٨م ، ١٢٢٦ صفحة . دكتوراه .

١٥٥ ـ شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب : تحقيق ودراسة ـ طارق نجم عبد الله ، ١٩٧٩م ، ١٠١٣ صفحة . ماجستير .

١٥٦ ـ شفاء الصدور بشرح الشذور لعبد الملك بن جمال الدين العصامى : تحقيق ودراسة ـ محمد سيد أحمد ، ١٩٨٥م ، دكتوراه .

١٥٧ ـ الصافية شرح الشافية ليوسف بن عبد الملك بخشياش[ت٨٨٥ هـ] : تحقيق ـ محمود موسى محمود رمضان ، ١٩٨٩ ، ٨٠٤ صفحة . ماجستير .

١٥٨ ـ الضوء شرح المصباح للإسفرائينى : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (الإسفرائينى مع تحقيق كتاب الضوء) ـ حسن البدرى النادى ، ١٩٧٣م ، ٥٦١ صفحة . دكتوراه .

١٥٩ ـ العباب فى شرح اللباب لجمال الدين عبد الله الحسين المعروف بنقرة كار [ت٧٧٦ هـ] : تحقيق ودراسة ـ سمير أحمد عبد الجواد ، ١٩٨١م ، ١٥٤٧ صفحة . دكتوراه .

١٦٠ ـ عرائس المحصل من نفائس المفصل للفخر الرازى [ت٦٠٦ هـ] : تحقيق المجلد الأول ضمن دراسة بعنوان (الرازى ومنهجه فى النحو) ـ طارق نجم عبدالله ، ١٩٨٣م ، ١١٦٩ صفحة . دكتوراه .

١٦١ ـ عرائس المحصل من نفائس المفصل للفخر الرازى [ت٦٠٦ هـ] : تحقيق ودراسة المجلد الثانى ـ سليم محمد سعيد ، ١٩٨٩م ، ١٦١٤ صفحة . دكتوراه .

١٦٢ ـ عرائس المحصل من نفائس المفصل للفخر الرازى [ت٦٠٦ هـ] : تحقيق ودراسة المجلد الرابع ـ أحمد محمد عبد النعيم ، ١٩٨٥م ، ١٥١٠ صفحة . دكتوراه .

١٦٣ ـ عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد للإمام جلال الدين السيوطى [ت٩١١هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد أحمد حسن إمام ، ١٩٨٨م ، ١٢٤٠ صفحة . دكتوراه .

١٦٤ ـ عون العراقية على شرح الكافية للقاضى أبى الفرج زين الدين ـ أو كمال الدين ـ عبد الرحمن بن على بن إسحاق الخليلى الشافعى : تحقيق ودراسة ــ محمد أحمد حسن رشوان ، ١٩٨٤م ، ٣٩٣ صفحة . ماجستير .

١٦٥ ـ غاية الأمانى فى شرح تصريف الزنجانى للإمام العالم حسين بن إبراهيم بن حمزة بن خليل : تحقيق ــ أحمد محمد أحمد خالد ، ١٩٨٦م ، ١١١٦ صفحة . دكتوراه .

١٦٦ ـ الغرة المخفية فى شرح الدرة الألفية (شرح ابن الخباز على ألفية ابن معط) : تحقيق ودراسة ــ عبد الرحمن أحمد محمود ، ١٩٧٥م ، ٧٧٠ صفحة . دكتوراه .

١٦٧ ـ الغيث الهامل فى شرح العوامل لمحمد بن محمود العجمى : تحقيق ودراسة ـ بسيونى سعد أحمد ، ١٩٨٢م ، ٥٢٣ صفحة . ماجستير .

١٦٨ ـ الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر الجرجانى ، للشيخ محمد بن أبى الفتح ابن أبى الفضل البعلى الحنبلى [ت٧٠٩ هـ] : تحقيق ودراسة المجلدات الأول والثانى والثالث ـ محمد حسين أبو الفتوح ، ١١١٥ صفحة . ماجستير .

١٦٩ ـ الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر الجرجانى للشيخ محمد بن أبى الفتح بن أبى الفضل البعلى الحنبلى [ت٧٠٩ هـ] : تحقيق ودراسة المجلدات الرابع والخامس والسادس ــ محمد حسين أبو الفتوح ، ١٩٨٥م ، ١٣٩٢ صفحة . دكتوراه .

١٧٠ ـ الفتح الربانى فى حل ألفاظ الزنجانى لشمس الدين محمد الشرابينى الخطيب [ت٩٧٧ هـ] : تحقيق ودراسة ـ عبد الحميد السيد خضر ، ١٩٩٠م ، ٣٨٠صفحة . ماجستير .

١٧١ ـ الفرائد السنية فى الفوائد النحوية للشيخ أحمد بن على ، الشهير بالمنينى [ت١١٧٢ هـ] : تحقيق ودراسة ــ شحاتة محمود شحاتة ، ١٩٩١م ، ٦٤٦ صفحة . ماجستير .

١٧٢ ـ الفريد فى إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذانى : تحقيق الجزء الأول ــ فهمى حسن النمر ، ١٩٨٤م ، ١٥٩٦ صفحة . دكتوراه .

١٧٣ ـ الفريد فى إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذانى : تحقيق الجزء الثانى ــ فؤاد على مخيمر ، ١٩٧٩م ، ١٧٤٠ صفحة . دكتوراه .

١٧٤ ـ الفلاح فى شرح مراح الأرواح لابن كمال باشا : تحقيق ودراسة ـ صلاح الدين عبد اللطيف ، ١٩٩٩م . ماجستير .

١٧٥ ـ الفوائد الضيائية للجامى : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (الجامى وتحقيق كتابه الفوائد الضيائية) ـ أسامة طه عبد الرازق ، ١٩٧٩م ، ١١٥٠ صفحة . دكتوراه .

١٧٦ ـ القلادة الجوهرية فى شرح الحلاوة السكرية تأليف شعبان بن محمد بن داود الموصلى ، المعروف بالآثارى [ت٨٢٨ هـ] : تحقيق ودراسة ـ شريف عبدالسميع شريف ، ١٩٨٩م ، ٦٥٩ صفحة . دكتوراه .

١٧٧ ـ القواعد فى اللغة لابن أيار البغدادى : تحقيق ـ محمد السيد متولى البغدادى ، ١٩٨٨م ، ١١٤٧ صفحة . دكتوراه .

١٧٨ ـ كاشف القناع والنقاب لإزالة الشبه عن وجوه قواعد الإعراب لابن هشام ، لمحمد بن عبد الكريم الكافى الملقب بزلف نكار : تحقيق ودراسة ـ محمد إبراهيم محمد عبد الله ، ١٩٨١م ، ٤٣٧صفحة . ماجستير .

١٧٩ ـ الكافى شرح الهادى للزنجانى :تحقيق قسم النحو ضمن دراسة بعنوان (الزنجانى وأثره فى علم النحو) المجلدين الأول والثانى ـ محمود فجال بن يوسف ، ١٢١٣ صفحة . ماجستير .

١٨٠ ـ الكافى شرح الهادى للزنجانى :تحقيق قسم النحو ضمن دراسة بعنوان (الزنجانى وأثره فى علم النحو) المجلدان الثالث والرابع ـ محمود فجال بن يوسف ، ١٩٧٨م ، ١٣٦٢ صفحة . دكتوراه .

١٨١ ـ الكافى فى الإفصاح عن مسائل الإيضاح لابن أبى الربيع : تحقيق ودراسة الجزء الأول ـ فيصل عبد السلام الحفيان ، ١٩٩٩م ، دكتوراه .

١٨٢ ـ الكافى فى الإفصاح عن سائل الإيضاح لابن أبى الربيع : تحقيق ودراسة الجزء الثانى ـ أحمد مهدى السيد عبد ربه ، ١٩٩٤م ، دكتوراه .

١٨٣ ـ الكشف عن نكت المعانى والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة لعلى بن الحسين بن على الباقولى ، المعروف بجامع العلوم [ت٥٤٣ هـ] : تحقيق ودراسة ـ نبوى عشماوى محمد النمس ، ١٩٩١م ، ٦٠٢٤ صفحة . دكتوراه .

١٨٤ ـ الكفاية فى علم الإعراب لضياء الدين المكى تلميذ الزمخشرى : تحقيق ودراسة ـ جابر السيد مبارك ، ١٩٨٠م ، ٣٨٨ صفحة . ماجستير .

١٨٥ ـ الكوكب الدرى فى كيفية تخريج الفروع الفقهية على المسائل النحوية للإمام جمال الدين أبى محمد عبد الرحيم بن حسين الإسنوى [ت٧٧٢ هـ] : تحقيق ودراسة ــ عبد الرازق عبد الرحمن أسعد ، ١٩٧٩ ، ١٠٦٤ صفحة . ماجستير .

١٨٦ ـ لباب الإعراب للفاضل الإسفرائينى [ت٦٨٤ هـ] : تحقيق ــ عبد الباقى عبدالسلام الخزرجي ، ١٩٧٩ ، ١٢٦٨ صفحة . ماجستير .

١٨٧ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ودراسة من أول الاستعاذة إلى الآية (١٥٧) من سورة البقرة ــ أحمد الزين على ، ١٩٨٩م ، ١٦٢٠ صفحة . دكتوراه .

١٨٨ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ضمن دراسة بعنوان (دراسة نحوية وصرفية لتفسير سورة آل عمران من كتاب اللباب) ــ فتحى محمد محمد يوسف ، ١٠٩٩ صفحة .

١٨٩ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق محمد مسعد رمضان حسن ، ١٩٩١م . دكتوراه .

١٩٠ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ودراسة من قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ الآية ١١٧ من سورة الأعراف ، إلى سورة هود ــ محمد يحيى إبراهيم ، ١٩٩١م ، ١٤٣٩صفحة . دكتوراه .

١٩١ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ودراسة من أول سورة يوسف إلى آخر سورة النحل ـ شكرى السيد أحمد دياب ، ١٩٩٠م ، ١٦٨٤ صفحة . دكتوراه .

١٩٢ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ودراسة من أول سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر ـ محمد المتولى الدسوقى حرب ، ١٩٩٢م ، ١٥٣٩ صفحة . دكتوراه .

١٩٣ ـ اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقى [ت٨٨٠هـ] : تحقيق ودراسة من أول سورة الرحمن إلى آخر سورة الناس ـ أحمد السيد السيد الحريرى ، ١٩٩٠م ، ٢٢٠٢ صفحة . دكتوراه .

١٩٤ ـ لطائف الأعراب فى شرح قواعد الإعراب لحاجى بابا إبراهيم بن عبد الكريم بن عثمان الطوسى[من علماء القرن التاسع الهجرى] : تحقيق ودراسة ــ محمد أحمد عبد الوهاب ، ١٩٨٩م ، ٥٨٢ صفحة . ماجستير .

١٩٥ ـ مائة كاملة فى شرح مائة عاملة لحاجى بابا بن إبراهيم الطوسى : تحقيق ودراسة ـ محمد راغب يوسف نزال ، ١٩٨١م ، ٢٨٧ صفحة . ماجستير .

١٩٦ ـ المباحث الكاملية شرح الجزولية للقاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسى : تحقيق ـ حمدى عبد الحميد المقدَّم ، ١٩٧٦م ، ١٢٢١ صفحة . دكتوراه .

١٩٧ ـ مبسوط الأحكام فى تصحيح ما يتعلق بالكلم والكلام للإمام تاج الدين على بن عبد الله بن أبى الحسن الأردبيلى التبريزى [ت٧٤٦هـ] على متن كافية العلامة ابن الحاجب [ت٦٤٦هـ] : تحقيق ودراسة القسم الأول ـ محمد عبد النبى عبدالمجيد ، ١٩٨٤ ، ٢١٨٣ صفحة . دكتوراه .

١٩٨ ـ مبسوط الأحكام فى تصحيح ما يتعلق بالكلم والكلام للإمام تاج الدين على بن عبد الله بن أبى الحسن الأردبيلى التبريزى [ت٧٤٦هـ] على متن كافية العلامة ابن الحاجب [ت٦٤٦هـ] : تحقيق ودراسة القسم الثانى ـ توفيق اسماعيل عرار التوحيدى ، ١٩٨٩م ، ٢٠٣٢ صفحة . دكتوراه .

١٩٩ ـ متن المقرب لابن عصفور : تحقيق مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه ـ عادل محمد على الطنطاوى ، ١٩٩١م ، ٦٢٥ صفحة . ماجستير .

٢٠٠ ـ المجيد فى إعراب القرآن المجيد لإبراهيم بن محمد الصفاقسى : تحقيق النصف الأول منه ـ عبد العزيز محمد إسماعيل ، ١٩٧٨م ، ١٤٤٩ صفحة . دكتوراه .

٢٠١ ـ المجيد فى إعراب القرآن المجيد لإبراهيم بن محمد الصفاقسى : تحقيق النصف الثانى منه ـ على محمود محمدين الناجى ، ١٩٧٨م ، ١٦٠١ صفحة . دكتوراه .

٢٠٢ ـ المحرر فى النحو لعمر بن عيسى بن اسماعيل الهرمى اليمنى : تحقيق ودراسة ـ أمين عبد الله سالم ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩١٠ صفحة . دكتوراه .

٢٠٣ ـ المحصل فى شرح المفصل للعلامة القاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى [ت٦٦١هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الأول ـ عبد الباقى عبد السلام الخزرجى ، ١٩٨٢م ، ١٢٦٨ صفحة . دكتوراه .

٢٠٤ ـ المحصل فى شرح المفصل للعلامة القاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى [ت٦٦١هـ] : تحقيق ودراسة الجزء الثانى من أوله إلى آخر أسماء الإشارة ـ محمد السيد عمر الشرقاوى ، ٨٧٥ صفحة .

٢٠٥ ـ المحصل فى كشف أسرار المفصل للزمخشرى تأليف الإمام يحيى بن حمزة العلوى : تحقيق ودراسة الجزء الأول ــ خالد عبد الحميد أبو حيذية ، ١٩٨٢م ، ١٣١٤ صفحة . دكتوراه .

٢٠٦ ـ المحصول شرح الفصول لجمال الدين الحسين بن بدر بن إيار [ت٦٨١هـ] : تحقيق ــ محمد صفوت محمد على ، ١٩٧٣م ، ١٢١٠ صفحة . دكتوراه .

٢٠٧ ـ المرشد فى شرح الإرشاد لشمس الدين محمد بن محمد بن محمود ، المدعو بالشيخ البخارى : تحقيق ودراسة ــ حسن عبد المنعم محمد ، ١٩٨٩م ، ٤٤٨ صفحة . ماجستير .

٢٠٨ ـ المسائل البغداديات لأبى على الفارس : تحقيق ودراسة إلى الباب الرابع ــ عبدالفتاح إبراهيم أحمد العليمى ، ١٩٨١م ، ٣٤٩ صفحة . ماجستير .

٢٠٩ ـ المسائل اللغوية من كتاب اللباب فى علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى [ت بعد سنة ٨٨٠ هـ] : تحقيق ودراسة ـ إبراهيم السيد إبراهيم ، ١٩٩٠م ، دكتوراه .

٢١٠ ـ المسائل النحوية الصرفية من كتاب لسان العرب لابن منظور : جمع وتحقيق ودراسة الجزئين الأول والثانى ــ طه عبد الله عبد العال ، ١٩٩٦م ، دكتوراه .

٢١١ ـ المستوفى فى النحو للقاضى على مسعود الفرخان [ت٥٤٨هـ] : تحقيق الجزء الأول ــ سعد أحمد سعد ، ١٩٨٣م ، ٩٩٩ صفحة . دكتوراه .

٢١٢ ـ المستوفى فى النحو للقاضى على مسعود الفرخان [ت٥٤٨هـ] : تحقيق ودراسة الجزء االثانى ــ عبد الباسط محمد الطاهر ، ١٩٨٧م ، ٣٣١ صفحة . ماجستير .

٢١٣ ـ المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطى [ت٩١١هـ] تأليف محمد بن حمد بن أحمد البديرى الدمياطى [ت١١٤٠هـ] : تحقيق ودراسة ــ هشام سعيد محمود ، ١٩٧٨م ، ٤٢٩ صفحة . ماجستير .

٢١٤ ـ مصباح الراغب ومفتاح حقائق المآرب شرح كافية ابن الحاجب ، لمحمد بن عزالدين ابن صلاح [ت٩٧٣هـ] : تحقيق ودراسة ــ عبد الملك عبد الوهاب أنعم ، ١٣٢١ صفحة . دكتوراه .

٢١٥ ـ المطالع السعيدة فى شرح الفريدة لجلال الدين السيوطى [ت٩١١هـ] : تحقيق ودراسة ــ نبهان ياسين حسين ، ١٩٧٥م ، ١٣٩٣ صفحة . دكتوراه .

٢١٦ ـ المفضل فى شرح المفصل لعلم الدين على بن محمد السخاوى : تحقيق ودراسة الجزءين الأول والثانى ضمن دراسة بعنوان (المفضل وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية خلال القرن السابع الهجرى) ـ عبد الكريم جواد كاظم ، ١٥٤٤ صفحة .

٢١٧ ـ المفضل فى شرح المفصل لعلم الدين على بن محمد السخاوى : تحقيق ودراسة الجزء الثالث ـ يوسف محمد محمود محمد ، ١٩٨١م ، ٩٢٠ صفحة . دكتوراه .

٢١٨ ـ المفضل فى شرح المفصل لعلم الدين على بن محمد السخاوى : تحقيق ودراسة الجزء الرابع مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه ـ محمود محمود السعيد الدرينى ، ١٩٩٢م ، ٧٤٥ صفحة . دكتوراه .

٢١٩ ـ المكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى : تحقيق ودراسة ـ جابر زيدان مخلف ، ١٩٧٧م ، ٥٩٥ صفحة . ماجستير .

٢٢٠ ـ المكمل بفرائد معانى المفصل للإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى [ت٨٤٠ هـ] : تحقيق ودراسة القسم الأول ـ عبده على محمد أحمد ، ١٩٨٦م ، ١٣٦٢ صفحة .

٢٢١ ـ المكمل بفرائد معانى المفصل للإمام المهدى لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى [ت٨٤٠ هـ] : تحقيق ودراسة بداية من قوله « القسم الثانى فى الأفعال» إلى آخر الكتاب ـ عبد الملك عبد الوهاب أنعم ، ١٩٨٧م ، ١١٣٤ صفحة . ماجستير .

٢٢٢ ـ المكمل فى شرح المفصل للإمام مظهر الدين الزيدانى [ت٧٢٧ هـ] : تحقيق الجزء الأول من أوله إلى آخر باب المذكر والمؤنث مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه ـ محمد أحمد عبد الوهاب محمد ، ١٩٩٢م ، ١١٩٧ صفحة . دكتوراه .

٢٢٣ ـ المكمل فى شرح المفصل للإمام مظهر الدين الزيدانى [ت٧٢٧ هـ] : تحقيق الجزء الثانى من أوله (باب الصغر) إلى آخر المخطوط ، مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه ـ حسن عبد العزيز حسن ، ١٩٩٢م ، ١٣٣٦ صفحة . دكتوراه .

٢٢٤ ـ المناهج الكافية فى شرح الشافية لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى [ت٩٢٦ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد إبراهيم محمد عبد الله ، ١٩٨٤م ، ٩٤٦ صفحة . دكتوراه .

٢٢٥ ـ المناهل الصافية شرح الشافية لإسماعيل بن عمر بن على الشنوانى : تحقيق ودراسة من أول الكتاب إلى باب الإمالة ــ محمد أحمد على ، ١٩٩٥م . دكتوراه .

٢٢٦ ـ المناهل الصافية على المناهج الكافية فى شرح الشافية لإسماعيل بن عمر بن على الشنوانى : تحقيق ــ حسن عبد المنعم عربود ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

٢٢٧ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الأول من المجلد الأول ـ شجيع على السيد ، ١٩٨٥م ، ٩١٩ صفحة .

٢٢٨ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الثانى من المجلد الأول ـ ياسين إبراهيم عفيفى ، ١٩٨٩م ، ٩٣٨ صفحة . ماجستير .

٢٢٩ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الأول من المجلد الثانى ـ عبد الجليل محمد عبد الجليل ، ١٩٨٦م ، ٧٣٥ صفحة . ماجستير .

٢٣٠ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الثانى من المجلد الثانى ـ منصور سليمان عبد الشافى ، ١٩٨٧م ، ٩٣٦ صفحة . ماجستير .

٢٣١ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الأول من المجلد الثالث ـ محمد المتولى الدسوقى حرب ، ٨٦٠ صفحة . ماجستير .

٢٣٢ ـ منتهى أمل الأريب من الكلام على مغنى اللبيب لابن الملا الحصكفى [ت١٠٠٢ هـ] : تحقيق ودراسة النصف الثانى من المجلد الثالث والأخير ـ عبد الفتاح عبد القادر محمد ، ١٩٨٩م ، ١١٧٩ صفحة . ماجستير .

٢٣٣ ـ منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب للحريرى تأليف محمد بن عبدالملك ابن الحسين [ت١٠٠٦ هـ] : تحقيق ودراسة ــ عبد اللطيف محمد محمد داود ، ١٩٩٠م ، ١٦٣٣ صفحة . دكتوراه .

٢٣٤ ـ المنح الوفية بشرح الخلاصة الألفية للشيخ أحمد بن على السندوبى : تحقيق ودراسة ـ جودة أبو المجد بدوى عطية ، ١٩٨٨م ، ١٢٤٦ صفحة . دكتوراه .

٢٣٥ ـ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لأبى حيان الأندلسى [ت ٧٤٥ هـ] : تحقيق ودراسة ـ أسعد عبد اللطيف إبراهيم ، ١٩٩٩م . ماجستير .

٢٣٦ ـ منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لأبى حيان الأندلسى [ت ٧٤٥ هـ] : تحقيق النصف الأول من الجزء الأول ـ محمود عيد محمود وهبة ، ١٩٩٠م . دكتوراه .

٢٣٧ ـ المنهل الصافى فى شرح الوافى فى النحو للدمامينى بدر الدين بن محمد ابن أبى بكر بن عمر [ت٨٢٧ هـ] : تحقيق ودراسة ـ حمدى عبد الفتاح مصطفى ، ١٩٩٢م ، ١٣٦٧ صفحة . دكتوراه .

٢٣٨ ـ الموضح فى تعليل وجوه القراءات لأبى العباس أحمد بن عمار المهدى : تحقيق ودراسة ـ محمد عبد السلام أحمد ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

٢٣٩ ـ الموضح فى تعليل وجوه القراءات وعللها للشيخ أبى عبد الله نصر الشيرازى : تحقيق ودراسة ـ محمدحسين الحسين ، ١٩٩٣م . ماجستير .

٢٤٠ ـ النبيل إلى نحو التسهيل للشيخ خالد الأزهرى : تحقيق ودراسة الجزء الثانى ـ محمد حسين المحرصاوى ، ١٩٩٦م . دكتوراه .

٢٤١ ـ نتائج الأفكار على إظهار الأسرار مع تحقيق للبركاوى تأليف مصطفى بن حمزة : تحقيق ـ السعيد عبد العظيم السعيد ، ١٩٩٣م . دكتوراه .

٢٤٢ ـ نتائج التحصيل فى شرح التسهيل لمحمد بن أبى بكر الرابط الدلائى : تحقيق الجزء الأول (المجلدين الأول والثانى) مع دراسة شخصية المؤلف ـ مصطفى الصادق العربى ، ١٣٢٠ صفحة .

٢٤٣ ـ نتائج التحصيل فى شرح التسهيل لمحمد بن أبى بكر الرابط الدلائى : تحقيق الجزء الأول (المجلدين الثالث والرابع) مع دراسة شخصية المؤلف ـ مصطفى الصادق العربى ، ١٩٧٩م ، ١١٢٧ صفحة .

٢٤٤ ـ نكت الأعراب فى غريب الإعراب للزمخشرى : تحقيق ـ السيد متولى عبد الله ، ١٩٨١م ، ٣٩٥ صفحة . ماجستير .

٢٤٥ ـ النكت الحسان فى شرح غاية الإحسان لأبى حيان الأندلسى[ت ٧٤٥ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمد عبد النبى عبد المجيد ، ١٩٧٩م ، ٧٩٥ صفحة . ماجستير .

٢٤٦ ـ النكت للسيوطى على كتاب الكافية والشافية لابن الحاجب والألفية لابن مالك وكتاب شذور الذهب ونزهة الطرف لابن هشام : تحقيق ودراسة ونقد ـ السيد محمد عبد المقصود ، ١٩٧٦م ، ١٢٣١ صفحة . دكتوراه .

٢٤٧ ـ النهاية فى شرح الكفاية لابن الخباز : تحقيق المجلد الأول إلى نهاية باب ظن وأخواتها، مع دراسة المسائل اللغوية والصرفية فيه ـ عبد الجليل محمد عبدالجليل، ١٩٩٠م، ١٩٦٢ صفحة . دكتوراه .

٢٤٨ ـ هداية أولى الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لأبى بكر إسماعيل الشنوانى [ت ١٠١٩ هـ] : تحقيق الجزء الأول ـ محمد عاشور محمد حسن، ٥٣٩ صفحة .

٢٤٩ ـ هداية أولى الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لأبى بكر إسماعيل الشنوانى[ت ١٠١٩ هـ] : تحقيق الجزء الثانى ـ ماهر عبد الغنى كريم، ١٩٨٢م، ٤٨٠ صفحة . ماجستير .

٢٥٠ ـ الهداية فى النحو للإمام محمد بن يوسف بن على بن يوسف، أثير الدين أبى حيان الأندلسى [ت ٧٤٥ هـ] : تحقيق ودراسة ـ محمود محمود السيد الدرينى، ١٩٨٩م، ٨٦٨ صفحة . ماجستير .

٢٥١ ـ الوافية فى شرح الكافية لركن الدين الحسن بن محمد الاستراباذى : تحقيق ـ خالد فائق أحمد محمود، ١٩٧٧م، ٧١٧ صفحة . دكتوراه .

٢٥٢ ـ وجوه النصب المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى، أو إلى ابن عبد الله محمد بن شقير صاحب أبى العباس المبرد : تحقيق ودراسة ـ سعد أحمد سعد جحا، ، ١٩٨٠م، ٤٧٨ صفحة . ماجستير .

٢٥٤ ـ الوسيط للواحدى : تحقيق ودراسة من أول سورة النحل إلى آخر سورة الأنبياء ـ محمد حسن متولى، ١٩٩٣م، دكتوراه .

من أخبار التراث

من أخبار التراث

إعداد: حسام عبدالظاهر*

● فى يوم الإثنين ٢٠٠٣/٧/٢٨م ، توفى المحقق الكبير الدكتور/ إحسان عباس ، الذى قام بتحقيق الكثير من كتب التراث ، منها : «نفح الطيب» للمقرى ، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و«فوات الوفيات» للكتبى ، و«الروض المعطار» للحميرى ، و«الذخيرة فى محاسن شعراء الجزيرة» لابن بسام ، و«رسائل ابن حزم» ، و«ديوان ابن حمديس» . . . وغيرها .

● افتتح مركز تحقيق التراث موسمه الثقافى الثالث فى يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/٩/١٦م بندوة عن علامة الجزيرة الشيخ/ حمد الجاسر ، وشارك فى الندوة : د/أحمد فؤاد باشا ، د/محمد الرُّبيِّعْ ، أ/عصام الشنطى . وقد قام مركز تحقيق التراث بالتعاون مع مركز حمد الجاسر بتنظيم معرض بكتب ومؤلفات الشيخ حمد الجاسر ؛ سواء المؤلفة أو المحققة ، وذلك على هامش الندوة .

● بدأت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فاعليات سيمنار التاريخ العثمانى ، وموضوعه هذا العام (الفرد والمجتمع فى مصر فى العصر العثمانى) ، وذلك يوم الخميس ٢٠٠٣/١٠/١٦م ، وتستمر جلسات السيمنار شهريًا إلى شهر مايو ٢٠٠٤م .

● وفى نفس اليوم ٢٠٠٣/١٠/١٦م بدأ سيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط ، بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، وذلك بمحاضرة للدكتور/ محمد مؤنس محمد عوض ، بعنوان (من مشاكل دراسة تاريخ الحروب الصليبية) .

● وفى الفترة ١٧ ـ ٢٠٠٣/١٠/١٩م عقد المؤتمر الدولى العاشر لجمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية ، وذلك تحت عنوان (اللغة العربية فى عصر العولمة) ، ومن الدراسات التى أُلقيت بالمؤتمر :

ـ اللغة العربية وتحديات العولمة ، للدكتور عبدالله أبو هيف .

ـ أهمية اللغة العربية فى العلوم والتعليم ، للدكتور رضوان الدبس .

ـ اللغة العربية والهوية ، للدكتور عوض القوزى .

ـ العلم بالعربية واجب دينى ، للدكتور محمد البلاس .

ـ الثقافة العربية فى عصر العولمة ، للدكتور ناديا مسكور .

ـ العولمة اللغوية وصراع الهوية ، للدكتور مصطفى عبدالحليم .

(*) باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية .

● وفى يوم الأحد ٢٠٠٣/١٠/١٩م عقدت ندوة بدار الكتب المصرية بالتعاون مع الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية ـ عن (فتوح البهنسا بين التاريخ والأدب الشعبى) ، حاضر فيها الدكتور/ قاسم عبده قاسم .

● أما ندوة مركز تحقيق التراث الثانية فى هذا العام فقد عُقدت يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/١٠/٢١م ، وكانت عن (الأستاذ/ مصطفى السقا عاشقًا للتراث) ، شارك بالحديث فيها الدكتور/ حسين نصار . والدكتور/ كمال الدين البتانونى .

● وعن (مصادر تاريخ الإسكندرية فى العصر العثمانى) عُقدت بمكتبة الإسكندرية حلقة نقاشية يومى ٣٠ ـ ٢٠٠٣/١٠/٣١م ، شارك فيها باحثون من مصر ، وفرنسا ، وتركيا ، وتونس وألمانيا ، وإيطاليا ، ولبنان .

● وفى يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١١/٥م عقدت جمعية الفنون والآثار الإسلامية بالقاهرة ندوة عن (شهر رمضان فى عصر سلاطين المماليك) حاضر فيها الدكتور/ حسنين محمد ربيع .

● وفى شهر أكتوبر ـ وكنتيجة من نتائج التعاون بين مكتبة الجامع الأزهر ومركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء ـ صدر دليل بعنوان «من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف» ، والكتاب هو الأول فى سلسلة كتيبات تعرف بأندر المخطوطات ، والتى يتعاون فيها مركز المعلومات مع كُلٍّ من : دار الكتب والوثائق القومية ، والأزهر الشريف ، والهيئات العامة الأخرى ؛ بهدف إنشاء قواعد بيانات متكاملة تمثل نواة لشبكة المخطوطات العربية .

● وفى يوم الأحد ٢٠٠٣/١١/٩م عقدت بالهيئة المصرية العامة للكتاب ندوة عن تاريخ عبدالرحمن الجبرتى ـ المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ـ شارك فيها الدكاترة : محمد عفيفى ، يونان لبيب رزق ، عبدالعظيم رمضان ، لطيفة سالم . وأدار الندوة الدكتور أحمد مرسى .

● وخلال شهر رمضان الماضى قامت دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة بتنظيم معرضٍ للتراث العربى ، شارك فيه تسع دول عربية ، هى : الإمارات ، ومصر ، والسودان ، والمغرب ، والصومال ، وفلسطين ، والأردن ، واليمن ، وجزر القمر .

● وفى نفس الشهر ـ أيضًا ـ عقدت ندوة بالرباط عن (الرحالة العرب والمسلمون . . .

اكتشاف الآخر) ، وقد أعلنت خلالها أسماء الحاصلين على جائزة (ابن بطوطة للأدب الجغرافى) ، وقد بلغ عدد المخطوطات المشاركة فى هذه المسابقة العلمية اثنين وعشرين مخطوطًا .

● وأعلن فى شهر نوفمبر الماضى عن بدء مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية بعدة مشروعات تراثية ، بالتعاون مع العديد من المراكز العلمية فى إيطاليا والسويد وسورية ؛ ومن هذه المشروعات إصدار مجموعة رقمية من المخطوطات العربية الموجودة فى السويد ، من بينها : «الحيل الروحانية» للفارابى ، و«ميزان الطبيب» لابن البيطار ، و«الحكمة العروضية» لابن سينا ، و«نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر» لابن حجر ، و«تلخيص مفتاح الحساب» لجمشيد الكاشى . . . وغيرها .

● وفى يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/١٢/٢م عقد مركز تحقيق التراث ـ فى إطار موسمه الثقافى الثالث ـ ندوة عن المستعرب الإسبانى الكبير (فرانسيسكو كوديرا) ، تحدث فيها الدكتور/ فيليبى رودريجث ، والدكتور/ حسين نصار .

● وفى الفترة ٢ ـ ٢٠٠٣/١٢/٤م عقدت ندوة دولية بجامعة حلب بالتعاون مع جمعية العاديات ومعهد ثربانتس الإسبانى عن (لسان الدين بن الخطيب الأندلسى) ، ودارت محاور الندوة حول عصر ابن الخطيب ، وحياته ، وشخصيته ، ومواقفه السياسية ، وموقعه كشاعر ومؤرخ ومتصوف ، وأثر تراثه الأدبى والتاريخى ، وموقف الكتابات المعاصرة منه . وقد شارك فى فاعليات هذه الندوة الكثير من الباحثين العرب والأجانب .

● وفى يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١٢/٣م قامت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بافتتاح (سيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط) ، وقد عقدت أولى جلساته بمشاركة الدكتورة/ منى بدر ، التى قدمت بحثًا عن (العقوبات من خلال صور المخطوطات الإسلامية) ، والدكتور/ على السيد على ، الذى تحدث عن (أهمية وثائق الحرم القدسى فى دراسة التاريخ الاقتصادى للقدس ، عصر سلاطين المماليك) ، والدكتور/ حسن خضر ، الذى شارك ببحث عن (المراكز التجارية فى الصحراء المغربية وأثرها فى قيام الكيانات السياسية فى القرنين الرابع والخامس للهجرة) .

● وفى يوم الخميس ٢٠٠٣/١٢/٤م ألقى الدكتور/ محمود إسماعيل محاضرة بعنوان (المشترك الفكرى والسياسى بين حركة المريدين فى الأندلس ، والحركة الموحدية فى المغرب) ؛ وذلك ضمن فعاليات سيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط بجامعة عين شمس .

• وفى يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/١٢/٩م عقدت بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ندوة عن (نظرة الغرب للعرب والمسلمين) ، تحدثت فيها الدكتورة/ خيما مارتين منيوث .

• وفى نفس اليوم الثلاثاء ١٢/٩ ألقى الأستاذ/ جمال البنا بحثًا بعنوان (تجديد الفكر الإسلامى) ، وذلك فى مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والاجتماعية بالقاهرة .

• عقد مركز سعد زغلول الثقافى ـ بمتحف بيت الأمة ـ ندوة عن اللغة العربية يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١٢/١٠م ، شارك فيها الدكاترة : كمال بشر ، وصلاح فضل ، وحامد عمار ، والإذاعى طاهر أبو زيد .

• وفى مدينة غرناطة الإسبانية عقد مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية ، وذلك خلال النصف الأول من شهر ديسمبر ٢٠٠٣م ، وشارك فى المؤتمر مجموعة كبيرة من الباحثين ، ومن الدراسات التى أُلقيت بالمؤتمر :

ـ رؤية غربية لحضارة الإسلام بالأندلس كما وردت فى مؤلفات مؤرخى الغرب الأوربى ، للدكتورة/ زبيدة عطا .

ـ قصة حى بن يقظان : للفيلسوف الأندلسى ابن طفيل ، وأثرها على الأدب والفلسفة فى أوروبا ، للدكتورة/ منى أبو زيد .

• وفى الفترة ١٣ ـ ٢٠٠٣/١٢/١٨م عقدت الجمعية الفلسفية المصرية مؤتمرها السنوى ، والذى دار هذا العام حول (النقد بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية) ، وقد شارك فيه أربعون باحثًا من الجامعات المصرية والعربية .

• وفى يوم الإثنين ٢٠٠٣/١٢/١٥م عقدت ندوة عن (ضوابط التجديد الفقهى) بالجمعية الخيرية الإسلامية ، حاضر فيها الدكتور/ على جمعة .

• وفى يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/١٢/١٦م عقد مركز تحقيق التراث ندوته الرابعة هذا الموسم ، وكانت عن (الدكتور طه الحاجرى والتراث) ، وشارك فيها الدكتور/ محمد عبده الراجحى ، والدكتور/ محمد زغلول سلام .

• وفى نفس اليوم ١٢/١٦ عقدت ندوة عن (الثقافة البيئية فى الإسلام) ، وذلك بمقر مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة ، حاضر فيها الدكتور/ رفعت العوضى .

• وفى يوم الخميس ٢٠٠٣/١٢/١٨م ألقت مى الإبراشى ـ الباحثة بمدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن ـ بحثًا عن (القرافة من العصر المملوكى إلى الآن) ؛ وذلك ضمن

فعاليات الموسم الثقافى للمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، وقامت بالتعقيب على البحث الدكتورة/ نايبرى همبكيان .

● وفى يوم الجمعة ٢٠٠٣/١٢/١٩م عقدت ندوة عن (تطور النقود الإسلامية) بجمعية الفنون والآثار الإسلامية ، تحدث فيها الدكتور/ رأفت النبراوى .

● وفى يوم الأربعاء ٢٠٠٤/١/٧ عقدت الجلسة الثانية من جلسات سيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وقُدم فيها بحثان :

ـ الجزيرة الفراتية والقوى المجاورة قبل الإسلام وحتى نهاية العصر الأموى ، للدكتورة/ عفاف صبرة .

ـ المرأة فى العصر الإسلامى فى ضوء البرديات العربية ، للدكتور/ سعيد مغاورى .

● وخلال شهر يناير ٢٠٠٤ تم الإعلان عن توقيع إتفاقية تعاون ثقافية بين مكتبة الإسكندرية ومركز جمعة الماجد للتراث والمخطوطات بالإمارات العربية المتحدة . وتتضمن هذه الاتفاقية تطوير الأعمال التراثية بالمركز بالاستفادة من تجربة مكتبة الإسكندرية فى مجالات فهرسة المخطوطات والنشر التراثى والتعريف بكنوز التراث العربى . كما تم الاتفاق على تبادل مجموعة من المصورات الميكروفيلمية للمخطوطات المحفوظة فى المكتبة لتلبية طلبات الباحثين .

القسم الأجنبي

إدوارد سعيد دروس فى قراءة النص الأدبى

ملخص

د. فاتن إسماعيل مرسى*

يتناول هذا العرض الموجز طريقة إدوارد سعيد فى إضاءة جوانب من نصوص عيون الأدب الأوربى، وخاصة الأعمال الروائية، وذلك من خلال قراءته للعلاقة بين الثقافة والهيمنة الاستعمارية. ففى كتابه «الثقافة والإمبريالية» ١٩٩٣م، يضطلع سعيد بمهمة الكشف عن تناول كبار كتاب الرواية البريطانيين بصفة خاصة، والأوربيين بشكل عام، من أمثال: جين أوستين، وتشارلز ديكنز، وأندريه جيد، وألبير كامو ـ للعلاقة بين التوسع الاستعمارى الأوربى، وما أسماه سعيد «الأرشيف الثقافى» لهذه الثقافة الغربية، إذ يرى سعيد أن المعركة من أجل امتلاك الأرض ومواردها كان لها أبعاد ثقافية واضحة. وهو يحاول من خلال قراءته الخاصة للنصوص الروائية أن يوضح الدور الجوهرى الذى لعبه الكتاب والمفكرون والباحثون الأوروبيون فى دعم هذا التوسع الاستعمارى.

ويعرض البحث لجانب من كتاب إدوارد سعيد «الثقافة والإمبريالية»، وهو الجانب الخاص بقراءة وتحليل سعيد لرواية «جين أوستن» الشهيرة «مانسفيلد بارك»، فمن خلال قراءته يحاول سعيد الإفصاح عن المسكوت عنه فى الرواية، وهو ما يعتبره سعيد من صلب فهمنا الصحيح للرواية. ذلك أن سعيد يرى أنه يصعب فهم هذه الرواية ـ كما هو الحال فى عديد من الروايات الهامة كرواية «روبنسون كروزو» مثلاً، أو «قلب الظلام» لكونراد ـ بمعزل عن حقيقة التوسع الاستعمارى الذى يفسر لنا كثيرا من عناصر الرواية السردية.

إن مفهوم سعيد للنص الأدبى الذى يراه مفتوحًا على الواقع السياسى والتاريخى والاجتماعى ـ قد فتح المجال أمام مدارس نقدية وأدبية ظهرت فى الثمانينات من القرن العشرين، مثل المدرسة التى تعرف باسم «النقد ما بعد كولونيالى»، وكذلك ما يعرف بالنقد الثقافى، أو الدراسات الثقافية التى تربط بين النص الأدبى والثقافى فى كل تجلياتها.

* أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

Works Cited

Leavis, F.R. *The Great Tradition.* London: Chatto and Windus,1960.

Said, Edward. *Orientalism.* NewYork: Pantheon Books,1978.

__________. "Orientalism Reconsidered", *Literature, Politics and Theory,*ed.Francis Barker et al. Colchester: University of Essex, 1979.

__________. *Culture and Imperialism.*London:Vintage, 1993.

Watt, Ian. *The Rise of the Novel.*Berkley:University of California Press,1957.

________.(ed) *Jane Austen: A Collection of Critical Essays.* New Jersey:Prentice-Hall, 1963.

instead of doing away with the canon altogether, or at least before doing so, a thorough and conscientious research and analysis of what is problematic about that canon remains a prerequisite.

If we clearly understand Said's project, we would not see any irony in the fact that Said's work has itself been consistently grounded *in* the literary canon. His first hand experience and access to the culture of imperialism had made him intimately familiar with the culture of the Occidental "other", and this, I daresay, has been a major factor in the essential "genuineness" of his deconstructive philosophical position. It is mainly through an understanding of the literary and cultural discourse generating the canon that Said could question the legacies of imperialism and jingoism, and expose the conventional authoritarian narrative that engendered Western Europe.

My sketchy report unfortunately leaves out many subtleties of Said's approach, but this is the hazard of all overviews. Let me nevertheless conclude that Said has, against all odds, managed to secure himself a renowned place within the apparatus of higher education in the humanities in the United States and has, with remarkable success, managed to restructure the teaching of the humanities in general, and take the study of literature out of the restricted domain of studying the works of a major "author", and bring it into the more intriguing area of cultural studies.

propounds in *Orientalism* with the intent of formulating a postcolonial approach to *Mansfield Park* ;thereby, staging a critique of the established canon. On the other hand, a cogent reading of the novel allows him to trace the figurations of the Other, thus widening the scope of critical interest in the work, extending it from being solely part of the English literary canon to the wider area of cultural studies. In so doing, Said demonstrates the advantages of such wider conception of critical practice as cultural critique wherein the interplay of political, historical, social and literary concerns can be seen at its best.

It may be redundant to reiterate here what has become almost a commonplace: that Said's brand of cultural criticism has been fundamental in the development of postcolonial studies. Concepts such as the "centre" and the "margin" or the "Self" and the "Other" have been crucial in both his theory and practice. For him, the "marginal" East helps define the "central" colonial West as much as the Oriental "Other" is a projection of the Western view that constructs it. Such terms played a major role in the development of postcolonial studies. In fact, it is thanks to Said's work that postcolonial literary criticism has recognized the importance of looking into the work of the "other", i.e., the subaltern, the marginalized or the minorities, scrutinizing them with the same kind of rigour that the "major" writers of the English literary canon had been studied. Yet, Said takes a firm stance against those voices that belong to what he characterizes as "the rhetoric of blame". (115) He in fact has no sympathy for those who call for discarding writers like Austen, dismissing them as "white, privileged, insensitive, [and] complicit".(115) It is here, I guess, that Said's hidden message lies. I cannot actually see any exaggeration in the claim that Said's *Culture and Criticism* is, and will remain, at the heart of the debate in Western universities concerning the teaching of the Anglo-Saxon canon. Said seems to be saying that

"essential moral interest offered by Jane Austen's art", as well as in his allusion to Austen's concern with "essential human issues", and further in his reference to her "essential problems as novelist." (Leavis, 10)

Said's main concern is with such pillars of the English literary canon as Jane Austen, Kipling and Conrad. However, a real appreciation of his work remains impossible without a careful study of his reading strategies. His article entitled "Jane Austen and Empire" seems to be a response to the aforementioned mainstream interpretations. It is in pursuing those strategies that Said's reading of those canonical texts culminates in a deconstruction of the critical perspectives of critics like Arnold Kettle, F.R. Leavis, Q.D. Leavis and Ian Watt. Indeed, Said does not seem to mince his words in the process of spelling out his intentions:

> We must not say that since *Mansfield Park* is a novel, its affiliations with a sordid history are irrelevant or transcendent,...Having read *Mansfield Park* as part of the structure of an expanding imperialist venture, one cannot simply restore it to the canon of "great literary masterpieces" _ to which it most certainly belongs_ and leave it at that. Rather, I think the novel, steadily, if unobtrusively, opens up a broad expanse of domestic imperialist culture without which Britain's subsequent acquisition of territory would not have been possible.(Said, 114)

Said's strategies of reading can be traced back to the poststructural practice of deconstruction. This practice involves a critique that examines and tests the assumptions supporting colonial discourse in order to question the premises from which it proceeds. However, Said's contribution is two-fold. On the one hand, he uses the theory he

> of the turn of the eighteenth century, could scarcely be expected to analyse class society in modern terms. We must make a certain allowance, reading the book with a willing suspension of our own ideas and prejudices. (Kettle 95)

Such readings of Jane Austen by mainstream British critics do not lose sight of a tradition that insists on viewing the works of "major" English fiction writers as constituting what F. R. Leavis calls "The Great Tradition". The passage on Austen is worth quoting in full, because it is mostly representative of the idea of the greatness of the English literary canon:

> Jane Austen is one of the truly great writers, and herself a major fact in the background of other great writers...In fact, Jane Austen, in her indebtedness to others, provides an exceptionally illuminating study of the nature of originality, and she exemplifies beautifully the relation of "the individual talent" to tradition. If the influences bearing on her hadn't comprised something fairly to be called tradition she couldn't have found herself and her true direction; but her relation to tradition is a creative one... for us she creates the tradition we see leading down to her. Her work, like the work of all great creative writers gives a meaning to the past...Jane Austen, in fact, is the inauguration of the great tradition of the English novel □ and by "great tradition" I mean the tradition of which what is great in English fiction belongs. (Leavis 5)

No clever reader could miss here Leavis's unmistakably essentialist bias which is explicitly stated later in his reference to the

In his analysis of *Mansfield Park*, Said offers an approach to the understanding of what he calls "the structure of attitude and reference". (114) He points to Austen's obvious tendency, recurrent throughout the novel, to legitimize Sir Thomas Bertram's exploitation of the colonies in Antigua as a source of catering for the extravagance of his Mansfield Park estates. Said moves on to affirm that such a tendency to legitimize exploitation is in fact typical of the general traits of a colonial discourse that attempted to justify what was regarded as the inevitability of maintaining the British colonies in the Caribbean and elsewhere, as these colonies were the indispensable source of wealth for England. Said also affirms that such insight, rarely found in "mainstream interpretation" (114), necessitates a careful reading capable of discerning "how ideas about dependent races and territories were held both by foreign-office executives, colonial bureaucrats, and military strategists and by intelligent novel-readers educating themselves in the fine points of moral evaluation, literary balance, and stylistic finish."(Said 114)

However, an understanding of Said's strategies of reading cannot be fully appreciated without a consideration of those "mainstream interpretations".

In his attempt to exonerate Jane Austen from the limitations of her moral consciousness, which limitations are understandably dictated by the fact that she belonged to a privileged social class that takes for granted the injustices of a class society, Arnold Kettle gives those readers who "want to have their novel and yet eat it" (Kettle 95) a lesson in a 'proper' reading of Austen's novels:

> But after all we must remember when Jane Austen was writing, we must approach the novels with sympathy in their historical context. Jane Austen. a genteel *bourjeoise*

Both books, then, are parts of the same project in which Said shows how "a very large mass [of Western] writers, among whom are poets, novelists, philosophers, political theorists, economists, and imperial administrators, have accepted the basic distinction between the East and West as the starting point for elaborate theories, epics, novels, social descriptions, and political accounts concerning the Orient, its people, customs, "mind", destiny, and so on."(*Orientalism*, Intro. 2) It is my intention here to consider the lessons Said offers to Western and non-Western readers alike through his thorough reading of how Western culture operates in the service of imperialism. In this book he examines Western culture, from Jane Austen to Salman Rushdie in an attempt to account for the roots of imperialism in European culture. What follows is a sample of Said's analysis of Jane Austen's *Mansfield Park* as exemplifying his investigation into literary and cultural representations of imperialism.

In the introduction to his famous collection of Critical Essays on Jane Austen, Ian Watt argues that "Jane Austen's works have certainly provoked those who have written about them to reveal as much about themselves as about the novels."(Watt 1) Watt's subtle observation seems to be most pertinent to Edward Said's reading of Jane Austen's *Mansfield Park*. Literary opinion on Jane Austen has generally shifted from regarding her as that popular eighteenth century English writer whose major concern was the portrayal of provincial middle class society to the perception that Austen is a writer who relies on irony to drive home specific moral judgments. Traditional scholarly attention is, in the case of Jane Austen, marked by two divergent attitudes: one views her as "auntie" Jane, that untutored genius with a flair for telling stories about love and marriage, whilst the other considers her a very serious writer.

Said enumerates Western writers, notably in the nineteenth century, who represented Orientalism's asseverations. To these one may add the views of the American military and political analyst, Samuel Huntington who purports that the world remains caught up in a "clash of civilizations" among large cultural groups and that Islam seems to be the most threatening of these to Western civilization today. Alongside this view, we have witnessed today the re-emergence of this "fixed status" (Said, *Orientalism Revisited* 16) of Islam and the Muslims. The following words by Francis Fukuyama published in an American newspaper commenting on the September 11 explosions reflect this idea: "But there does seem to be something about Islam... that makes Muslim societies particularly resistant to modernity". However, another academic trend has always maintained that the representation of what is Arabic or Islamic has always been determined by the contemporary political and economic forces. The efforts of scholars who attempt to defy traditional Orientalist scholarship that wear the masks of neutrality and objectivity like R.W.Southern, Norman Daniel, Maxime Rodinson, Yves Lacostes and Jackie Kaye, belong to the second trend. On the other hand, we have the work of Arab scholars who have attempted to dispute the authority and apparent objectivity of an "Orientalism" deeply rooted in the practices of the European colonial powers. Among these, Edward Said, Abdallah Laroui, Anwar Abdel Malek, Amine Maalouf and Nasr Hamid Abouzeid stand out as prominent contemporary figures who themselves have suffered the havocs of imperialism and colonialism.

While Said's *Orientalism* is mainly concerned with the representation of the "Oriental" Arab in Western academic tradition, his *Culture and Imperialism* (1993) offers a more general meaning of Orientalism as a style of thought based upon an epistemological and ontological distinction made between the "Orient" and the "Occident".

Edward Said and the Lessons of Reading

Faten I.Morsy

The pursuit of knowledge is mainly a historical act. Our selection of certain 'past' texts is done for certain strategic reasons, for we are continuously involved in a process of re-producing the 'meaning' and 'value' of literary texts in the 'past' to forge our present and future times. Thus, notions of 'objectivity', 'impartiality', and 'disinterestedness' should be given up altogether in studying 'the past' and 'past meanings', in favour of an analysis of the process and institutions of reproduction in which such 'timeless essences' are given material form. Thus, the meaning of a given text depends on its value and use, i.e. what that text means to us now, how it is read now or produced in the culture of the new millennium. For example, we study texts like medieval folk war epics to discover that what the meanings of such texts *were* are what they *are* now and what makes them still valid is to view them in relation to contemporary discourses of power, coercion and imperialism, on the one hand, and confrontation and resistance on the other.

In *Orientalism* (1978), Edward Said's primary aim was to demonstrate that the image of the Arab in the eyes of the Occidental European had never been a unified or clear-cut one. He brilliantly tried to explain that the image had been in a constant act of reshaping depending on political, economic and ideological 'realities' of the particular historical moment. Indeed, a look at the corpus of literature dedicated to the study of Arabism or Islam would conclude that there has been traditionally two main scholarly attitudes. The first, is supposedly practiced by mainstream academic thought who confined their views of what is Arabic or Islamic in terms of a fixed status of an object to be passively perceived by Western eyes. In his famous *Orientalism* Edward

الإسلام في نظر الغرب

أ. د. خيما مارتن منيوث*

تعرض هذه الدراسة لطبيعة الأفكار السائدة عن الإسلام فى الثقافة الغربية ، وأثرها فى السياسة الدولية . وأغلب هذه الأفكار يعتمد على تفسير العلاقة بين الإسلام والغرب على أساس التفرقة بين ثقافتين مختلفتين لشريعتين سماويتين هما : الإسلام والمسيحية ، باعتبار أن التقارب التاريخى والجغرافى بين هذين الجانبين كان ينتج دائما مجموعة من العلاقات التنافسية المعقدة تاريخيا . وربما كان الأمر كذلك بين العالم الأوربى والعالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، حيث ترتب على هذا الصراع أن تصوّر كل جانب نظيره المنافس على أنه الشيطان المطلق .

وقد تطور هذا الاعتقاد فى القرنين الأخيرين ، حين ساد الشعور بأن الثقافة الأوربية هى الثقافة المتفوقة على ما عداها ، وأن ثقافات الدول المستعمرة هى الثقافات الدنيا ، فالمسألة إذن لم تعد قضية صراع حول النفوذ الدينى . ومن ثم أصبح من المفيد والمبرر أخلاقيا أن يقال : إن القوى الأوربية يجب أن توجه المواطنين فى هذه الدول ، وأن تجعلهم يفهمون ويقدرون مميزات الحضارة الجديدة . وفى هذه الحالة أصبح الدفاع القومى عن الأرض كأنه مقاومة للحضارة ، بل صار فعلا يستحق العقاب والتدمير ، منذ تم الاعتقاد بتفوق العرق الأبيض وحضارته : فالسيطرة إذن هى الطريق الوحيد لضمان السلام والأمن والثروة لهذه الشعوب البائسة . وتلك مرحلة أخرى من تاريخ هذا الصراع .

ولقد تمت خلال ذلك حركات مناهضة للاستعمار فى أوربا وأمريكا ، وتساءل بعض المفكرين والسياسيين الغربيين حول مدى شرعية الوسائل المستخدمة للسيطرة السياسية والاستغلال الاقتصادى ، وذلك دون أى بيان من جانبهم لدور النموذج الثقافى الذى يمكن أن يهدى العالم إلى التقدم .

وفى خضم هذا الجدل الثقافى المتحدم بين الشرق والغرب ظهر كتاب «صدام الحضارات» لهنتنجتون ، كأنه نتيجة مناسبة لحرب الخليج . وفى هذا الكتاب يؤكد المؤلف أن عامل التفرقة الهائلة بين البشر ، والمصدر المهيمن فى الصراع الجارى سوف يكون ثقافيا : أى من خلال اللغة والتاريخ والتقاليد والدين بصفة خاصة .

(*) أستاذ علم الاجتماع فى العالم العربى والإسلامى ـ جامعة الأوتونوما ـ مدريد ـ أسبانيا .

وهكذا لم يلتفت هنتنجتون إلى فترات التعاون الإيجابى والتبادل الثقافى الممتدة عبر التاريخ بين ثقافات العالم ، فالتهديد الثقافى الذى يشكله الآخر قد تم تحديده عنده بهذا الفهم الجزئى للمشكلة ، وبذلك زاد خوف العالم الغربى من العنصر الإسلامى فى المسائل الفلسطينية والعراقية والأفغانية وغيرها ، فاستبد بالسلطة السياسية فى بعض البلاد الغربية تسلط مرضى يقضى بتفسير كل شىء يحدث فى الدول الإسلامية فى ضوء مظاهر الثقافة الدينية وحدها ، على حين أن العنف موجود بمثل هذا الكم الهائل فى ثقافات ، وعند شعوب ذات ديانات أخرى ، دون أن يلجأ أحد إلى كتبها المقدسة والبحث فى نصوصها على أنها أساس إيديولوجى لهذا العنف .

يعرض البحث بعد ذلك للمسألة العراقية وغيرها ، وينتهى إلى بيان أن الهوة بين العالم الغربى والعالم الإسلامى هوة ذات طبيعة سياسية عميقة ، يغذيها الشعور المتزايد بالظلم والاستبداد ، الناجم عن السياسة الدولية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ؛ لتبقى الاستجابة الأوربية وإسهاماتها الأوربية المتوسطية محدودة فيما يتعلق بالحكومات ، ومجهولة تماما لشعوب الشاطىء الجنوبى للبحر الأبيض المتوسط .

وخلاصة ذلك أن القضية ليست قضية اختلاف فى الأديان ، ولذلك لن يجدى فى حلها ـ كما رأينا فى مناسبات مختلفة معروفة ـ جمع علماء الدين من هنا وهناك من أجل الحوار المشترك المأمول بين الأديان ؛ لأن المشكلة سياسية فى أساسها ، ولذلك يجب أن يكون هناك نهج واضح محدد ، يهدى ويرشد ويوجه إلى الإسهام فى تحقيق تفاهم سياسى متبادل بصورة أفضل بين شعوب العالم ، وذلك على أساس من احترام القيم الإنسانية ، وليس على أساس المصالح الذاتية وحدها ، بحيث تتحقق العدالة الثقافية المشتركة بين الناس ، وفى هذا الإطار يمكن أن تؤدى الشراكة الأوربية المتوسطية بطريقة أفضل دورها الهادف لمصلحة شعوب المنطقة .

عرض وتلخيص

أ . د . عفت الشرقاوى

Similarly, the little that has been implemented in favour of cultural convergence has been understood only in terms of the dialogue of civilisations and religions, when in reality this is not where the gap is. In the first place, the concept of the "dialogue of civilisations" is in itself pernicious, given its implicit recognition of the existence of monolithic, divergent worlds (which is the basis of the "clash of civilisations" theory) In the same way, to centre the question on religion, putting ulemas, rabbis and cardinals together at a table, is a fairly useless exercise, as shown by the failure of such conferences as have been held so far, because it is neither in religion nor in these actors that the present problems are centred. In fact the programs have been carried in this direction by the imagery and stereotypes discussed earlier, rather than by any deeper acquaintance with the regions history and politics. And these are the key ambits crying out for work to restore stability and relations between the two shores. I believe that: to revise historical memory, with moral acknowledgement of political responsibilities; to establish a radical cultural equality between all citizens regardless of cultural background or religious confession; and to choose values rather than interests, should be the guidelines that inspire the actions of the Euro-Mediterranean Partnership in its aim of *"contributing to better mutual understanding among the peoples of the region."*

All these considerations are accompanied by other opinions, that the US and its allies took little care to avoid civilian Iraqi casualties in the war, as well as taking no particular interest in the reconstruction of Iraq, so that conditions there are now worse than they were under Saddam Hussein.

But it is important to note that these opinions against the US proceed from strictly political, not cultural considerations. More, the survey shows that, far from resorting to "culturalist" attitudes against an outside menace, there exists among Arab and Muslim citizens "a considerable appetite for democratic freedoms. People in Muslim place a high value on freedom of expression, freedom of the press, multi-party systems and equal treatment under the law." Though many defend a prominent role for Islam in public life, "Muslims who support a greater role for Islam in politics place the highest regard on freedom of speech, freedom of the press and the importance of free and contested elections." Hence the stereotypes about the impossibility of accommodating Islamic views to democratic models should at least be put in quarantine.

All this goes to show that, contrary to what many in the western world think, the gap between this world and the Muslim one is profoundly political in nature, being fed by a growing feeling of injustice and arbitrariness produced by the international policy led by the US, which, far from favouring democratisation and respect for human rights, grants impunity to local governments. A feeling which is largely shared by European public opinion, as shown by the survey conducted at the same time in Europe. This policy fuels nationalist feelings that may even be expressed violently, as humiliation and oppression grow, and as militarist options impose themselves in preference to political ones (as in Palestine and Iraq).

The European response: the Euro-Mediterranean process

The role that the Euro-Mediterranean Partnership has played to promote mutual understanding between peoples from north and southern Mediterranean region has been irrelevant. On the one hand, the Euro-Mediterranean association is limited to relation with the governments, and is totally unknown to the peoples of the southern shore.

Meanwhile some significant opinion surveys in the Arab and Muslim countries around Iraq have afforded a more concrete idea of these people's vision of the West, underlining that the conflict comes from politics and not from culture or democratic western values. The latest opinion survey made by the prestigious American institution The Pew Research Center for the People and the Press in seven Arab countries, Turkey and Israel, late in 2003, as to opinions of the US and its policy after the invasion of Iraq, is significant in this respect.

Except in Israel, everywhere the citizens were "overwhelmingly opposed to the US" and in some cases, as in Jordan and Palestine, the anti-American position reached 99 and 98% of persons surveyed. The study also shows that "the intensity of this attitude is striking." Even in Turkey, a non-Arab country with a pro-western tradition, support for the US has fallen drastically with respect to surveys in 2000-2002, so that now only 15% of Turks surveyed express positive feelings about the US, and most reject even the limited support their country offered the US for the invasion of Iraq.

Against this almost unanimous opposition, most Israelis (79%) express positions favourable to the US and its policies.

It is also noteworthy that that most of the Arabs surveyed see in the US see in the US a potential military threat to their own country, and consider that American policy is jeopardising the stability of the region. Similarly, as compared with the situation in 2002, Washington's anti-terrorist struggle has radically lost credibility in these countries, less than a quarter supporting it. That is, the "war on terrorism," as formulated and applied by the US, enjoys little social support in the part of the world where this "war" is to be waged.

Of particular concern is the growing discredit of the United Nations among these citizens. Probably this feeling is owing to the progressive disappointment experienced by these people as they witness the UN's incapacity to oblige Israel to comply with its resolutions; to their knowledge that the embargo that subjected the Iraqi population to hardship during twelve years was imposed by the UN; and to the fact that resolution 1511 seems to give an ambiguous endorsement of the American occupation of Iraq.

permitted but actually sought, is the rejection of all proposals to establish international mechanisms to supervise the action of States in the struggle against terrorism. At the annual meeting of the UN Human Rights Commission at Geneva in 2002, the fifty-three member States yielded to the pressure of these authoritarian States and of the US, which though not a member of the Commission exerted a great deal of pressure, so that all the various propositions of this type were rejected.

As the Tunisian dissident Moncef Marzuki remarked, *"never have arab dictatorial regimes been in as comfortable position as they now are, since 11 September"*. However, he lucidly points out that western leaders ought to understand that what most bothers them about the Arab and Islamic countries, immigration and terrorism, *"are both the direct consequence of dictatorship and corruption"*. The cooperation in anti-terrorist matters implemented since September 11 is going to sideline the question of political changes which are necessary for a real stabilisation of this volcanic part of the world and its consequent economic development, while it has consolidated the impunity of regimes that hold most of the region's population under a weight of social and economic oppression.

The invasion of Iraq

The American invasion and ocupation of Iraq is an event of great magnitude, among other reasons because for the first time since the Second World War European and American public opinion have reacted in opposite fashion, this distancing being accompanied by a common reaction of European public opinion, in some cases in open opposition to the governments, when these supported and participated in the invasion, sending military contingents (the case of Britain, Spain and Italy)

There has also been an important circumstance in that European and Arab and Muslim public opinion have coincided for the first time in their common rejection of the war, the former not being distracted by the cultural obsession. In both cases the perception is the same: the cause of what is happening in the Middle East proceed from political factors, the most pernicious factor being occupation, whether of Iraq or of the Palestinian territories. The incidence of this is hard to analyse, given its recent character, but it may mark a significant shift in western perception of the Muslim world.

These attitudes are in line with the "cultural" explanation, labelling and stigmatizing the world of Islam and all the Muslims, while as much as confessing the explicit desire not to face the real explanation: that the Bin Laden phenomenon is a convulsive and extreme reaction to the *pax Americana* imposed since the Gulf War in the Middle East, and particularly in Saudi Arabia and the Gulf, which has its own strategy of totalitarian power as a response.

To dismiss rational and political analysis is to elude the real actions that may work against the spread of this violence. The battle against terrorism transcends the paradigm of civilisations. It means not only dealing with a threat, but accepting a challenge: to know and understand the diversity of the Muslim world, so as to weaken the extremists and encourage the reformists; to find political, non-military solutions to the conflicts in the region, and help to improve the wretched life led by so many people in these countries.

Most of the actions and measures taken in the struggle against terrorism since 11 September 2001, though presented in terms of defence and protection of democratic ideals, cannot be considered democratic in nature. The new "anti-terrorist" legislation passed in the US, and in large measure imitated by other democratic western states, has been applied in an ambiguous framework in which there has deliberately been no definition of just what constitutes terrorism, nor of just what criteria are to be used in verifying as terrorists all those persons that the very heterogeneous members of the international coalition may accuse of being such.

On one hand, the "racial profile" has become a preventive mechanism of the struggle against terrorism on western soil, occasioning numerous arbitrary arrests of Muslims and other Asians residing in the US and Europe. This has brought a tendency to identify the potential terrorist by what he is, in race and religion, instead of what he does, thus enhancing racism and hatred of Islam. This new Islamophobia, based on suspicion of every Muslim as a potential hidden weapon of Bin Laden, has been justified in terms of patriotism or self-defence, acquiring a degree of legitimacy and excusability.

On the other hand, the ambiguity as to who is really a terrorist has resulted in the consolidation of repressive regimes, prevalent in many countries of the world. One proof that this ambiguity is not only

The September 11th attacks in New-York and Washington gave more weight to such anti-Muslim cultural perceptions. Since September 11 president Bush has affirmed in successive statements that American policy is guided by a profound respect for Islam, and that there is no war against Islam, which is *"a faith based on peace, love and compassion."* However this rhetoric is unconvincing in view of the facts, being unconfirmed by the way in which the US is interpreting and picturing the causes of violence in the Islamic world, or by the responses it makes to put an end to it.

In reality, these "right-thinking" affirmations are contradicted by advisors and members of Bush's party, who unhesitatingly proclaim just the contrary. Kenneth Adelman, a member of the Pentagon political staff, declared: *"the more you examine this religion, the more militarist it looks. After all its founder, Mohammed, was a warrior, not an advocate of peace like Jesus;"* Eliot Cohen, of the Pentagon advisory Council, also affirmed that *"nobody would like to think that a major world religion has a deeply aggressive and dangerous strain in it... but uttering uncomfortable and unpleasant truths is one of the things that defines leadership.* Paul Weyrisch, an influential activist in the White House, said that *"Islam is at war against us"* and complained of the US administration's talk of Islam as a religion of peace and tolerance just like Judaism and Christianity, *"when it's not like that".*

Meanwhile, the simple fact of having to make these affirmations in favour of Islam, having to show whether the Koran justifies terrorism or not, whether suicide forms part of Islamic culture or not, whether *jihad* mean this or the other thing, obliging every Muslim to daily defend himself amid the general suspicion of potential fanaticism inherent in his culture and religion, is proof that Islam and the Muslims are not judged by the same standards as Judaism and Christianity. Just as it proves there exists a sickly obsession for explaining everything that happens in the Muslim countries in function of the "cultural-religious" to the detriment of the "political" aspect, something never done with other religions cultures or historical experiences where violence has also been enormously present (for when terrorism proceeds from groups of Jewish or Christian confession no one looks in the Bible for the explanation of this violence).

to the monopolar order, was a division which does not stand up to an observation facts and history. Are political and ideological factors not also present in the new post-bipolar order, just as the elements relative to identity and culture were present in previous situations? Perhaps politics, ideology and economic play no role in civilisations. To this is added a huge ignorance of these Confucian and Islamic worlds (the latter being cheerfully parcelled into Arab, Turkish and Malayan sectors), with a forced interpretation of civilisations a closed cultural entities, determined upon a dialectic of confrontation, which is a vision more essentialist than real. Finally, his proposals for western action in the clash of civilisations constituted exactly the best way to make his theory a self-fulfilling prophesy: domination, exclusion, cultural homogenisation.

Its lack of scientific rigour ought to have made this short article go unnoticed, had it not answered the need to bring up a new ideology (oddly enough, in a thesis that proclaims the end of ideologies) to morally justify the restructuring of the world, charged with economic and political hegemony, which the US aspires to preside. The cultural and religious line serves as an instrument with which to blind western opinion to the heavy political charge of western behaviour in other parts of the world. The formula might be defined something like this: if the explanation of events is based mainly on an anti-western cultural and religious determinism, this eludes responsibilities for western political and military action in these regions. Behind expressions such as "*Islam has bloody borders*" lay the culturalist explanation which relieves the West of any responsibility for this "*bloodbath*."

In fact, Huntington's contribution amounts to having rendered articulate a political theory which had already existed for a long time: the feeling of western cultural superiority, and its repertory of anti-Islamic imagery, at a moment when much of the world's attention is turned to the Middle East.

The principle of the cultural threat posed by the Other being thus expressed, it becomes possible to dehumanize the sufferings deriving from Western international policies and inflicted on suffering populations. And more specifically, the fear around the "Islamic factor" will mean as a consequence that Western societies turn insensitive to the situation of the Palestinians, the Iraqis, the Afghans. A situation that is rooted in the convergence of interests of local dictatorial regimes and those of the West.

The theory of the "clash of civilisations"

It was not at all by chance that after the Gulf war there appeared the theory of the "clash of civilisations," signed by the American political scientist Samuel P. Huntington. Huntington's article was to be for many the new ideology of the post-cold war. What the Harvard professor initially proposed with a question mark, *Clash of civilisations?* and three years later without any interrogative, *The Clash of Civilisations and the Remaking of World Order*, is that *"the fundamental source of conflict in this new world will not be primarily ideological or primarily economic. The great divisions among humankind and the dominating source of conflict will be cultural"*.( ) *"With the end of the Cold War, international politics moves out of its Western phase, and its centrepiece becomes the interaction between the West and the non-Western civilisations..."* then he affirms that *"civilisations are differentiated from each other by history, language, culture, tradition and, most important, religion"* and that *"cultural commonality is a prerequisite for economic integration"* to end by giving his prescription as how to deal with this new fracture from the West: *"it is clearly in the interest of the West to promote greater cooperation and unity within its own civilisation, particularly between its European and North American components; to incorporate into the West societies in Eastern Europe and Latin America whose cultures are closed to those of the West; to promote and maintain cooperative relations with Russia and Japan ( ); to limit the expansion of the military strength of Confucian and Islamic states (...); to exploit differences and conflicts among Confucian and Islamic states; to support in other civilisations groups sympathetic to Western values and interests; to strengthen international institutions that reflect and legitimate western interests and values and to promote the involvement of non-Western states in those institutions."*

Huntington constructed his theory with a partial interpretation of history, selecting at his convenience the conflictive moments and eluding all those of interchange and cooperation, which had also characterised the historical dynamic between the supposed civilisations which he arbitrarily labelled and classified. His capricious listing of political and ideological factors and cultural and religious ones, adjudicating the first to the cold war and the second

belong to European civilization, and that it should be universally imitated .

Thus, for example, the declaration of the Conference of Berlin in 1885, by which the European shared out the African continent, said that the European powers *"ought to instruct the natives, bringing them to understand and appreciate the advantages of civilisation."* In consequence, when the natives "obstinately" defended their land and sovereignty, they were "justifiably" punished and decimated. The British Colonial minister from 1895 to 1903 affirmed the superiority of the white race and its civilisation, assuring that *"our domination is the only way to insure peace, security and wealth for the unfortunate people who never knew these things. This civilising mission is the fulfilment of our national mission on behalf of the peoples who live under the shadow of our empire."* In France meanwhile, Jules Ferry, proclaimed in the parliament on 28 July, 1885 the duty *"of the higher races to civilise the lower ones."*

In regions such as China, India or the Islamic world where great civilizations had arisen, the category of "savage peoples" did not fit; for these cases there arose the theory of their exhaustion and incapacity to emerge from obscurantism against the advance of European civilisation. In this way there took place a process of denigration of the cultural and historic legacy of Islam, presented as incapable of progressing and modernising. That is, all the cultural elements of the Islamic ambit, including the Arabic language, were labelled as regressive and obstructive to modern evolution. This forged a European imagery charged with prejudices toward Islam, expelling the Islamic intellectual and cultural legacy from the world of modernization, appropriated exclusively for the European model.

At a later stage, when the anti-colonial movement developed in Europe, it was to question the legitimacy of the methods used (political domination and economic exploitation), but not the vocation of the West to serve as the cultural model that would enable the world to modernize. Progress and development could not be but the identical reproduction of what had happened in the West.

In reality the term West appeared when from the Second World War there arose a new international order, divided in two power blocs: the Western and the Soviet, coinciding with a loss of European influence in favour of the US; but this did not modify the feeling of cultural superiority that had so far existed.

starting point of a process whereby Europe sees itself as a close identity, and proclaims it is the only one to possess the higher attributes of mankind, considering in consequence other peoples as inferior. The ideological elaboration process that supports this European vision was completed during the Renaissance, and is still at work nowadays. It has to do with a selective interpretation of History, which eradicates the East from European thinking and gives birth to the myth of Greco-Roman culture as its sole and only original source. In other words, the founding myth of European thinking radically expelled the oriental contribution, and within this contribution, the significant role played by Muslim thought in the conservation and revitalization of Hellenistic philosophy, as well as in the development of a rationalistic philosophy of its own. As a result, there grew up the concept of two different isolated worlds having no heritage in common.

In the 18th and 19th centuries an intensive historical process took place, reinforcing this ethnocentric thought, when Europe came to represent both the universe of the ideas of the enlightenment and that of an expansive mercantilism seeking to colonize the other world. European colonial thought found it needed to prepare a moral and ethical justification for the exercise of political domination and economic exploitation going on outside its frontiers. Thus arose the duality between "civilisation" and barbarism," the concept of race and of European cultural superiority over the "others," appropriating the universal representation of modernity and civilisation. Colonialism became a moral obligation and historical mission: to bring civilisation to backward peoples. From this time on we see cultural arguments adduced to justify what were really political actions. With this, placing culture at the service of politics, a thought system was prepared which viewed other cultures as inferior and, above all, denied them any capacity to evolve and progress; these values being adjudicated exclusively to the European model.

From this time on, the European culture was to be considered superior to all others, and the cultures of colonized peoples looked upon as inferior. Since then, Europe has been infused with a deep cultural ethnocentrism through which it looks upon other cultures in an essentialist manner (that is to say, as if they were closed, immutable and monolithic, incapable of progress nor evolution, in a way that is determinant for their future). As a result Europeans tend to consider that the notions of progress, dynamism and innovation

ISLAM IN THE EYES OF THE WEST

By GEMA MARTÍN-MUÑOZ (*)

Professor of Sociology of the Arab and Islamic World.
Autonomous University of Madrid

Prevailing notions in the West about the Muslim world stem from a complex process of elaboration, in which historical and political factors are intertwined.

The traditional western interpretation of History has tended to represent both worlds in terms of absolute concepts which propose two ambits of civilisation, supposedly homogeneous, and in conflict. At first, in the Middle Ages, this binomial was defined as "Islam" and "Christendom." Historical and geographical proximity always means complex and competitive relations between the geopolitical entities concerned. And this has certainly been the case between the European and the Muslim world since the Middle Ages, an historical memory of conflicts having been handed down. The rivalry between Islam and Christianity, between Al-Andalus and the Christian kingdoms in Spain, between the Christian and Ottoman empires, triggered conflicts of interests and ideologies tending to portray the other as the Devil. One need only read Arnin Maalouf's book "The Crusades seen by the Arabs," or see Youssef Chahine's film "Saladin," to realize that their interpretation of such historic events is just the opposite of the one we have built in the West with a reverse symbolism. Nevertheless, the distortions brought about by such a situation did not prevent the development of a very important mutual influence. The thing is, official History has paid little attention to this reality, highlighting only the aspects of conflict. The Byzantine Empire had close links to the Omeyyads and the Abbasids in the East (even closer than with the European Christian kingdoms), there was constant economic and cultural exchange between Al-Andalus and the Christian kingdoms, just as the islamization of western medieval is an undeniable historic process (Sicily, the Iberian peninsula, the Balkans).

The time when Jews and Muslims were expelled from Al-Andalus (Spain) as well as the discovery of America, represent the

(*) Professor of Sociology of the Arab and Islamic World.
Autonomous University of Madrid



Egyptian National Library
and Archives
MS Editing Centre

TURÁTHIYYÁT

A SEMI-ANNUAL PERIODICAL PUBLISHED BY THE MS. EDITING CENTRE

ENGLISH SECTION

ISLAM in the eyes of the west

National Library Press
Cairo
2004

قواعد النشر...

١ ـ يقبل للنشر بهذه المجلة البحوث والدراسات التي تعنى بالتراث والمخطوطات. كما تنشر ملخصات الرسائل الجامعية المجازة، وتقارير المؤتمرات والندوات التي تدخل في مجال تخصص المجلة، على أن يرفق بالبحث ملخص في حدود ١٠ أسطر أو (١٠٠ كلمة).

٢ ـ يراعى ألا يتجاوز البحث أو المقال ٢٠ صفحة. وبالنسبة للرسائل المحققة يراعى ألا تزيد صفحاتها عن ٤٠ صفحة.

٣ ـ تقدم الأعمال مكتوبة على الكمبيوتر ومسجلة على اسطوانة مرنة (٣,٥ بوصة).

٤ ـ تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم العلمي قبل نشرها.

٥ ـ يشترط في البحوث والدراسات والمقالات المقدمة ألا تكون قد نشرت من قبل، وألا يكون قد سبق تقديمها لأية جهة أخرى.

٦ ـ لا تردّ أصول الأعمال المقدمة للمجلة، سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.

٧ ـ ترتب المواد داخل العدد وفقا لاعتبارات فنية صرفة.

٨ ـ لا يجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة إلا بعد الحصول على إذن كتابي من رئيس التحرير.

٩ ـ تقبل البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، على أن يرفق بالبحوث المكتوبة بالإنجليزية ملخص واف باللغة العربية.

١٠ ـ ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

١١ ـ توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير. أو إلى مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية.

١٢ ـ تمنح إدارة المجلة مكافأة لمؤلف كل بحث أو مقال أو دراسة، كما ترسل له نسخة مجانية من العدد الذي نشر به البحث أو المقال.